

دولة ماليزيا  
وزارة التعليم العالي (KPT)  
جامعة المدينة العالمية  
قسم القرآن الكريم وعلومه

# المَلِكُ في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير) في القرآن الكريم وعلومه

اسم الباحث: أحمد زغلول عباس مهران

تحت إشراف: الدكتور/ أحمد إمام عبد العزيز

كلية العلوم الإسلامية

قسم القرآن الكريم وعلومه

العام الجامعي: ذي القعدة ١٤٣٣ هـ - سبتمبر ٢٠١٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا ببحث الطالب (أحمد زغلول عباس مهران) من الآتية

أسمائهم:

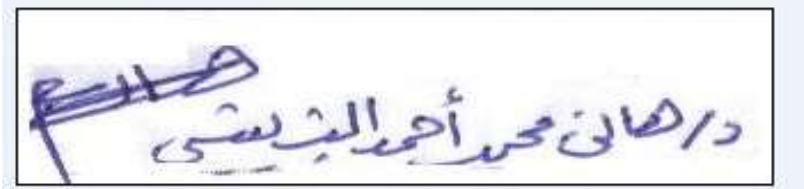
المشرف

دا أحمد إمام عبد العزيز



المتحن الداخلي

د اهاني البشبيشي



المتحن الخارجي


د. علي جابر

الاسم: أ. د. علي جابر

التوقيع: 

أحمد محمد عبد العاطي

الرئيس

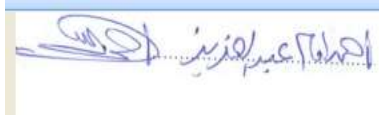
  
Ahmad Ali Mohamed

## APPROVAL PAGE

**The dissertation of (ahmed zaghoul abbas**  
:) has been approved by the following

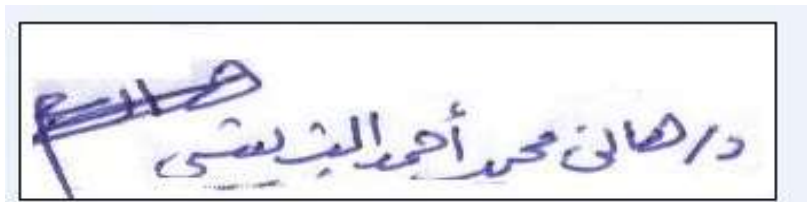
---

Supervisor



---

Internal Examiner



---

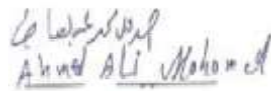
External Examiner

الاسم: أ. د. علي حابر

التوقيع: 

---

Chairman

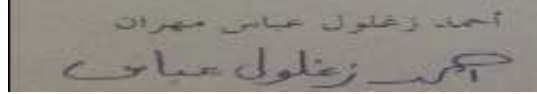
  
Ahmed Ali Mohamed

## إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقْتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: : أحمد زغلول عباس مهران

التوقيع:

A rectangular box containing a handwritten signature in Arabic script. The signature reads "أحمد زغلول عباس مهران" (Ahmad Zaghoul Abbas Mهران).

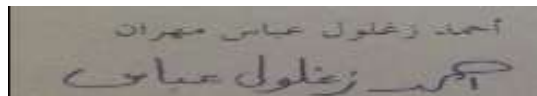
التاريخ:

## DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my  
.own investigation, except where otherwise stated

**Student's name: ahmed zaghloul abbas**

:Signature

A rectangular box containing a handwritten signature in Arabic script. The signature is written in black ink on a light-colored background. The text is "أحمد زغلول عباس" (Ahmed Zaghloul Abbas) written in a cursive style.

:Date

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٠٩ © محفوظة لـ (أحمد زغلول عباس مهران)

عنوان البحث: " الملك في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون

إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١, يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

٢, يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشق الوسائل وذلك

لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.

٣. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور

إذا طلبتها مكاتب الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: : أحمد زغلول عباس مهران

أحمد زغلول عباس مهران  
أحمد زغلول عباس مهران

التاريخ

التوقيع

## الملخص

تناولت في هذه الرسالة «المُلْك في ضوء القرآن الكريم»، بتتبع آيات المُلْك في القرآن بالمنهج الموضوعي، وقمت فيه بتقسيم الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. تناولت في المقدمة مشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث وهيكل البحث وتقسيماته وتعريف المُلْك في اللغة والاصطلاح والمُلْك في الاستعمال القرآني.

وفي الفصل الأول: تحدثت عن أن المُلْك الحق لله، وذلك من خلال التعريف باسم الله الملك والمالك والمليك، والتعريف بأن الله جل جلاله خالق كل شيء ومالكه، وأن الله تعالى هو المتفرد بالملك يوم القيامة وأن المُلْك الحقيقي لله تعالى.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن أساليب عرض القرآن للمُلْك، وذلك من خلال أن الله يمتن بملكه على من يشاء من عباده، ومن خلال أيضاً أن القرآن في بعض المواضع ربط بين المُلْك والقيادة العسكرية ودور المُلْك في ذلك من خلال قصة طالوت وسليمان عليه السلام ودورهم في القيادة العسكرية، وكذلك من أساليب عرض القرآن للمُلْك الاغترار به وقصة إبراهيم -عليه السلام- مع الملك الطاغي الذي اغتر بملكه وحاج إبراهيم عليه السلام في رب العالمين.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن أنواع المُلْك في القرآن، ومنها الجمع بين المُلْك والنوة وذكرت قصة سليمان عليه السلام -التي جمع الله ليعين للمُلْك والنوة ثم تحطت عن الملك الروتدوتحطت عن ذي القرنين كموضح للمُلْك الروتد، ثم تحطت عن المُلْك الصلب لفسد المتمثل في فروع، التي اغتر بملكه وطني وتجر فأهلكه الله تعالى.

وفي الفصل الرابع تحدثت عن مهمات المُلْك الراشد وأهم آثاره، واختتمت الرسالة بالحديث عن آثار المُلْك الفاسد ثم ذكرت في الخاتمة النتائج والتوصيات المستفادة من الرسالة والله ولي التوفيق.



## ABSTRACT

In this letter addressed to ( King in the Koran), keeps track of the verses in the Quran King substantive approach you which divides the message into an introduction and four chapters and an epilogue.

Dealt with in the foreground the research problem, objectives, and previous studies, the researcher and curriculum structure of the research and subdivisions and the definition of the king in the language and terminology and the king in the Quranic use.

In the first chapter: I talked about that the King has the right to God, and that by definition the name of God, the king and the owner, and that the definition of God, the Almighty Creator of all things, its owner, and that God is the unique King Day of Judgment and that the real king God Almighty.

In the second chapter talked about methods display the Koran to the king, and through that God has fortified his property to whom He will of His slaves, and by also that the Koran in some places link between the king and the military leadership and the role of the king through the story Talot and Solomon, peace be upon him and their role in driving military, as well as the methods of the Koran to the king being deceived him and the story of Abraham - peace be upon him - with King overriding who deceived his property.

In the third chapter talked about the types of the King in the Koran, which combine the king and prophet and said the story of Solomon - peace be upon him - which brought him God between the king and a prophet, then talked about the King fair, and talked about of centuries as a model for the king of the fair, and then talked about King rotten spoiler goal of Pharaoh; who deceived his property and overwhelmed Vohlkh God Almighty.

In the fourth chapter talked about the missions and just king the most exciting, the letter concluded by talking about the effects of the corrupt King then stated in conclusion the findings and recommendations learned from the message and God is the source of strength.

## شكر وتقدير

بعد شكر الله والثناء عليه بما هو أهله -جل وعلا- أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلي والدي وأخي وشيخي فضيلة العلامة الدكتور: محمد فضل أبو جبل الذي ساعدني كثيراً في هذه الرسالة، وفضيلة الدكتور: أحمد إمام عبد العزيز، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأحاطني برعايته وعنايته ولطفه، ولم يضمن علي بأي نصح أو توجيه أو إرشاد، والذي كان لتشجيعه وحثه لي أثر كبير في إتمام هذه الرسالة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتحية، إلى أسرة كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه الذين درست على أيديهم، ونهلت من علومهم.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة.

كما أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إخراج هذا البحث وأعان عليه.

والله ولي التوفيق.

## الإهداء

\* إلى حبيب القلب، وقوة العون، ومن يذكره تحلي للموم محمد صلى الله عليه وسلم

\* إلى من ربياني صغيراً، وتعهداني كبيراً، ودفعاني إلى طلب العلم.

\* إلى زوجي الوفية (أم محمد) التي تشركني هوم الحياة وصبرت معي على تلك العلم

والتصلي، ووفرت لي لأجواء للفتية للبحث، فكنت لي نعم المؤزر واليعن

\* إلى فلذات كبدي، ورياحين قلبي، أبناءي (لجين، وسارة، وإيثار ومحمد) جعلهم الله

تعالى ذخرًا لدينه ودعوته.

\* إلى أخي محمد وأخي أيمن وأختي العزيزة وصديقي العزيز محمد بن عبد الوهاب أول

من أرشدني إلى طلب العلم وتحصيله.

\* إلى أخي وشيخي الحبيب الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الذي حثني على السير في

طريق العلم أسأل الله أن يرزقنا وإياه الإخلاص والقبول والإتباع.

\* إلى شهداء فلسطين البررة الذين رووا بدمائهم الذكية ثرى أرض النبوات

(فلسطين).

\* إلى الشهداء منذ فجر الإسلام إلى قيام الساعة.

\* إلى طلاب العلم في كل مكان.

أهدي هذا البحث

أحمد زغلول عباس.

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاته، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة<sup>(٤)</sup>.

ثم أما بعد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَلِيمُ  
 السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤَيَّنُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ الْجَبْرُ الْمَكْرُومُ سَجَدَ اللَّهُ عَمَلِيَّتْرُكُونَ﴾<sup>(١)</sup> وله سبحانه  
 الْمَلِكُ كَمَا قُلْتُ عَلَى: ﴿بِئْرِكَ لِي بِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٧٠، ٧١.

(٤) هذه خطبة المظفة وطبقها صحيح روه أهل السنن وغيرهم وقد ورد عن طريق عد من المخطبة منهم أبو موسى الأشعري وعبد  
 للسنن عبل، وحاتون عبد الله وهذا من قول أبي طوق ابن مسعود وأخرج عليه لإمام أحمدي مستوفي مسند عبد الله بن  
 مسعود (٣٩٢/١)، رقم (٣٣٧)، وأورد كلب الكلب، بيا ماجاني خطبة الكلب من ٤٢٨، رقم الحديث ٢١٨،  
 والثمالي، كلب الكلب، بيا ماجاني خطبة الكلب من ٢٥١، رقم ١١٠٥، وقال أبو عيسى: حدثني عبد الله بن عيسى، روه  
 لأعشى محمدين يلحظ عن أبي لأعشى عن عبد الله بن أبي روف وشعبة عن أبي يحنظ عن أبي عبيدة عن عبد الله بن أبي حمزة  
 بن عبد الله بن مسعود وكلا الحديثين صحيحين وأخرجه السنني، كلب المظفة، بيا كيفية المظفة من ١٦٦، رقم الحديث ١٤٠٤، وكل  
 رسول للتصلي لله عليه وسلم يعلمها طبعه أن يقتوا إما آخر تورهم، وفتح كثير من العلماء كتبهم بما.

وملكه لا يحيط به مخلوق، ومن أمعن الفكر وأنعم النظر في آيات القرآن الكريم وجد الكثير من آيات القرآن الكريم تتحدث عن سعة مُلك الله تعالى كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولما كان لله تعالى هو الملك وله الملك الخلق سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فإنه يجب على بعض ملوكه على سبيل العريضة لبعض عباده وطلب لحظة الفلح إلى ذلك

فالناس أصناف مختلفة، وأطوار متباينة، ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين، وبالتباين متفقين، فلا بد لهم من راعٍ، يهبه الله من ملكه، وأوجب عليه حراسة الرعية وإقامة ميزان العدل بينهم، والرعية تستظمي إلى الملك الراشد استظماء أهل الجذب إلى الغيث الوايل.

ولقد ابتليت لأمة لإسلامي في العصور للتأخرة بملك الصلح التي جوع الرعية حتى ألون العنبل، وصلت الحياة حيمالا يظن، وتفضلت ستة للذي لأرض زوال هذا الملك، كما قل تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ عَنْ مُلْكِهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> الملك من تساءلوه من تساءلوه على كل شيء قبيح<sup>(٣)</sup>.

ونحن نعني في هذه الأيام على وقع تلك السنة، بعد ما طال مقام هذا الملك الصلح للصلح التي بد كل فوس التمية والحط، ولتتبطها بتعبير لأرض ولا تسكن وكل مقومت لأمة، لتتبطها بلا حله المريح نحو الملوية، ولا غولية تلك طبيعة الملك الصلح للصلح

ولذا أردت أن أتبع آيات الملك في ضوء القرآن الكريم وأدرسها دراسة موضوعية للتعرف على معنى الملك، وكذلك لتعريف الملوك أن الملك الحق لله تبارك وتعالى وذلك من خلال التعرف على اسم الله الملك والمالك والمليك، وكذلك التعريف بأن الله هو خالق كل شيء ومليكه، وأنه المتفرد بالملك يوم القيامة، وأن الله يمتن بملكه على بعض عباده فلا يغتر أحدٌ بذلك الملك، وذكر نماذج للملك الراشد ونماذج للملك الفاسد ومهمات الملك الراشد وآثاره وكذلك آثار الملك الفاسد ونهايته وهذا ما أحاول أن أوضحه في هذه الرسالة وأسأل الله التوفيق والسداد.

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الملك، الآية: ١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

## أسباب اختيار البحث:

إن القرآن الكريم كتاب الله المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة لا يشيع منه العلماء، لا تنقضي عجائبه، صالح لكل زمان ومكان فالأمثلة والوقائع التي ذكرها القرآن تتكرر والأحداث تتجدد وإن اختلفت الأسماء والصور فالنتائج واحدة، كالوقائع المشهود في أحوال الملوك اليوم، لذلك كان الحديث عنه ضرورياً لكل مسلم حتى يبصر بواقع الملوك وحقيقته وآثاره، كما أن هذا الموضوع لم يأخذ حقه الوافي في الدراسة، وكذلك لتساهم هذه الدراسة بإذن الله في إثراء المكتبة الإسلامية، وهي مساهمة متواضعة في خدمة الكتاب العزيز.

## مشكلة البحث:

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالملك في القرآن الكريم؟

٢- ما هي الأساليب القرآنية في عرض الملك؟

٣- ما هي أنواع الملك في القرآن الكريم؟

٤- ما هي مهمات الملك وآثاره؟

## أهداف البحث:

١- توضيح أن الملك الحق لله تعالى وأنه تعالى من يرضى ملكه على من يشاء.

٢- تعريف كل من يتولى الحكم أنه محض فضل من الله وحده فلا يعتر به.

٣- توضيح أن الملك الربند هو الظلة الوحيدة التي تستطيع أن تجمع المسلمين وتوحيدهم وقوي شوكتهم وتحمي حضتهم وتجعلهم يقفون في حلق واطلوا لوجهة أطلهم.

٤- بيان مهمات الملك والراشد وآثاره الطيبة.

٥- توضيح نهاية الملك الفاسد وآثاره على المجتمعات.

٦- استنهاض الهمم وحشد الطاقات وبعث الأمل في نفوس أبناء الأمة.

٧- خدمة طلبة العلم والمكتبة الإسلامية لمسيس الحاجة إلى هذه الدراسات.

## الدراسات السابقة:

لم أجد في حدود اطلاعي كتب أو رسائل علمية درست موضوع الملك في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، لكنني وجدت لفتات وإشارات متنوعة في الكتب لعلها ليست أبحاثاً متكاملة مبنية مثل:

- ١- الطرطوسي، نجم الدين إبراهيم علي الحنفي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية.
- ٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، درر السلوك في سياسة الملوك، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٣- ابن الأزرقي، محمد بن علي بن محمد الأصبحي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، الطبعة الأولى، (دار السلام، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ٤- الجاحظ، ابن عثمان عمرو بن بحر، التاج في أخلاق الملوك، الطبعة الأولى، (بيروت: دار صعب، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).
- ٥- الشيرازي، عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن، المنهج السلوك في سياسة الملوك، (مكتبة المنار ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

## منهج البحث:

منهجي في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، أما الطريقة التي سأسير عليها في كتابة البحث فكما يلي:

- ١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية.
- ٢- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع في سور القرآن وتبع آراء المصنفين فيها من كتب التفسير.
- ٣- نقل الأحاديث من كتب السنة.
- ٤- عزو الأحاديث والآثار إلى كتب السنة التي أخذتها منها.
- ٥- التوجه لبعض الأعلام الغير مشهورة لوراثة الرجوع على كتب الرجال والتراجم.
- ٦- الرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة وكتب الغريب في البحث للوقوف على معاني الألفاظ الغامضة.
- ٧- الالتزام بدليل كتابة الرسائل الخاصة بالجامعة في التوثيق.

٨- في حالة الاقتباس النصي، أضع النص بين علامتي التنصيص.

٩- في حالة الاقتباس النصي، وترك شيء من النص الأصلي، فإن كان المتروك من النص سطراً أو دون ذلك، أضع مكانه ثلاث نقاط أما إذا زاد النص المتروك عن سطر فأضع خمس نقاط.

### هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

### تقسيمات البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلي:

\* المقدمة: وتشمل التمهيد لموضوع الرسالة وأسباب اختياره ومشكلة البحث وأهدافه والدراسات السابقة، ومنهج البحث وهيكل البحث وتقسيمات الرسالة والمعنى اللغوي والشرعي للملك ثم الملك في الاستعمال القرآني.

\* الفصل الأول: الملك الحق، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء الله الحسنى المتعلقة بالملك وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الله الملك.

المطلب الثاني: اسم الله المالك.

المطلب الثالث: اسم الله المليك.

المبحث الثاني: الله جل جلاله خالق كل شيء ومالكة.

المبحث الثالث: المتفرد بالملك يوم القيامة.

\* الفصل الثاني: الأساليب القرآنية في عرض الملك وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الامتنان بالملك على بعض عبادته وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في سبب وجود الملك.

المطلب الثاني: الله يمتن على من يشاء من عباده.



المبحث الثاني: المُلْك والقيادة العسكرية.

المبحث الثالث: المُلْك والاعتزاز به.

\* الفصل الثالث: أنواع المُلْك في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجمع بين المُلْك والنبوة.

المبحث الثاني: مُلْك راشد.

المبحث الثالث: مُلْك فاسد مفسد.

\* الفصل الرابع: مهمات المُلْك وآثاره وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مهمات المُلْك الراشد وآثاره وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مهمات المُلْك الراشد.

المطلب الثاني: آثاره الطيبة.

المبحث الثاني: آثار المُلْك الفاسد وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: فوات كل ما يترتب على المُلْك الراشد.

المطلب الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله.

المطلب الثالث: التكذيب بآيات الله تعالى وافتراء الكذب على الله تعالى.

المطلب الرابع: الصد عن سبيل الله ومنع ذكر الله.

المطلب الخامس: تزييف الحقائق ووضع الأشياء في غير موضعها.

المطلب السادس: الاختلاف والتفرق.

المطلب السابع: زوال النعم وهلاك ما كانوا به يعترفون.

المطلب التاسع: عدم الفلاح في الدنيا والآخرة.

المطلب العاشر: حصول العداوة بين أركان المُلْك وأتباعهم في الآخرة.

\* الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات المستفادة من البحث.

## معنى المُلْك في اللغة:

قال ابن فارس<sup>(١)</sup>: «الميم واللام والكاف، أصل صحيح، يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أَمَلَكُ عَجِينَةً: قَوَّيْتُ عَجْنَةً وَشَدَّدْتُ، وَمَلَّكْتُ الشَّيْءَ قَوِّيتُهُ وَالْأَصْلُ هَذَا، ثُمَّ قِيلَ مَلَّكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مَلِكًا، وَالاسْمُ الْمُلْكُ، لِأَنَّهُ يَدُهُ فِيهِ قُوَّةٌ صَحِيحَةٌ. فَالْمُلْكُ: مَا مَلَّكَ مِنْ مَالٍ<sup>(٢)</sup>».

وفي العين: المُلْكُ لله المالك المليك، والملكوت: مُلْكُ الله، وملكوت الله بسلطانه، والمَلِكُ: ما ملكت اليد من مال وخول<sup>(٣)</sup>.

وفي اللسان: المُلْكُ: معروف وهو يذكر ويؤنث كالسلطان، ومُلْكُ الله تعالى وملكوته: سلطانه وعظمته، وقال ابن سيده<sup>(٤)</sup>: المَلِكُ والمَلِكُ والمَلِكُ: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به، مَلِكُهُ يَمْلِكُهُ مَلِكًا وَمَلِكًا وَمُلْكًا وَتَمَلُّكًا؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ<sup>(٥)</sup>، لَمْ يَحْكُهَا غَيْرُهُ... وَمَالُهُ مَلِكٌ وَمَلِكٌ وَمُلْكٌ وَمُلْكٌ أَي شَيْءٍ يَمْلِكُهُ؛ كُلُّ ذَلِكَ

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين وأقام مدة في هزان ثم انتقل إلى الري وتوفي بها. من تصانيفه في علم العربية كتاب مقاييس اللغة ستة أجزاء، والمجمل، والصاحي وله جامع التأويل في تفسير القرآن أربعة مجلدات وكتاب حلية الفقهاء وكتب أخرى قال الذهبي: مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. (انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، طبقات المفسرين، ت: علي محمد عمر، ط ١، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٦)، ١ / ١٥، موسوعة الأعلام، وزارة الأوقاف المصرية، ١ / ٤٣٩).

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)، مادة «ملك»، ٥ / ٣٥١ - ٣٥٢.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ٥ / ٨٩.

(٤) هو علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ = ١٠٠٧ - ١٠٦٦ م): إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريباً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للامير أبي الجيش مجاهد العامري ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف "المخصص - ط" سبعة عشر جزءاً، وهو من أئمة كنوز العربية، و"الحكم والمحيط الأعظم - ط" أربعة مجلدات منه، و"شرح ما أشكل من شعر المتنبي - خ" و"الانيق" في شرح حماسة أبي تمام، ستة مجلدات، وغير ذلك. (الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، ط ٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٤ / ٢٦٤.

(٥) هو علي بن المبارك - وقيل: ابن حازم - أبو الحسن اللحياني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة. وقيل: سمي به لعظم لحيته. أخذ عن الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وأبي عبيدة، وعمدته علي الكسائي. وأخذ عنه القاسم بن سلام؛ وله النوادر المشهورة. (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: المكتبة العصرية)، ٢ / ١٨٥.

عن اللحياني، وحكي عن الكسائي<sup>(١)</sup>: ارحموا هذا الشيخ الذي ليس له مُلْكٌ ولا بصر أي ليس له شيء بهذا فسرره اللحياني، قال ابن سيده: وهو خطأ، وحكاه الأزهري<sup>(٢)</sup> أيضاً وقال: ليس له شيء يملكه. وحكي اللحياني: مُلْكٌ ذا أمر أمره، كقولك مُلْكُ المال رَبِّه وإن كان أحق، قال هذا نص قوله: ولي في هذا الوادي مُلْكٌ ومُلْكٌ ومُلْكٌ يعني مرعي ومشرباً ومالاً وغير ذلك مما تملكه، وقيل: هي البئر تحفرها وتنفرد بها<sup>(٣)</sup>. وفي المفردات: المُلْكُ ضربان: ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوة على ذلك، تولى أو لم يتول.

فمن الأول قوله: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾<sup>(٤)</sup>، ومن الثاني قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾<sup>(٥)</sup> فجعل النبوة مخصوصة والمُلْكُ عام، فإن معنى المُلْكُ ههنا هو القوة التي يترشح للسياسة لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر فذلك مناف للحكمة كما قيل لا خير في كثرة الرؤساء.

قال بعضهم: المُلْكُ اسم لكل من يملك السياسة إما في نفسه وذلك بالتمكين من زمام قواه وصرفها عن هواها، وإما في غيره سواء تولى ذلك أو لم يتول على ما تقدم... فالملْكُ ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم<sup>(٦)</sup>.

(١) هو إمام الكوفيين أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، نشأ بالكوفة وأخذ القراءة عن حمزة الزيات وتميز بقراءة خاصة فعد من القراء السبعة مات رحمه الله سنة ٥١٨٩هـ. راجع: المعجم الصغير لرواة ابن جرير الطبري، ٨٢٦/٢، ترجمة ٦٥٥٦. وتاريخ الادب العربي للزيات ص ٤٢٠.

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهري الطروي، أبو منصور (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ = ٨٩٥ - ٩٨١ م): أحد الائمة في اللغة والادب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده "الأزهر" عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم. ووقع في إفسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن " يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن " كما قال في مقدمة كتابه " تهذيب اللغة - ط ". ومن كتبه " غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء - خ " و " تفسير القرآن " و " فوائد منقولة من تفسير للمزني - خ ". ( انظر: الزركلي: الأعلام، ٣١١/٥).

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨م)، مادة: ملك، ١٢٦/١٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٦) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (سوريا: دار القلم)، ٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥.

وبين ابن القيم<sup>(١)</sup> أن: حقيقة المُلْك: إنما تتم بالعطاء والمنع، والإكرام والإهانة، والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل وإعزاز ما يليق به العِزُّ، وإذلال من يليق به الذل<sup>(٢)</sup>، مما سبق نقول أن المُلْك في اللغة احتواء الشيء والقدرة عليه، وكونه تحت تصرفك.

### معنى المُلْك في الشرع:

ورد لفظ المُلْك والمَلِك والمَالِك ومالك الملك في آيات كثيرة في كتاب الله، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾<sup>(٥)</sup> وغيرها.

قال الطبري<sup>(٦)</sup> - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾<sup>(٧)</sup>: «وهو ملك جميع الخلق إنسهم وجنهم وغير ذلك، إعلاماً منه بذلك من كان يعظم الناس، تعظيم

---

(١) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، فقيه، أصولي، مجتهد، مفسر، نحوي، محدث، مشارك في غير ذلك، ولد بدمشق وتفقه، وأفنى، ولازم ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق وتوفي في (عام ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م) ودفن في سفح قاسيون بدمشق ومن تصانيفه روضة المحبين ونزهة المشتاقين، زاد المعاد في هدي خير العباد، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تهذيب سنن أبي داود وغيرها الكثيرة وله نظم (معجم المؤلفين: ٩/٢٠٦).

(٢) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط ١ (لبنان: مؤسسة المعارف، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)، ص ٢٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٦) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، ولد في أمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري في الجزء ١، وجامع البيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الطبري في ٣٠ جزءاً، واختلاف الفقهاء والمسترشد في علوم الدين وجزء من الاعتقادات والقراءات وغير ذلك وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم فصيحاً (انظر الإعلام للزركلي: ٦/٦٩).

(٧) سورة الناس، الآية: ٢.

المؤمنين ربهم؛ أنه ملك من يعظمه وأن ذلك في ملكه وسلطانه، تجري عليه قدرته، وأنه أولى بالتعظيم وأحق بالتعبد له ممن يعظمه، ويتعبد له، من غيره من الناس»<sup>(١)</sup>.

كما ورد لفظ المُلْك في السنة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»<sup>(٢)</sup>. ومعنى المُلْك في الكتاب والسنة، هي المعنى الوارد في اللغة، يقول شيخ الإسلام<sup>(٣)</sup> - رحمه الله -: والمُلْك قد يراد به القدرة على التصرف، والتدبير، ويراد به نفسه التدبير، والتصرف، ويراد به المملوك نفسه، الذي هو محل التدبير، ويراد به ذلك كله<sup>(٤)</sup>.

فالمُلْك يعني التصرف والتدبير، والقدرة على ذلك.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١ (مؤسسة الرسالة ١٣٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ٣٠ / ٣٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، ص: ١٧٨٣، رقم الحديث: ٧٣٨٢.

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحاراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أهما ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أهما تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها (الجوامع - ط) في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية) و (الفتاوى - ط) خمسة مجلدات، و (الايان - ط) و (الجمع بين النقل والعقل - خ) الجزء الرابع منه، والثالث في ٢٦٧ ورقة كتب سنة ٧٣٧ في شستربري (٣٥١٠) و (منهاج السنة - ط) و (الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان - ط) و (الواسطة بين الحق والخلق - ط) و (الصارم المسلول على شاتم الرسول - ط) و (مجموع رسائل - ط) فيه ٢٩ رسالة، و (نظرية العقد - ط) كما سماه ناشره، واسمه في الأصل (قاعدة) في العقود و (تلخيص كتاب الاستغاثة - ط) يعرف بالرد على البكري، وكتاب (الرد على الاخنائي - ط) و (رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ط) رسالة، و (شرح العقيدة الأصفهانية - خ) رأته في المكتبة السعودية بالرياض، و (القواعد النورانية الفقهية - ط) و (مجموعة الرسائل والمسائل - ط) خمسة أجزاء.

(٤) (التوسل والوسيلة - ط) و (نقض المنطق - ط) و (الفتاوى - خ) و (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - خ) و (مجموعة - ط) أخرى اشتملت على أربع رسائل: الأولى رأس الحسين (حقق فيها أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن في البقيع) والثانية الرد على ابن عربي والصوفية، والثالثة العقود المحرمة، والرابعة قتال الكفار. ولاين قدامة كتاب في سيرته سماه (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - ط) وللشيخ مرعي الحنبلي، كتاب (الكواكب الدرية - ط) في مناقبه، ومثله لسراج الدين عمر بن علي ابن موسى البزار، وللشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري. (الزركلي، الأعلام، ١/ ٤٤٤).

(٤) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، وأشرف جلال الشرفاوي (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦ م) ١٨ / ١٩٥.

## المُلك في الاستعمال القرآني:

وردت كلمة للملك بضم الليم وسكون اللام مجردة ومعرفتي الالفة وأرعى موضعاً في كتاب الله تعالى، أكد في إثبات للملك على مطلقاً، وضمناً إلى بعض خلقه كالسموات والأرض والبقية في إثبات للملك لبعض خلقه، ويمكن أن تدبر في القتل لآية:

١- الملك المطلق لله تعالى، في المفردات: والملك الحق الدائم لله قال تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَزِرُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

فله سبحانه التصرف المطلق في الكون كله في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup> إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن الملك ملك الله تعالى.

٢- إذا كان الملك ملك الله فإنه لا ينازعه في هذه الصفة أحد من خلقه كائناً من كان، فهو لا شريك له تعالى في ملكه، المتفرد بالملك والتصرف في الأشياء، ولذا نفى الله تعالى عنه الشريك في ملكه قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ

(١) سورة النعابن، الآية: ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ٢/ ٣٨٥.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٣.

(٦) سورة النعابن، الآية: ١.

(٧) سورة الملك، الآية: ١.

لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١﴾، ونعى على بني إسرائيل استنثارهم بفضل الله في الملك والنبوة وحصرها فيهم حيث قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ﴿٢﴾.

٣- ولما كان الملك المطلق لله تعالى فهو بفضلِه ومنتَه يمنحه من يشاء من خلقه بحكمته وعلمه كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَرِغُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣﴾ وقد ميز بعض خلقه بذلك، وذلك من رحمته سبحانه بخلقه حيث لا يستقيم أمرهم، ولا تحصل مصالحهم وتدرأ مفسادهم إلا بتملك بعضهم بعض، وممن أتاه الله الملك من خلقه آل إبراهيم قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤﴾.

ومنهم آل فرعون كما قال مؤمنهم ناصحا وواعظا لهم: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٥﴾ ومنهم الصالحون كالأنبياء عليهم السلام فلقد أتى الله تعالى داود -عليه السلام- الملك مع النبوة قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾ وكذلك سليمان -عليه السلام- وآتاه الله ملكا خاصاً: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ﴿٧﴾. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ... الآية﴾ ﴿٨﴾.

ومنهم غير أنبياء كطالوت قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا... الآية﴾ ﴿٩﴾ ومنهم الطغاة المستكبرون كالذي حاج إبراهيم في ربه قال

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١١..

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٧) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ..... الْآيَةَ﴾<sup>(١)</sup>، ومنهم فرعون الذي طغى وتجبر بملكه ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الآخرة يكرم الله تعالى عباده المؤمنين بالجنة ويرزقهم فيها النعيم المقيم والمُلْك الكبير الذي لا يخلق ولا يبلى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> ولما وسوس الشيطان لآدم -عليه السلام- وهو في الجنة أغراه بهذه الصفة العظيمة قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- وكما أن المُلْك والتصرف المطلق لله تعالى في الدنيا، وبما أن بعض المخلوقين قد يرى لنفسه أو لغيره ملكاً يضاهي ملك الله تعالى أو ينازعه في بعضه؛ يتجلى في الآخرة ملك الله العظيم القاهر، ويستيقن الجميع بهذه الحقيقة قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾<sup>(٧)</sup> وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٨)</sup>.

فالْمُلْك صفة ذاتية لله تعالى، وتعني ملكه لجميع الأشياء وتصرفه وتديره في ملكه بلا مدافعة ولا ممانعة وقدرته على ذلك ويهب بعض هذا المُلْك لبعض عباده في الأرض ويوم القيامة المُلْك له وحده تعالى.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٢٠.

(٤) سورة طه، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٧٢.

(٦) سورة الحج، الآية: ٥٦.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٨) سورة غافر، الآية: ١٦.



## الفصل الأول: المُلْك الحق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء الله الحسنى المتعلقة بالملك

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الله (الملك).

المطلب الثاني: اسم الله (المالك).

المطلب الثالث: اسم الله (المليك).

المبحث الثاني: الله جل جلاله خالق كل شيء ومالكه.

المبحث الثالث: المتفرد بالملك يوم القيامة.

## المبحث الأول: أسماء الله الحسنى المتعلقة بالملك

### المطلب الأول: اسم الله (الملك)

الملك اسم جامع لأسماء الله تعالى الحسنى وَعَلَّمَ عَلَيْهَا، فالله هو الملك، والملك هو الله على الحقيقة.

ولقد ورد الاسم في القرآن والسنة مطلقاً معرّفاً بالألف واللام مراداً به العلمية ودالاً على كمال الوصفية، وقد ورد المعنى مسنداً إليه محمولاً عليه، وقد ورد اسم (الملك) في القرآن الكريم ست مرات في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>، قرأ الكسائي وعاصم<sup>(٢)</sup>: (مالك يوم الدين)، وقرأ باقي السبعة (ملك)<sup>(٣)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(٤)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾<sup>(٦)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٧)</sup>، وفي قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ﴾<sup>(٨)</sup>.

وجاء في السنة فعند مسلم<sup>(٩)</sup> من حديث علي رضي الله عنه في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة: «...اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... الحديث»<sup>(١٠)</sup>، وعند البخاري<sup>(١١)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «سمعت

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٢) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود، أسدي، قارئ متقن، قرأ على ذر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي بالكوفة عام ١٢٧هـ. (الذهبي، طبقات القراء، ٣٤٦/١، ترجمة رقم ١٤٩٦).

(٣) عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، (دمشق: دار سعد الدين للطباعة، ٢٠٠٠م)، ص ٨/١.

(٤) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٣-١٩٩٣م)، ٦٠/١.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٧) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٨) سورة الجمعة، الآية: ١.

(٩) سورة الناس، الآية: ١-٢.

(١٠) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه مات سنة إحدى وستين ومئتين وله سبع وخمسون سنة. (ابن حجر، تقريب التهذيب، ص ٧٨٩، ترجمة رقم ٦٦٦٧).

(١١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ٣٥٨، حديث رقم ١٨٠٩.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»<sup>(٢)</sup>، وعند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يتزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ ... الحديث»<sup>(٣)</sup> وغيرها من المواضع في كتب السنة<sup>(٤)</sup>.

والملك يدل صريحاً على من تنفذ أوامره، ويتضمن أموراً عجيبة فمن ذلك كرم الذات ونزاهة الصفات، ولذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾<sup>(٥)</sup> فبدأ بتزيه ذاته المقدسة، وكذا قوله ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر»<sup>(٧)</sup>، وكان هذا الوعيد على الملك الكذاب لما يجب عليه من نزاهة نفسه عن دنيات الأمور، ولأنه لا ضرورة تدعوه لذلك إلا أن يكون قد ألف ذلك حتى تخلق بأخلاق السفلة من الناس.

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ = ٨١٠ - ٨٧٠ م): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح - ط) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ - ط) أجزاء منه، و (الضعفاء - ط) في رجال الحديث، و (خلق أفعال العباد - ط) و (الأدب المفرد - ط). ولد في بخارى، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فرار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من قرى سمرقند) فمات فيها. وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها، وهي: صحيح البخاري (صاحب الترجمة) وصحيح مسلم (٢٠١ - ٢٦١ هـ وسنن أبي داود (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ وسنن الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ وسنن ابن ماجه (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ وسنن النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ ولشيخنا محمد جمال الدين القاسمي (حياة البخاري - ط). (انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٤/٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾، ١٢٢٦، حديث رقم ٤٨١٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ٣٥٠، رقم الحديث ١٧٧٠.

(٤) الرضواني، محمود عبدالرازق، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، ط١، (القاهرة: مكتبة سلسبيل، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص: ٢٤٤-٢٤٥.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ إسبال الثياب والمن بالعطية...، ١٠١، حديث رقم ٢٩٢، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

والمَلِكُ الحقيقي هو الله وحده لا شريك له، ولا يمنع ذلك وصف غيره بالملك كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾<sup>(١)</sup> وغيرها من الآيات التي سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

فهذا مَلِكٌ مخلوق ومُلْكُه مقيد محدود، أما المَلِكُ الحق فهو الذي أنشأ المَلِكُ وأقامه بغير معونة أحد من الخلق، وصرف أموره بالحكمة والرحمة والعدل والحق، وله الغلبة وعلو القهر على من نازعه في شيء من المَلِكِ.

وهذا الاسم من أمهات الأسماء وهو يحتوي على معاني أكثرها، فليس في الأسماء ما يعارضه، ولهذا انفرد سبحانه اسماً واستحق التسمية به لأمر لا توجد لغيره.

قال القاضي بن العربي<sup>(٢)</sup>: اختص سبحانه بنعوت -اقتضاها كونه ملكاً- جماعها أحد عشر حكماً: أحدها: أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء ويستحيل عليه الإذلال.

الثاني: أنه المملك لغيره السالب له.

الثالث: أنه الممكن لسواه المانع له.

الرابع: أنه يولي ويعزل ولا يتوجه عليه العزل.

الخامس: أنه المنفرد بالعز والسلطان لا يشاركه فيه أحد.

السادس: أنه يقضي ولا يقضى عليه.

السابع: أن الإنفاق إليه، يرزق ولا يرزق، ويُطعم ولا يُطعم.

الثامن: أنه يُؤلم ولا يتألم.

التاسع: أنه يضر وينفع، ولا يتوجه إليه الضرر والنفع.

العاشر: أنه يحرس ولا يحرس.

الحادي عشر: أن العرض إليه، والثواب والعقاب إليه، والعفو لا يرجى إلا لديه، وفي كل نعت منها آية وحديث يدل عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي الإمام الحافظ المتبحر، خاتمة علماء الأندلس، له مصنفات تشهد له بالفضل والعلم توفي سنة ٥٤٣هـ. (انظر: شجرة النور الزكية ١/٣٦).

(٣) القرطبي، ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، ط ١، (بيروت: المكتبة العصرية، ٤٢٦-٥١٤٢٠٥م)، ص ٣٧٣-٣٧٥ بتصرف.

فالمملك -عز وجل- هو الذي له الأمر والنهي في مملكته وهو الذي يتصرف في خلقه بأمره وفعله، وليس لأحد عليه فضل في قيام مُلكه أو رعايته.

واسم الملك يدل على ذات الله تعالى وعلى صفة الملك بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، فالملك من بيده المُلْك المطلق التام الذي لا يشاركه أحد فيه، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾<sup>(٢)</sup> واسم الله الملك يدل بالضرورة على الحياة والقيومية والعلو والسيادية والعلم والمشية وغيرها من صفات الكمال؛ فلا يتصور ملك دائم له المُلْك التام المطلق بغير هذه الصفات؛ فالملك الحق هو الذي يستغنى بذاته وصفاته عن كل ما سواه ويفتقر إليه كل موجود سواه كما بان مما سبق.

ومن أهم القضايا المتعلقة بدلالة اللزوم إثبات علو الملك وفوقيته واستوائه على عرشه فإذا كان كل ملك يلزمه لإثبات مُلكه أن يستوي على عرشه مع دوام فوقيته وعلوه وهذا وصف كمال في حقه، فالملك الخالق أولى بالكمال من المخلوق؛ ولا سيما أن الله أثبت ذلك لنفسه فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٣)</sup>، فإثبات استواء الله على عرشه من لوازم توحيده في اسمه الملك؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

وقد ورد الدعاء بالاسم المطلق في الحديث الذي تقدم عند مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة وفي دعاء المسألة بالوصف، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِلُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) سورة الملك، الآية: ١.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٥) الرضواني، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup> ، وفي دعاء سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعند البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجند منك الجند»<sup>(٤)</sup>، وروى مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. الحديث»<sup>(٥)</sup>.

ويعد دعاء العبادة هو أثر الإيمان بتوحيد الله في اسمه الملك، ويتجلى ذلك في تعظيم الملك ومحبته وموالاته وطاعته، وتوحيده في عبوديته، والاستجابة لدعوته، والغيرة على حرمة، ومراقبته في السر والعلن، ورد الأمر إليه وحسن التوكل عليه، ودوام الانتقال إليه وأعظم جرم في حق الملك الأوحى منازعته على ملكه، أو نسبة شيء منه إلى غيره، فصانع الشيء ومؤلفه هو مالكه المتصرف فيه، ولو اعتدى أحد عليه بسلب ملكه ونسبته إلى نفسه أو غيره سواء بالفعل أو بالإدعاء لكان ظلما مدعيا ما ليس له بحق.

أما من جهة التسمية بعبد الملك والتعبد بهذا الاسم فكثير من السلف ورواة الحديث تسموا به، منهم عبد الملك بن أبي بكر، من صغار التابعين وهو ثقة<sup>(٦)(٧)</sup>.

(١) سورة ال عمران، الآية: ٢٦.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ١٥٦٣، رقم الحديث ٦٣٣٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ١٢٣١، رقم الحديث ٦٨٤٧.

(٦) ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، ط (القاهرة: دار الكوثر، ١٤٣١هـ -

٢٠١٠م)، ص ٥١١، رقم الترجمة ٤١٩٥.

(٧) الرضواني، مرجع سابق، ص ٢٤٨-٢٤٩.

كما أنه لا يجوز أن يسمى أحد بملك الأملاك لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أغيب رجل على الله يوم القيامة وأحبته وأغيبه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله»<sup>(١)</sup>. وأما ملك كما بان فيجوز أن يوصف بمفهومها من اتصف بها، قال الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾<sup>(٢)</sup>. وإنما أذن الله سبحانه في هذه الإطلاق، لأن الملك نيابة شرعية، والملك في عرف العرب وصف عارض يستحقه كل من مَلَكَ مُلْكًا.

### المطلب الثاني: اسم الله جل جلاله المالك

ورد اسم المالك في القرآن على سبيل الإضافة والتقيد مراداً به العلمية ودالا على الوصفية، وإن كانت الإضافة تحمل معنى الإطلاق في الملكية، لكنه ورد في السنة النبوية مطلقاً، فورد في القرآن في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٣)</sup> وهي قراءة متواترة قرأ بها عاصم والكسائي<sup>(٤)</sup>، وورد في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

والحق سبحانه وتعالى مالكاً لعالم الغيب والشهادة وما فيهما كما بينت الأدلة فهو المالك إذاً على سبيل الإطلاق أزلاً وأبداً، ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاسم على سبيل الإطلاق الصريح مراداً به العلمية ودالا على كمال الوصفية، فيما ثبت عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله»<sup>(٦)</sup> فالذي ورد في القرآن يعد وصفاً أكثر من كونه اسماً، لكن الذي يجعله اسماً ووصفاً هو ما سماه به الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق الذكر<sup>(٧)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك، ١٠١٠، رقم الحديث ٥٥٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٤) عبد اللطيف الخطيب، مرجع سابق، ٨/١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب تكريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك، ١٠١٠، رقم الحديث ٥٥٧٥.

(٧) الرضواني، مرجع سابق، ص ٥٩٥-٥٩٦.

والمالك في اللغة اسم فاعل من ملك يملك فهو مالك، والله -عز وجل- مالك كل شيء ومصرفها على إرادته لا يمتنع عليه منها شيء؛ لأن المالك للشيء في كلام العرب هو المتصرف فيه والقادر عليه.

والله -عز وجل- مالك الملك، مُلكه عن أصالة واستحقاق لأنه الخالق الحي القيوم الوارث فالله هو الذي فطر الشيء وأنشأه وخلقه وإذا كان ملوك الدنيا لا يمكن لأحدهم أن يؤسس مُلكه بجهده منفرداً؛ فلا بد له من ظهير أو معين سواء من أهله وقرابته، أو قبيلته وعشيرته فإن الله هو المتفرد بالملكية حقيقة فلا أحد ساعده في إنشاء الخلق أو عاونه على استقرار المُلك، وكذا دوام الحياة فهو علة أخرى لاستحقاق الملك لأنه يوجب انتقال الملكية وثبوت التملك. فالحياة وصف ذات الله والإحياء وصف فعله، فالمُلك سيؤول إلى خالقه ومالكة كما قال: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمُلك لله في المبتدأ عند الخلق والمُلك لله في المنتهى عند زوال الأرض.

وقد اختلف العلماء في أي الاسمين أبلغ ملك أم مالك؟ في الأسنى قال ابن العربي: ذهب قوم إلى أن قولنا «مالك» أبلغ من «ملك» لأنه أعم لثلاثة وجوه: الأول: أنك تضيفه إلى العام والخاص، فتقول: مالك الدار والأرض والثوب كما تقول: مالك الأملاك. الثاني: أنه يطلق على مالك القليل كما يطلق على مالك الكثير، ولا يقال «ملك» إلا على الكبير، وإذا تأملت هذين القولين وجدتهما واحداً.

والثالث: أن تقول: مالك الملك ولا تقول: ملك المُلك.

وقال أبو حاتم<sup>(٣)</sup>: إن مالكا في حق مدح الخالق أبلغ من «ملك»، و «ملك» أبلغ في مدح المخلوقين من «مالك» والفرق بينهما أن المالك في المخلوقين قد يكون غير ملك،

(١) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني: من كبار العلماء باللغة والشعر. من أهل البصرة كان المبرد يلازم القراءة عليه. له نيف وثلاثون كتاباً، منها كتاب (المعمرين - ط) و(النخلة - ط) و(ما تلحن فيه العامة) و(الشجر والنبات) و(الطين) و(الاضداد - ط) و(الوحوش) و(الحشرات) و(الشوق إلى الوطن) و(العشب والبقل) و(الفرق بين الآدميين وكل ذي روح) و(المختصر) في النحو على مذهب الأخفش وسيبويه. وله شعر جيد. (انظر: الأعلام للزركلي، ٤٣/٣).



وإذا كان تعالى مالكاً كان ملكاً فإن وصف الله تعالى بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله.

وقال أبو عبيد<sup>(١)</sup> والمبرد<sup>(٢)</sup> وغيرهما: إن «ملك» أبلغ وأعم من «مالك» إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ في ملكه فلا يستطيع أن يتصرف إلا بتدبير الملك<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم: «الفرق بين الملك والمالك أن المالك هو المتصرف بفعله، والمالك هو المتصرف بفعله وأمره»<sup>(٤)</sup>.

والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع، والهبة، والعتق ونحوهما؛ و«المالك» يقدر على ما لا يقدر عليه «المالك» من التصرفات العائدة إلى تدبير المملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فـ(المالك) أقوى من (الملك) في بعض الأمور، والمالك أقوى من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه: أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله<sup>(٥)</sup>.

واسم المالك يدل على ذات الله وعلى صفة الملكية بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، والاسم يدل باللزوم على الحياة والقيومية فلا يمكن أن يكون مالك ميتاً أو غافلاً عن ملكه وإلا زال بعضه أو كله ويدل على العلم والمشية والقدرة والعزة والعظمة والقوة والقبض والبسط والإعطاء والمنع والسمع والبصر والحكمة والخبرة؛ فالله جل وعلا لما ذكر ملكيته للأشياء وأنه الذي يمنحها

---

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروي، الشافعي، اللغوي، المؤدب، صاحب (الغريبين) ت: ٤٠١هـ، انظر معجم الأديباء (٢/ ٤٩١)، السير (١٧/ ٤٦١).

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس المبرد إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار (٢١٠-٢٨٦هـ). (انظر إنباه الرواة (٣/ ٢٤١)، السير (١٣/ ٥٧٦)).

(٣) القرطبي، مرجع سابق، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: سيد عمران وعامر صلاح، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣-٢٠٠٢م)، ٩٧٢/٤.

(٥) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧-٢٠٠٧م)، ٤٥/١.

لمن يشاء ذكر بعدها القدرة كلازم لذلك، فاسم الله المالك يدل على هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال بالزوم والاسم دل على صفة ذات<sup>(١)</sup>.

فيجب على المسلم أن يعتقد أنه عبد في مُلك سيده مستخلف في أرضه أمين في ملكه قد ابتلاه فيما أعطاه وامتحنه واسترعاه، أيرد الملك إلى المالك أم ينسب للمخلوق أوصاف الخالق؟ فيتكبر على العباد بنعم الله ويتعالى عليهم بما امتحنه وأعطاه، فالموحد الصادق يتحرى في قوله وفعله توحيد الله في اسمه المالك لا يتوكل إلا عليه ولا يلجأ إلا إليه لعلمه أن أمور الدنيا بيديه، وأن المبتدأ منه والمنتهي إليه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فوجب على الموحد أن يعرف نفسه وحقيقتها وحقيقة النعم وملكيته وأنه لا يليق به إلا التواضع والخضوع، كما أنه يتوجب عليه أن يشكر المالك عند العطاء فكذلك يتوجب عليه أن يصبر عند المنع، فالأمور بيد مالكيها، والنفوس بيد خالقها، يختار لمن يشاء ما يشاء<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثالث: اسم الله جل جلاله المليك

اسم الله المليك ورد في القرآن الكريم مطلقاً يفيد المدح والثناء على الله بنفسه منوناً مراداً به العلمية ودالا على الوصفية وكمالها، وقد ورد المعنى محمولاً عليه مسنداً إليه في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وورد الاسم مقيداً في السنة، فعند الترمذي<sup>(٥)</sup> وصححه الألباني<sup>(٦)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق

(١)الرضواني، مرجع سابق، ص ٥٩٨.

(٢)سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣)الرضواني، مرجع سابق، ص ٥٩٩.

(٤) سورة القمر، الآية: ٥٥.

(٥) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذي، أبو عيسى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ = ٨٢٤ - ٨٩٢ م): من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمى في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ.

مات بترمذ. من تصانيفه (الجامع الكبير - ط) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، و (الشمائل النبوية - ط) و (التاريخ) و (العلل) في الحديث. (انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، ط ١٥٥، (دار العلم للملايين)، ٣٢٢/٦).

(٦) الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، ٢٥٢/٦، رقم الحديث ٢٧٥٣.

رضي الله عنه قال: يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، قال: قل: إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعتك»<sup>(١)</sup>.

والمليكَ في اللغة من صيغ المبالغة على وزن فاعيل فعله ملك يملك ملكاً ومُلكاً، وجمع المليكَ ملكاء، والمليكَ هو المالك العظيم المُلك، فهو اسم يدل على العلو المطلق للملك في ملكه وملكيته، فله علو الشأن والقهر في وصف الملكية، وله علو الشأن والفوقية في وصف الملك والاستواء على العرش<sup>(٢)</sup>.

والمليكَ صيغة مبالغة في إثبات كمال الملكية والملك معاً مع دوامها أزلاً وأبداً، فالمليكَ أكثر مبالغة من الملك والمالك.

المليكَ هو المالك وبناء فاعيل للمبالغة في الوصف، ويكون المليكَ بمعنى الملك<sup>(٣)</sup>، فاسم الله المليكَ يشمل الأمرين معاً الملكية والملك.

والاسم يدل على ذات الله وعلى صفة الملك والمُلك معاً بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن وعلى الصفة وحدها كذلك واسم الله المليكَ يدل باللزوم على مجموع ما دل عليه اسم المالك والملك.

فلما كان اسم الله المليكَ يدل على الكمال المطلق في وصف المُلك والملكية معاً، كان دعاء العبادة متمثلاً في كمال التوحيد والعبودية وخضوع العبد لمليكة بالكلية، فقلبه يطمئن بحبه ولسانه رطب بذكره، وبدنه يسعى لقربه، فلا يلجأ إلا إليه، ولا يعتمد إلا عليه، وبذلك يتحرر من عبودية الشيطان والهوى، ويملك نفسه فلا يجعلها تميل إلى الشر أو تقصر في واجب<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، ١٠٠٧، ٣٣٩٢. صححه ابن حبان، حديث رقم: ٢٣٤٩، و صححه الحاكم ووافقه الذهبي: ٥١٣/١.

(٢) الرضواني، مرجع سابق، ص ٥٤٠.

(٣) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ)، ١٠٤/٨.

(٤) الرضواني، مرجع سابق، ص ٥٤١.

## المبحث الثاني

### الله جل جلاله خالق كل شيء ومالكه

يشهد الكون بكل ما فيه ومن فيه بأنه مخلوق لخالق عظيم له من صفات الكمال وطلاقة القدرة، وعظيم الحكمة ما يتضح في كل شي خلقه، وحدائه المخلوقين وديمومة الله تعالى تؤكد حقيقة الربوبية، والألوهية، والوحدانية والخالقية، والسلطة المطلقة في هذا الكون الذي لا يملكه إلا خالقه، وحافظه ومدبر أمره.

فمن عقيدة المسلم أن يوحد الله بأفعاله، ويعتقد تفرده بالخلق والملك والرزق والتدبير فهو وحده الذي يخلق الخلق ويدبر الأمر، وهو وحده الذي يرسل الرسل ويشرع الشرائع ليحق الحق بكلماته إلى غير ذلك مما لا يحصى العد ولا يحيط بها الخلق.

فالله خالق كل شيء ومليكه قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقل تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. أي له الخلق وله الحرف فله على وعلا فله في هذه الآية الجز التي كل من حقه التأخير للدلالة على أنه على وعلا له الخلق والتدبير والفاطحة للباحية: أن تعلم ما حقه التأخير فييد الحصر والعصر<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، فهو الذي خلق الخلق وقدر المقادير وجعل الخليفة على ما أراد، وهو الذي أعطى كل خلق ما يصلحه، وأعطى كل شيء ما ينبغي له، وهياً كل شيء على ذلك<sup>(٥)</sup>.

فالبسجانه هو المتكلم على الموجودات وليست لها والتم على هدايتها وطلباها وهو التي ظم معيشتها وحر أمها، ودلى هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ لَعَلَّيْ حَقَّ الْمَمْلُوتِ وَالْوَسْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ مَسُوهُ عَلَى النَّوْسِ يُعْطِي اللَّيْلَ الْهَلَّ يَطْلُبُهُ حِينًا

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ٥٤.

(٣) أسلوب الحصر في عظيم من فون علم العلي خطبة، والبلاغة علمة وهي الجملة الواحدة فيها معنيين معاً ثبت المعنى بشيء ثم تقيده عن شيء آخر في الوقت قصير (نظر: الطنجي، عبد العظيم، البلاغة ١، (طبعة دار الأمل للتحريات) ٤٢٥-٢٠٠٥ م) ص ١٢٥.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٥) صلاح الصاوي، أصول الإيمان (١)، ط ١، (مطبعة الجامعة الأمريكية المفتوحة، ٤٣٠-١٩٠٩ م).

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَخْرُوجَاتٍ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيُخَلِّقَ بِهِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ فإلّا سبحانه هو المتكلم بالخلق أجمعين إبداعاً وإلداداً وعلية على كل خص مما حكته قل تعالى: ﴿لَقَدْ هُوَ قَلِيمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (١).

وحقيقة معنى الربوبية في القرآن الكريم وردت في الكثير من آيات القرآن وهو إفراد الله بالخلق والملك والأمر والتدبير، كما قال تعالى عن موسى عليه السلام وهو يبين حقيقة الربوبية لفرعون لما سأله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢)، فأجاب عن الربوبية بإفراد الله بتخليق الأشياء وتكوينها وإنشائها من العدم حيث أعطى كل شيء خلقه وكمال وجوده وإفراد الله بتدبير الأمر في خلقه كهدايتهم والقيام على شئونهم وتصريف أحوالهم والعناية بهم، فهو سبحانه الذي توكل بالخالق أجمعين قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٣).

فإن قال قائل: كيف تجمع بين ما قررت وبين إثبات الخلق لغير الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم في المصورين: «يقال لهم أحيوا ما خلقتهم» (٥) ومثل قوله تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» (٦)؛ فكيف تجمع بين قولك: أن الله منفرد بالخلق: وبين هذه النصوص؟! فالجواب أن يقال: إن الخلق هو الإيجاد؛ وهذا خاص بالله تعالى، أما تحويل الشيء عن صورة إلى أخرى؛ فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقاً باعتبار التكوين، لكنه في الواقع ليس بخلق تام.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٩-٥٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٣.

(٥) سورة المؤمنین، الآية: ١٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من لم يدخل بيتاً فيه صورة، ١٤٩٠، رقم الحديث ٥٩٦١، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتهم».

(٧) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من لم يدخل بيتاً فيه صورة، ١٤٨٨، رقم الحديث ٥٩٥٣، ومسلم، كتاب اللباس، باب من لم يدخل بيتاً فيه صورة، ٥٠٠٩، رقم الحديث ٩٩٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإن قلت: كيف تجمع بين قولك: إن الله منفرد بالملك وبين إثبات الملك للمخلوقين مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>؟

فالجواب: أن الجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن ملك الإنسان للشيء ليس عاماً شاملاً؛ لأنني أملك ما تحت ملك الله - عز وجل - الأشمل والأوسع، وهو ملك تام.

والثاني: أن ملكي لهذا الشيء ليس ملكاً حقيقياً أتصرف فيه كما أشاء، وإنما أتصرف فيه كما أمر الشرع، وكما أذن المالك الحقيقي، وهو الله - عز وجل - فتملك العبد قاصر من حيث التصرف وقاصر من حيث الشمول والعموم<sup>(٣)</sup> بل إن في خلق السماوات والأرض، وما بث الله جل وعلا فيهما من دابة لآيات بينات على وجود الله - عز وجل - تحرق كل شبهة وتخرس كل كفور، وترغم كل مكابر ومعاند لما تتضمنه من الشهادة لله بالربوبية والألوهية على الخلق أجمعين، فهي أدلة على ثبوت خالقها - عز وجل -.

فقد قال الحق تبارك في أوجز صياغة وأبلغ عبارة: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والخطاب القرآني في هاتين الآيتين يواجه الملحددين والمنكرين بهذه الحجة التي لا تملك العقول لها دفعا، يقول لهم: إنكم لا تمارون في حقيقة خلقكم ولا في حقيقة خلق السماوات والأرض، كما لا تمارون في أن المخلوق لا بد له من سبب لوجوده، وإذا تقرر ذلك فلا مناص لكم من الإقرار بوجود الخالق جل في علاه.

ولتصاغ لهم التي تبارك وتعالى هذه الحجة في هذه الأسئلة لإتكاليتها هل خلقوا من غير شيء فوجدوا الإله الخالق؟ وملك في السد ظهر لأن تعلق الخلق بالخلق من ضرورة لأمر لابد له من خلق، فإن أنكروا الإله الخالق، ولم يجدوا غير خلق أنفسهم الخالقون لأنفسهم؟ وملك في السد ظهر، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وكيف يجوز أن يكون مصوفاً بالتصور؟ وإذا جلي الوجهان معا قلت الحجة عليهم بأن لهم خالفاً فلو موا به.

(١) سورة النور، الآية: ٦١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦.

(٣) العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الوسطية، ط٤، (دار ابن الجوزي)، ٤٢٤، (١/٢٢ و ٢٣ و ٢٤) بتصرف.

(٤) سورة الطور، الآية: ٣٥-٣٦.

ولقد أقر بهذا قادة العلوم التجريبية وأساطينها في واقعنا المعاصر وعبروا عنها بقانون السببية، وخلاصته أنه ليس لشيء من الممكنات أن يحدث بنفسه من غير شيء ولا أن يستقل بإحداث شيء لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه.

ولم يزل علماء المسلمين يواجهون عتاة الملحدين بهذا فييهتون ويدعونون وكلماء اكتشف العلم جديداً من سنن الخلق كلما قاد هذا العلم المنصفين من رواده إلى الانخلاع من الكفر والإجابة إلى الإيمان.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى السير في الأرض والتدبر في الخلق ليستيقن المرتابون ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وغيرها من الآيات الكثير.

فهذا الاعتقاد والإقرار بأن الله خالق كل شيء ومالك كل شيء حق لا ريب فيه ولم يذهب إلى نقيضه بالكلية طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل عليهم السلام- فيما حكى الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> ، وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الخالق فرعون، وقد كان مستيقنا به في نفسه، كما قال له موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(٥)(٦)</sup>.

ولم يف عن أحد من الخوطف أنه قل: إن للعالمين متملئين في طهقات ولأفضل.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الناريات، الآية: ٢٠-٢١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٦) صلاح الصاوي، مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠ باختصار.

فالثنوية من الجوس، والمانوية القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما: متفقون على أن النور خير من الظلمة، وأنه الإله الحمود، وأن الظلمة شريرة مدمومة، وهم متنازعون في الظلمة: هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا ريبين متماثلين. والنصارى القائلون بالتثليث، لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن الخالق للعالم واحد، ويقولون: باسم الأب والابن روح القدس إله واحد، وقولهم في التثليث متناقض في نفسه وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطرين في فهمه، وفي التعبير عنه وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين.

ومشركو العرب وغيرهم من الأمم كانوا يقرون على الجملة بالخلق والرزق والتدبير وورد ذلك في القرآن فمنه قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَتَى يُؤْفِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا الإقرار الجمل من المشركين بالربوبية لا يعني أنه لم يقع شرك في الربوبية قط، بل قد وقع الشرك في بعض الربوبية لدى البعض، كاعتقاد بعض المشركين أن ثم خالقا خلق بعض العالم كما سبقت الإشارة إلى الثنوية والمانوية وبعض الفلاسفة وغيرهم ممن يثبون أمورا محدثة بغير إحداث الله لها، أو اعتقاد بعضهم في آلهتهم شيئا من النفع والضرر لم يخلقه الله كما قال قوم هود لنيهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾<sup>(٣)</sup>، أو كما خوف قوم إبراهيم عليه السلام نبيهم بشركائهم فناظرهم بقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)(٥)</sup>.

ويضلل إلى تلك الحقيقة حقيقة أخرى وهي أنه لم يعب لإلحاد يترك الخلق تبارك وتعالى بالكلية بل جعل البشر قذبة لإفي الضيغين الثفن عشر، والتلغ عشر لليليين ومخطئة عنلما ظهر للهب الشيوعي للمركبي للعر التي نكتت به أوروبوا وأحاء كيرة من العالم.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨١.

(٥) صلاح الصاوي، مرجع سابق، ص ٨٢-٨٣.



ولما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس بين القرآن بطلانه كما في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فتأمل هذا البرهان الباهر مع البرهان السابق الذي في آية الطور، فهنا بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً مالِكاً فاعلاً، يوصل إلى عباده النفع، ويدفع عنهم الضر، فلو كان معه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك، وتفرد بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور:

\* إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

\* وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

\* وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله، وإحكام أمره، من الأدلة على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه<sup>(٢)</sup>.

ومن يرسخ يقينه بتفرد الله الخلق والملك والرزق والتدبير لا بد أن يتوجه بدعائه وعبادته إليه وحده وإلا فهو التناقض أو الجنون.

ولذا فإنك إذا تصفحت آيات القرآن الكريم تجد أن جل ما ورد في القرآن الكريم متعلق بهذا الأمر إنما كان في تقريره ليؤسس عليه الدعوة إلى عبادة الله وحده.

وتَلَقَّ قَوْلَ الَّذِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup>، تبارك وتعالى وحده بالعبادة.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) صلاح الصاوي، مرجع سابق، ص ٨٤-٨٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

وتأمل في سورة غافر: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ \* أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ \* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد جعل من مظاهر تفرده بالربوبية في الخلق والرزق والتدبير دليلاً على تفرده بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة.

ولو نظرنا في جميع الآيات التي وردت في إقرار المشركين بالربوبية لوجدناها تجعل من هذا الإقرار مدخلاً للدعوة إلى توحيد الألوهية وبرهاناً عليه. قال تعالى: ﴿قُلْ لِّمَنَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد جعل من هذه الإقرارات مدخلاً لدعوتهم إلى نفي الشريك في باب الألوهية.

(١) سورة غافر، الآية: ٦٤-٦٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٠-٦٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٤-٨٩.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣١.

ولو نظرنا في جميع الآيات التي نعت على المشركين عبادة الأوثان لوجدنا احتجاجها عليهم بأن هذا الأوثان لا تملك شيئاً من الربوبية؛ فهي لا تخلق ولا ترزق ولا تضر ولا تنفع ولا تملك ولا تدبر ولا تؤثر في شيء، فكيف يعبد من هذا حاله؟!

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَعْبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّكَ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْبُونَ \* لِيَكُمُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ قَوْلٌ لَأُؤْمِنُوا بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُكْرَماً وَهُمْ مُسْكِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرْ فِي الْكِتَابِ لِرُؤَيْبِ اللَّهِ كَلِمَةً نَبِيّاً \* ذَكَرَ لِيُذَكِّرَ بِهِ يَلْتَمِسُ لَهُمْ تَعْبُدُوا مَا لِيَمْسَعُوا وَلَا يَصُرُوا لِأَيِّ عَشِيَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ \* وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فقد جعل الله تعالى من عجز هذه الآلهة المزعومة عن الخلق والتدبير والرزق دليلاً على بطلان عبادتها من دون الله - عز وجل -.

ومن هنا يجب إحياء فريضة النظر في ملكوت السموات والأرض، والتدبر في مظاهر ربوبية الله لهذا الكون، فإنها تحيي الإيمان وتجدد ربيعه في القلب وتسوق صاحبها سوقاً إلى الإخبات إلى الله جل وعلا وإفراده وحده بالعبادة<sup>(٥)</sup>.

فالكون كله بما فيه ومن فيه يشهد أنه مخلوق الخالق عظيم خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة والبعيدة عنه، سواء وأتقنه وأحسن خلقه وأكمل صنعته بحيث يكون مهيناً لأداء وظيفته، ويكون مستويا معتدلاً متناسب الأجزاء ليس بينهما تفاوت يخل

(١) سورة النحل، الآية: ٢٠-٢٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤١-٤٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩١-١٩٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٥) صلاح الصاوي، مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨.

بالمقصود والهمه نهاية وجوده، وهداه إلى ما خلق من أجله، فهي الإلهام الفطري أو الغريزي الذي تتوجه به المخلوقات قاطبة إلى أداء دورها وتحقيق وظيفتها في هذا الحياة.

وهذه اللدنية علمة لا تعلق باللكين فصب، وليست مقصورة على الكائنات التي تتحرك بإلار لتفصب، ولكنها هداية مبرهن في كل شيء في هذا الوجود لتصل في طيها أبلغ لأدلة على وجود الرب على وعلى ويصبحه وتديره وأنخلق كل شيء عومليكه.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. في هذه الآية حققت الاستعارة المكنية<sup>(٢)</sup> ظلالاً رائعة، ومعاني جمالية جامعة للحسن من أطرافه، من خلال تعبيرها عن عظمة ملكه تعالى، وتصرفه في السماوات والأرض بأبلغ تعبير وأوجز أسلوب وأعذب وقع. إذ شبه النص القرآني خيرات السماوات والأرض بخزائن الكنوز، وأثبت للسماوات والأرض ما هو لازم من لوازم المشبه به وهو المقاليد<sup>(٣)</sup> التي تأتي في اللغة بمعنى المفاتيح<sup>(٤)</sup> والتي فيها تصوير وتخييل لشدة تمكنه تعالى من السماوات والأرض<sup>(٥)</sup>، وقد حسنت هذه الاستعارة هنا، وجملت؛ لأن القرآن الكريم قد وصف السماء في مواضع متعددة بأن لها خزائن وأبواباً، فحسن على مقتضى الكلام ونسقه أن توصف بأن لها مقاليد وإغلاقاً<sup>(٦)</sup> وقد اختلف أهل العلم في لفظة (مقاليد) فذهب بعضهم إلى أنها معربة وذهب آخرون إلى أنها عربية يمانية مفردها (أقليد)<sup>(٧)</sup>. ومهما يكن الأمر فإن استعمال النص القرآني لفظة (مقاليد) بدلاً من لفظة (مفاتيح) تناسبا صوتيا مع جو النص، يحدثه جرس حروف القاف والذال وما فيها من تصور لصوت حركة المفاتيح وهي تتحرك ويحتك أحدها بالآخر.

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢-٦٣.

(٢) الاستعارة المكنية هي نوع من أنواع الاستعارة مبنية على ذكر المستعار له (المشبه) وحذف المستعار منه (المشبه به) مع ذكر شيء من لوازمه. (انظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، (بيروت: دار الجليل، ٢٠٠٤م)، ص ٣٨).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون)، ٤٩ / ٢٥.

(٤) ابن منظور، مرجع سابق، مادة "قلد" ١٤٨ / ٣.

(٥) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥-١٩٩٥م)، ١٦ / ٥٤٤.

(٦) الشريف الرضي، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: محمد عبد الغني، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٥م)، ص ٢٥٨.

(٧) الأزهرى، أبو منصور محمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: الدار المصرية، ١٩٦٧م)، مادة "قلد"، ٣٢ / ٩.

ونلاحظ من خلال التداخل والامتزاج بين الاستعارة التخيلية<sup>(١)</sup> والمكنية في قوله تعالى: ﴿مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جمالاً تصويرياً يشخص السماوات والأرض بصورة أخرى هي صورة الخزائن المليئة بالكنوز والخيرات، والتي لا يملك التصرف بها إلا من يملك مفاتيحها وبذلك يأخذ الذهن في تخيل صورة أخرى متعلقة بالأولى، تمثل تخيل عظمة تصرفه في الكون وتدبيره تعالى للوجود بصورة المفاتيح التي توحى بالحفظ والتدبير؛ لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي بيده مقاليدها<sup>(٢)</sup>، وأضفى عليه ما يدل عليه جمع التكسير (مقاليد) من معنى الكثرة<sup>(٣)</sup>؛ ففي (مقاليد) إشارة جميلة إلى كثرة تدبيره وتصريفه في الكون ويلمح من أسلوب هذه الصورة القرآنية استعمالها لأمر مألوف لدى الناس من المفاتيح والخزائن لإدخال هذه الصورة البيانية إلى ذهن المتلقي وخياله؛ فينفع الناس من الخيال يقوم على لغة الحس التي يتفاعل معها الناس عامة وخاصة، فكان لابد من التعبير عن هذا الوجود اللا متناهي بلغة الحس المتناهية من أجل ذلك استخدم القرآن اللغة التصويرية ليخاطب الناس على قدر عقولهم<sup>(٤)</sup>؛ ولذلك جاءت هذه الصورة القرآنية بعيدة عن الصعوبة أو التعقيد بل هي صورة سهلة وسلسلة، ولكنها في الوقت نفسه مليئة بالإشارات والمعاني والعبء وعند الدخول أكثر إلى أعماق الاستعارة وصورها الموحية نلمح اقتراباً وافتراقاً من الصورة التي نقلها الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية حين قال: ومنه قولهم فلان ألقيت مقاليد الملك إليه<sup>(٥)</sup>.

فمن الاقتراب بين التعبير القرآني وبين ما نقله الزمخشري من التعبير المشهور استعمال صيغة (مقاليد) في كلا التعبيرين، أما من حيث الافتراق، فيلاحظ أن التعبير القرآني يذكر انفرادة جل وعلا بالملك وقوة سلطانه من خلال أسلوب القصر ومن خلال إبراز عظمة مملكته وسعتها عندما يذكر (السماوات والأرض) التي صورت عظمتها وسعتها بخزائن الله الملك المتعالي فكيف إذن سعة مملكته تعالى وعظمتها؟

(١) الاستعارة التخيلية هي نوع من أنواع الاستعارة تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بما مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير. (انظر: الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، (بيروت: دار الكتاب اللبناني)، ١٩٧١م).

(٢) الزمخشري، محمد بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبور الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٤٠٦/٣.

(٣) أبو البقاء، موفق الدين أبو البقاء بن يعقوب الموصلي الزمخشري، شرح المفصل، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د: إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٤٠٦/٣.

(٤) أبو زيد، نصر حامد، الإتجاه العقلي في التفسير، ط١، (بيروت: دار التنوير، ١٩٨٢)، ص ١٦٠.

(٥) الزمخشري، مرجع سابق، ٤٠٦/٣.

وعند الضرفي بنية لاستعارة للكيفية وتعلقها مع تراكيب لا يتوسلها. فلنظن أن بنية لاستعارة التخيلية انحوت على نوعين من الضرف لأول: نسولي مستفاد من قضم الحبل ووجهور (له في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والثاني: واقعي عرفي لأن الخرائق لا يستطيع دخولها والضرف فيها إلا من يملك مفاتيحها<sup>(١)</sup>، وجلت لاستعارة اعتراضيين قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدِ ٱللَّهَ ٱللّٰثِينَ ٱتَّقُوا بِمَقَالِهِمْ ٱلَّذِينَ هُمْ سَوۡءُ وَءَآلَهُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ومن قوله تعالى: ﴿وَٱللّٰثِينَ كَفَرُوا۟ بِآيٰتِ ٱللَّهِ وَءَآلِهِمْ ٱلَّذِينَ هُمْ يُحۡزِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فطرح معنى المفسرة العظمى التي عبر عنه أسلوب الضرفي قوله تعالى: ﴿هُمْ ٱلَّذِينَ هُمْ يُحۡزِنُونَ﴾؛ لأنهم لم يتركوا على الله تعالى التي له مقاليد السموات والأرض، وفصرفوا إلى آهوتهم التي أركهم في تلك المفسرة العظيمة على حين بت آيات الله ظاهرة وطبعة ألم أعينهم نحوهم لغوز اليمين والملك كانت خصلتهم أعظم الخصال لأن كرمهم أجب لأكرم، لأنه تعالى بآيات الله الوطحة للظاهرة<sup>(٤)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللّٰثِينَ كَفَرُوا۟ بِآيٰتِ ٱللَّهِ وَءَآلِهِمْ ٱلَّذِينَ هُمْ يُحۡزِنُونَ﴾ خلقت لإحيرة راحة، إذ جلت بصيغة الجملة لاهمية بثارة إلى حوام خصلتهم وأسند الخصال إليهم، لأنهم قد اقصدوا لأضهم على حين جلت الآية العبرة عن نحة المؤمنين بالجملة التعلية، وأسندت نتيجة للمؤمنين إلى الله تعالى بثعرا بأن نحة المؤمنين فضله، وليس بأعملهم طمطية<sup>(٥)</sup>.

(١) البيضاوي، نصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر حسونة، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م)، ٥/٧٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٥) البقاعي، مرجع سابق، ١٦/٥٤٤.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٣.

(٧) البيضاوي، مرجع سابق، ٥/٧٦.

(٨) الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتفتيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م)، ٢/٤٣٨.

## المبحث الثالث: المتفرد بالملك يوم القيامة

حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل موقع، ونبه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه بشئ الأساليب العربية.

ومن ظهر لاهتمامنا اليوم العظيم في كتاب الله أنه كثيرًا ما ربط لإيمانك به بإيمانك بالله عز وجل، ومن أمثلة ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ الرَّعْنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَلَّيْنِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿عِبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ فِي الشُّرُكِيِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وأمثل هذه لايتك كثير جدًا في كتاب الله عز وجل.

ومن مظاهره أيضًا إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر، حتى لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن إلا وتجد فيها حديثًا عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من الأحداث والأحوال، بأساليب كثيرة، كذلك نجد القرآن يفصل أحوال ذلك اليوم تفصيلًا قلما تجده في أمور الغيب الأخرى.

ومن مظاهره أيضًا كثرة ما سماه الله من الأسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الأحوال، فمن أسمائه في القرآن: القيامة، الساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود وغيرها<sup>(٥)</sup>.

والمتفرد بالملك في هذا اليوم الله تبارك وتعالى قال تعالى في فاتحة كتابه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٦)</sup> وقد وردت بالقراءتين كما بينت سابقًا. ومالك مأخوذ من الملك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾<sup>(٧)</sup> وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣٦.

(٥) سابق، سيد، العقائد الإسلامية، ط ٢، (دار النصر، ١٣٨٧-١٩٦٧م)، ص ٢٦١ - ٢٦٤.

(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٧) سورة مريم، الآية: ٤٠.

النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ ﴿١﴾ وملك مأخوذ من المُلْك كما قال تعالى: ﴿لَمَنْ أَلْمَلْتُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿٣﴾ ، وقال تعالى: ﴿لَمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿٤﴾ ، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٥﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿٦﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَّا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال الضحاك<sup>(٨)</sup> عن ابن عباس ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً إلا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر<sup>(٩)</sup>.

وخصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره، لأن في الدنيا كانوا منازعين في المُلْك، مثل فرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه وكلهم خضعوا له، كما قال تعالى: ﴿لَمَنْ أَلْمَلْتُ الْيَوْمَ﴾؛ فأجاب جميع الخلق: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿١٠﴾، فلذلك قال: مالك يوم الدين، أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره، سبحانه لا إله إلا هو<sup>(١١)</sup>.

(١) سورة الناس، الآية: ١-٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٥) سورة النبأ، الآية: ٢٩.

(٦) سورة طه، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة هود، الآية: ١٠٥.

(٨) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال من الخامسة مات بعد المائة. (ابن حجر، التقریب، ص٣٦٨، ترجمة رقم ٢٩٩٥).

(٩) ابن كثير، أو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير للمثقي، تسمير الفرق العظيم (بيروت: حلطية، ١٤٢٠-١٩٩٩م)، ١/٢٤.

(١٠) سورة غافر، الآية: ١٦.

(١١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣-٢٠٠٣م)، ٢/١٤٤.



وقال صاحب التحرير والتنوير<sup>(١)</sup>: وأعلم أن وصفه تعالى بملك يوم الدين تكلمة لإجراء مجامع صفات العظمة والكمال في اسمه تعالى، فإنه بعد أن وصف بأنه رب العالمين وذلك معنى الإلهوية الحقّة إذ يفوق ما ينعنون به آلهتهم من قولهم إله بني فلان فقد كانت الأمم تتخذ آلهة خاصة لها كما حكى الله عن بعضهم: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وكانت لبعض قبائل العرب آلهة خاصة، فقد عبدت ثقيف اللات.

فوصف الله تعالى بأنه رب العالمين كلهم، ثم عقب بوصفي الرحمن الرحيم لإفادة عظم رحمته ثم وصف بأنه ملك يوم الدين وهو وصف بما هو أعظم مما قبله؛ لأنه يبيّن من عموم التصرف في المخلوقات في يوم الجزاء الذي هو أول أيام الخلود، فملك ذلك الزمان هو صاحب الملك الذي لا يشذ شيء عن الدخول تحت ملكه، وهو الذي لا ينتهي ملكه ولا ينقضي، فأين هذا الوصف من أوصاف المبالغة الأخرى التي يفيضها الناس على أعظم الملوك مثل ملك الملوك (شاهان شاه) وملك الزمان وملك الدنيا (شاه جهان) وما شابه ذلك مع ما في تعريف ذلك اليوم بإضافته إلى الدين أي الجزاء من إدماج التنبيه على عدم حكم الله لأن إثارة لفظ الدين (أي الجزاء) للإشعار بأن معاملة العامل بما يعادل أعماله المحزّي عليها في الخير والشر.....<sup>(٤)</sup>.

وإذا نظرنا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٥)</sup> أي ظاهرون بادون كلهم لا شيء يمكنهم

(١) هو محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م): رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.

مولده ووفاته ودراسته بما عين (عام ١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الانشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) و مما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجالات. وهو والد محمد الفاضل الآتية ترجمته. (الزركلي، الأعلام، ١٧٤/٦).

(٢) سورة طه، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٤) بن عاشور، مرجع سابق، ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٦.

ولا يظلمهم ولا يسترهم ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ أي الجميع في علمه على السواء.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ كما تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أنه جل وعلا يطوي السموات والأرض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟"<sup>(١)</sup>، أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه<sup>(٢)</sup>.

والمقصود إظهار انفراده بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك ومُلكه وانقطعت نسبهم ودعاويهم ودل على هذا قوله الحق عند قبض الأرض والأرواح وطى السماء: «أنا الملك أين ملوك الدنيا» كما تقدم في حديث أبي هريرة وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما، "ثم يطوي الأرض بشماله والسموات يمينه ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون، أين المتكبرون"، قال محمد بن كعب<sup>(٣)</sup> قوله سبحانه: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ يكون بعد النفختين حين فني الخلائق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكا ولا مملوكا فيقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، لأن الخلق أموات فيجب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لأنه بقي وحده وقهر خلقه<sup>(٤)</sup>.

ولذا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>، الملك مبتدأ والحق صفة له وللرحمن الخبر، وكذا قال الزجاج<sup>(٦)</sup>،

(١) تقدم تفريجه.

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ٧٦/٤.

(٣) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم، ولد سنة أربعين؛ على الصحيح، ووهم من قال: ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم يُنبت من سبي قريظة، مات سنة عشرين وقيل قبل ذلك. (تقريب التهذيب، ص ٧٤٧، ترجمة: ٦٢٩٧).

(٤) القرظي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٨/٢٥٦).

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٦) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١ هـ = ٨٥٥ - ٩٢٣ م): عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدلّه المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولى الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه (معاني القرآن - خ) و (الاشتقاق) و (خلق الانسان - ط) و (الامالي) في الأدب واللغة، و (فعلت وأفعلت - ط) في تصريف الألفاظ و (المثلث - خ) في اللغة، مهياً للنشر في بغداد، و (إعراب القرآن - ط) ثلاثة أجزاء. ويلاحظ أن في خزانة الرباط (٣٣٣ أوقاف) مخطوطة على الرق كتبت سنة ٣٨٢ - ٣٨٧ في

أي المُلْك الثابت الذي لا يزول للرحمن يومئذ، لأن المُلْك الذي يزول وينقطع ليس مُلْك في الحقيقة وأما فيما عداه من أيام الدنيا فلغيره مُلْك في الصورة وإن لم يكن حقيقياً، وقيل: إن خبر المبتدأ هو الظرف والحق نعت للملك، والمعنى المُلْك الثابت للرحمن في هذا اليوم<sup>(١)</sup>.

فالملك يومئذ الحق للرحمن ولا تسمع لأحد همسا لا يملك أحد الشفاعة لأحد في هذا اليوم إلا من أذن له الرحمن وكان عسيرا على الكافرين والعصاة.

والإيمان بذلك اليوم له أثر عظيم في حياة الإنسان، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب وثواب وفوز وخسران؛ له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله - عز وجل -، وشتان ما بين اثنين أحدهما لا يعتقد بيعث ولا حساب على أعماله وأقواله ولا يقيده إلا مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين، فيتاب على الخير ويعاقب على الشر؛ فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته، فالغاية عنده غاية أنانية تبرر أية وسيلة وأي خلق، وأي عمل مهما كان ضرره، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح، وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله -عز وجل- أيضاً: ﴿لَا

٥٤ جزء، جمعت في عشرة مجلدات، ورد اسمها بلفظ (مختصر إعراب القرآن ومعانيه) وعلى الجزء التاسع عشر (معاني القرآن وإعرابه) وفي النسخة نقص في بعض الأجزاء (١). (انظر: الزركلي، الأعلام، ٤٠/١).

(١) الشوكاني، مرجع سابق، (٤/٨٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨-٩.

(٣) سورة الماعون، الآية: ١-٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨.

يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 بِالْمُتَّقِينَ \* إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي  
 رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ  
 مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>(٢)</sup> ، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو  
 اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ<sup>(٣)</sup> ، وقوله جل وعلا: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ  
 عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ<sup>(٤)</sup> ، وغيرها من الآيات كثير.

ولما كان الإنسان مفطوراً على طلب المصلحة لنفسه ودفع المفسدة عنها، كان الإيمان  
 باليوم الآخر مقويًا للوازع الديني عنده، ذلك الذي يرغب في الخير ويصد عن الشر؛  
 ولذلك كانت عناية القرآن بكثرة التذكير به، والتفنن في تصويره حتى يتعمق ذلك الوازع  
 في قلب المؤمن ويشدد تأثيره.

ولعل من حكمة الاهتمام البالغ باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه؛  
 بسبب تثاقلهم إلى الأرض وحبهم لمتاع الدنيا فيكون الإيمان به وبما فيه مخففاً من الغلو في  
 حب الدنيا، فيعلم العباد أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس  
 فيها وأن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أعد الله لهم في ذلك اليوم العظيم، ويشير إلى  
 هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ  
 إِلَّا قَلِيلٌ<sup>(٥)</sup> .

ولعل من حكمته أيضاً أن وجود ذلك اليوم كان وما يزال يثير استغراب الكافرين  
 وتعجبهم، لما يرونه ببصيرتهم القاصرة من مخالفة البعث لما يرونه من تحول إلى رفات  
 وعظام بعد الموت، قال تعالى عن أمثال هؤلاء: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٤-٤٥ .

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ .

(٣) سورة المتحنة، الآية: ٦ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٢ .

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٨ .

الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ \* أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿١﴾ ، فبين لهم الله سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا \* يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٣﴾ (٤).

فانظر إلى هذه الشبهات التي أثاروها وما يثيره المنكرون في كل عصر لا يتعدها إنهم يستعظمون على الله تحويل ما تؤول إليه الأجسام من الرفات والعظام إلى خلق جديد يحس ويشعر، ويستكثرون عليه قدرته على ذلك، ويستبعدون هذا الأمر لأنهم لا يعلمون متى هو وهي شبهات مبعثها الجهل بطبيعة الحياة والموت والغفلة عن قدرة الله - عز وجل - والتعامي عن آثار هذه القدرة المطلقة في الإنشاء من العدم؛ فالقضية بسيطة والجواب مفحم مع بساطته وبداهته فإن الإنسان قد وجد نفسه مخلوقا بعد أن لم يكن، فلا بد له من خالق أوجده من العدم، ثم تحول من حال إلى حال بمفارقة الحياة، فلا بد من فاعل لهذا التحول وليس هو إلا الله الذي خلق أول مرة، ولو كان غيره لاستطاع أن يدفع عن نفسه الموت فإذا أخير بعد ذلك هذا الخالق المحيي المميت بأنه سيحيي مرة أخرى ويعيد خلقه، كانت مناقشته عنادا واستكبارا (٥).

فبين لهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات وفي غيرها أن هذا الحس الذي يواجهون به هذه الحقيقة حس عاجز وقاصر؛ لأن أمثال البعث في حياة الإنسان كثيرة، وآيات قدرة الله على ذلك كثيرة ولكنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور.

(١) سورة ق، الآية: ٢-٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٠.

(٤) ياسين، محمد نعيم، الإيمان أركان، حقيقته ونواقضه، ط٥، (المنصورة: دار الوفاء، ٤٢٩-٥١-٢٠٠٨م)، ص ٥٩-٦٠.

(٥) محمد نعيم ياسين، مرجع سابق، ص ٦٢.

## الفصل الثاني: الأساليب القرآنية في عرض الملك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الامتنان بالملك على بعض عباده.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في سبب وجود الملك.

المطلب الثاني: الله يمتن على من يشاء من عباده.

المبحث الثاني: الملك والقيادة العسكرية.

المبحث الثالث: الملك والاعتزاز به.

## المبحث الأول: الامتتان بالملك على

### بعض عباده

#### المطلب الأول: في سبب وجود الملك:

إن الاجتماع البشري لا بد فيه من وازع وهو السلطان القائم بقهر ملكه عن ما يعرض فيه من الشرور الطبيعية لوجوده <sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ <sup>(٢)</sup> على بعض احتمالاته وهو أن معناه أن الله تعالى يدفع بوضع الشرائع ونصب الملوك أنواع الشرور والمفاسد. قال الإمام فخر الدين: ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

كما أن الملك المستقل به من حجج الله تعالى على وجوده وبيانات الدلالة على توحيده لأن عدم استقامة العالم بغير مدبر، شاهد على أن هذا الكون الفسح المخلوق بهذه الدقة المتناهية والسائر بهذه العناية الفائقة، لا يصح إسناده لغير شيء بل لا بد من الإقرار بخالقه الحكيم العليم، كما أنه في استحالة صلاح البلد الواحد بنصب ملكين دليل على أن العالم لا يصلح بوجد الهين كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ <sup>(٥)</sup>.

والعالم بأسره في سلطان الله - عز وجل - كالبلد الواحد في سلطان الأرض، كما أن الملك منزلته من الدين منزلة الأخ المعين على رفع رايته كما أنه يدفع بتخويله وتهديده ما لا يدفع بالقرآن وذلك لما في الاجتماع البشري من العدوان والاستعصاء عن الطاعة.

(١) ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد الأصبحي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط١، (القاهرة: دار

السلام، ٢٠٠٧م)، ص (١٠١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٤) ابن الأزرق، مرجع سابق، ص (١٠١).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

كما أن الملك يدفع ما يتوقع من الفتن المفضية إلى الافتراق والفساد حيث إنه يجمع كلمة الأمة إذا وقع ذلك؛ فالنظام لا يستمر إلا بمترصّد متابع بعين الكلاءة ليقوم بإطفاء نار الفتنة قبل أن تفضي إلى الاختلاف وتسود الفوضى باستيلاء الأراذل على الأفاضل، وامتداد الأيدي العادية إلى الفروج والأموال، ولا يخفى ما في ذلك من حل عصم الدين والدنيا.

كما أن الملك يحرس الدين من محذور تبديله وتغييره فما من دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه وغيّرت سننه.

كما أنه لا يتم قصد الشارع في وضع الشريعة لصالح العباد في العاجل والآجل إلا بنصب الملك فلا يصلح الناس فوضى لا قائد لهم لما جبلوا عليه من اختلاف الأهواء<sup>(١)</sup>. كما أن مصلحة نصب الملك لا تعارضها المفسد اللازمة عن قهره وغلبته؛ لأن ترك الخير الكثير لأجل الشر اليسير شر كثير، وما خص ضرره وعم نفعه فنعمه عامة، وعكسه فساد عظيم.

وإن توهم الاستغناء عن السلطان باطل، أما في الدين فلا متناع حمل الناس على ما عرفوا منه طوعاً أو كرها دون نصبه، وأما في الدنيا فلأن حامل الطبع والدين لا يكفي في إقامة مصالحها على الوجه الأفضل غالباً، ولذلك نجد من لا سلطان لهم كالذئاب الشاردة والأسود الضارية، لا يبقى بعضهم على بعض ولا يحافظون على سنة ولا فرض<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: الله يمتن على من يشاء من عباده:

الله -عز وجل- الإله الواحد مالك كل شيء ومليكه، يمنح من يشاء من عباده ما يشاء من المال والجاه والسلطان بالقدر الذي يشاء وفي الزمان الذي يشاء.

وهي ملكية معارة بشروط الواهب وتعليماته، فإذا تصرف المخلوق فيها تصرفات مخالفة لشروط الله -عز وجل- كان هذا التصرف باطلاً، وتحتّم على المجتمع رده إلى

(١) ابن الأزرق، مرجع سابق، ص (١٠١: ١٠٥) باختصار.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١.



الصواب الذي يرضيه الله صاحب الملك والملكوت، وإلا وقع عليه وعليهم عذاب من الله في الدنيا والآخرة.

وقوامه الله تعالى في ملكه هي الخير كل الخير لجميع خلقه، لشمول علمه وطلاقة حكمته وعدله، فهو يؤتي الملك من يشاء من عباده إما ابتلاء وإما مكافأة، ويتزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويتم ذلك كله بالقسط والعدل وبمشيئة الله المطلقة في خلقه وبقدرته على تحقيق أمره قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> قال قتادة<sup>(٢)</sup>: بلغني أن النبي عليه الصلاة والسلام لما سأل ربه أن يجعل في أمته ملك فارس والروم فترلت الآية في ذلك<sup>(٣)</sup>، وقال مجاهد<sup>(٤)</sup>: «الملك» في هذه الآية النبوة، والصحيح أنه «مالك الملك» كله مطلقاً في جميع أنواعه، وأشرف ملك يؤتیه سعادة الآخرة<sup>(٥)</sup>.

والظاهر لتبخر أن لرد بملك السطة والخرف في لأهور وللنسجائه وتعل بيؤتي الملك في بعض البلاد من يشاء من عباده، إما بالتبع لما يحصم به من التوة كما وقع لآل إبراهيم وإماميرهم على سنته الحكمة للصلة إلى ذلك بلسابه لاجتماعية ككون الصبيك كما وقع لكثير من النمل، ويتزعه من يشاء عن لأفواد ولأسر والعشائر والصلبيك والشعب بتكبيرهم سنته الحظفة للملك، كالعل وحمن السيلنة وإجدك للمطاع من التوة كما تزعه من بني بلر القلي ومن غيرهم بالظلم والتسك، ذلك أننا نغف ملقبت به مشيئته عروجل - لا من الواقع لأنه لا يقع في الوجود إلا ما يشاء<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي (٦١ - ١١٨ هـ) . من أهل البصرة . ولد ضريباً . أحد المفسرين والحفاظ للحديث . قال أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة . وكان مع عمله بالحديث رأساً في العربية ، ومفردات اللغة وأيام العرب ، والنسب . وقد يدلّس في الحديث . مات بواسط في الطاعون . (الاعلام للزركلي ٢٧/٦ ؛ وتذكرة الحفاظ ١١٥/١).

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٢، والنحاس في معاني القرآن ٣٧٨/١، والطبري في جامع البيان ١٤٨/٣ ولم أحده في كتب السنة.

(٤) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي قرأ على ابن عباس وصحب ابن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه وحدث عنه قتادة وعمرو بن دينار وأيوب ومنصور والأعمش وابن عون وغيرهم قال قتادة أعلم من بقي بالتفسير مجاهد توفي سنة ثلاث ومائة. (طبقات المفسرين للأدزوي، ١١/١).

(٥) ابن عطية، مرجع سابق، (١/٤١٦).

(٦) رشيد، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م)، (٣/٢٢١) بتصرف.

والملك هو الخبز بالخرق في شيء بجميع ما جرف في أمثاله مما يقبله من خواتمها ومنافعها وثمراتها بما يشاء؛ فليس يكون ذلك بالآثر وهو لأكثر، وقلي يكون مثل كفة وبلعة أو ضيقة، ولما كان للملك ملهية من الوهي، كل معنى كون الله مالك للملك أنه للملك لخرق للملك، أي لإعطائه وتوزيعه وتوسيعه وتصيقه، فهو على قلبه تعويض للملك الثاني والثالث للخرق دون استغراق أي طائفة واحدة من حسن للملك؛ وذلك يتصفه مالك للملك قوله تعالى: ﴿قُلِ لِلْمَلِكِ مِمَّا يَشَاءُ وَيَتَرَعُ لِلْمَلِكِ مِمَّنْ يَشَاءُ﴾ فإن إيتاءه ونزعه مقول عليه بالشك في إيجابه وسلبه، وكثرة وقلة<sup>(١)</sup>.

وقل صاحب الكف<sup>(٢)</sup>: ﴿قُلِ لِلْمَلِكِ مِمَّا يَشَاءُ﴾ تعطي من يشاء لصيب النبي قسمته له وتفرضه حكمتك من الملك ﴿وَيَتَرَعُ لِلْمَلِكِ مِمَّنْ يَشَاءُ﴾ أي لصيب النبي أعطيه منه فالملك لأول علمه مثل الملك لا لآخره حتى يخلص من الكل<sup>(٣)</sup>.

فحصول الملك ونزعه بمشيئة الله تعالى فالله سبحانه هو الذي يعطي الملك وهو الذي يتزع الملك وهي كلها أمور من الخير وإن بدا للبعض أن الخير فيها غير ظاهر، وفي الإيتاء إشعار بأنه تنويل من الله من غير قوة وغلبة ولا مطاولة فيه؛ فالله وحده هو الذي يعطي الملك من يشاء من عباده، ويتزعه ممن يشاء.

وعبر بالإيتاء الذي هو مجرد الإعطاء دون التمليك المؤذن بثبوت المالكية؛ للتنبيه على أن المالكية على الحقيقة إنما هي مختصة بالله رب العالمين، أما ما يعطيه لغيره من ملك فهو عارية مستردة وهي شيء زائل لا يدوم والتعبير عن إزالة الملك بقوله وتزع الملك ممن

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٣/٢١٣) بتصرف.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب. ولد في زمخشري (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. أشهر كتبه (الكشاف في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) ومن كتبه (المقامات) و (الجبال والامكنة والمياه) و (المقدمة) معجم عربي فارسي، مجلدان، و (مقدمة الأدب) في اللغة، و (الفائق) في غريب الحديث، و (المستقصى) في الامثال، مجلدان، و (رؤوس المسائل) في شستريق و (نوابغ الكلم) رسالة، و (ربيع الابرار) الجزء الاول منه، و (المنتقى من شرح شعر المتنبي، للواحدي) منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام، بالمدينة، رقم ٧٩٥ كتبت سنة ٦٣٣ في ١٣٦ ورقة (كما في مذكرات الميمن) و (القسطاس) في العروض، و (نكت الإعراب في غريب الاعراب) رسالة، و (الانموذج) اقتضبه من المفصل، و (أطواق الذهب) و (أعجب العجب في شرح لامية العرب) وله (ديوان شعر).

وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. (انظر: الاعلام للزركلي، ١٧٨/٧-وفيات الأعيان، ٨١/٢- إرشاد الأريب، ١٤٧/٧).

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، (١/٣٧٨).

تشاء يشعر بأنه سبحانه في قدرته أن يسلب هذا العطاء من أي مخلوق مهما بلغت سعة ملكه، ومهما اشتدت قوته، وذلك لأن لفظ الترع يدل على أن المتزوع منه الشيء كان متمسكا به (١).

والمعنى: أنت يا الله يا ملك الملك أنت الذى تمنى بالملك على من تشاء، وترعه ممن تريد نزع منه، وأنت وحدك الذى تعز من تشاء بالنصر والتوفيق والسداد، وتذل من تشاء بالهزيمة والخذلان، وأنت وحدك الذى تملك الخير كله، وتتصرف فيه حسب إرادتك ومشيتك لأنك على كل شيء قدير.

ولذا نسب الحق تبارك وتعالى التملك لبعض عباده فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

أي حينما اعترضوا على بعث طالوت ملكاً عليهم رد عليهم نبيهم أن الله -عز وجل- اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون؛ لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليهم. من يستحق الملك ممن لا يستحق.

وانظر إلى التعبير بلفظة الاصطفاء أي الاختيار من عند الله -عز وجل- والامتنان من عند الله -عز وجل- لا عن قوة وغلبة ثم قال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾.

فلما تعنتوا وحادوا عن أمر الله -عز وجل- وهي عادة بني إسرائيل فكان ينبغي لهم إذ قال لهم النبي عن الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ أن يسلموا الأمر لله ولا تنكره قلوبهم ولا يتعجبوا من ذلك ولكن قالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ إلى آخره يدل على أنه مركز في الطباع أن لا يقدم المفضل على الفاضل واستحقاق من كان غير موسع عليه، فاستبعدوا أن يملك عليهم من هم أحق بالملك

(١) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (القاهرة: دار السعادة، ٢٠٠٧)، (٢/ ٧١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

منه وهو فقير والمُلك يحتاج إلى أصالة فيه إذ يكون أعظم في النفوس، وإلى غنى يستعبد به الرجال، ويعينه على مقاصد المُلك لم يعتبروا السبب الأقوى وهو قضاء الله وقدره واعتبروا السبب الأضعف وهو: النسب والغنى. فالله اختاره صفوة إذ هو أعلم تعالى بالمصالح، فلا تعترضوا على الله -عز وجل- (١).

وفي قول يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٢) ذكر يوسف عليه السلام ثلاثاً من نعم الله عليه اثنتين دنيويتين وهما: نعمة الولاية على الأرض ونعمة العلم والثالثة: أخروية وهي نعمة الدين الحق المعبر عنه بالإسلام، وجعل الذي أوتيته بعضاً من المُلك والتأويل لأن من أوتيته بعضاً من جنس الملك إشعاراً بأن ذلك في جانب ملك الله وفي جانب علمه شيء قليل (٣). فعد يوسف عليه السلام من نعم الله إيتاء الملك ونجد أن الحق تبارك وتعالى في كتابه يعبر بالإيتاء في إعطاء الملك لكي يعي الملوك أن هذا المُلك هو منة من العلي الكبير وأن المُلك مجرد إعطاء دون التمليك المؤذن بثبوت المالكية، للتنبيه على أن المالكية في الحقيقة إنما هي مختصة بالله رب العالمين، وإن المُلك مجرد عارية مستردة لذا عبر يوسف عليه السلام عن المُلك بالإيتاء لأنه عليه السلام يعلم أن المُلك على الحقيقة لله وأنه منة من العلي الكبير. بل إذا أمعنا النظر في آيات الله نجد أن الله هو الذي يترع الملك ممن يشاء ويثبت الملك لمن يشاء ألم تر قول الحق تبارك وتعالى عن ملك داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (٤) لقد كان للانتقاء البديع، والاختيار الدقيق للألفاظ فيما شكلته الاستعارة التصريحية في كل من قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ من تصوير موح وإيجاز معبر، إذ نجد أن الاستعارة التصريحية (٥) الأولى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ تصور بعمق تثبيت السلطان

(١) ابن عطية، مرجع سابق، (٢/ ٢٦٦) بتصرف.

(٢) سورة يوسف، الآية: (١٠١).

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (١٣/ ٥٩).

(٤) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٥) هي نوع من أنواع الاستعارة مبنية على حذف المستعار له (المشبه) وذكر المستعار منه (المشبه به). (انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٣٨).

والمُلْكُ لداود عليه السلام، «وتقوية مُلكه وسلامته من أضرار ثورة لديه، ومن غلبة أعدائه عليه»<sup>(١)</sup>. ومن خلال استعارة الشد الذي هو «العقد القوي»<sup>(٢)</sup> على الشيء؛ فكأن الاستعارة تصور قوة مُلك داود عليه السلام، واجتماع أهل مملكته في طاعته، ونصرته، وتثبيتته على عرشه، بأمير مشدود معقود عليه بقوة ولا يستطيع أحد أن يفك عقده أو يحل وثاقه، وللبنية الصوتية، والصياغة للفعل الماضي (شددنا) أثر بالغ في تصوير المعنى، إذ إن في مجيء الفعل الدال على الشد بصيغة الماضي إشارة إلى ثبات هذا المُلْك واستقراره، وفي اختيار الفعل الماضي «شددنا» الذي يبدأ بحرف الشين؛ وفي الدال المكررة إشارات صوتية متوامة مع المعنى؛ «فالشين لما فيها من التفشي تشبه بالصوت انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد وال جذب، وتأريب العُقْد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين»<sup>(٣)</sup>، وهذه المناسبة القوية التي ذكرها ابن جني<sup>(٤)</sup> بين معنى الشد وصوت حروفه تبين جمالية رائعة في الألفاظ القرآنية التي تكاد «تستقل بجرسها ونغمها بتصوير لوحة متكاملة»<sup>(٥)</sup>.

وفي قول الحق تبارك وتعالى عن مُلك ذي القرنين وتمكين الحق تبارك وتعالى لملكه قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾<sup>(٦)</sup> فالله -عز وجل- مكن له ملكه في الأرض وانظر كيف يوائم الأسلوب القرآني بين الصورة التي يرسمها، وجرس الحروف التي تشكلها، وبين المعنى الذي يريد إيصاله إلى المتلقي متناسقا مع سياقه، ومتناسبا مع مقامه الوارد فيه، وكل هذه الأبعاد الجمالية وإيجائها قد توافرت بقوة في

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢٣/ ٢٢٩).

(٢) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٤٧٧.

(٣) ابن جني، أو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي الخليل، (جندل حل الشؤون الثقافية العلمية، ١٩٩٠)، (١٦٥/٣).

(٤) هو ابن جني إمام العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية، صاحب التصانيف كان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الموصلية.

وله جمع طويل يبيّن "تاريخ لأكبده" ليقول لم أباعلي الفارسي هو له وسبق معصية بع وصفه وسكن بطنك وتخرج به لكل.

وله "سر الصناعة" و "اللمع"، و "التصريف"، و "التلقين في النحو"، و "التعاقب"، و "الخصائص"، و "المقصود والممدود"، و "ما يذكر ويؤنث"، و "إعراب الحماسة"، و "المحتسب في الشواذ".

وله نظم جيد. خدم عضد الدولة وابنه، وقرأ على المتنبي "ديوانه"، وشرحه، وله مجلد في شرح بيت لعضد الدولة.

أخذ عنه: الثماني، وعبد السلام البصري. توفي في صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة. ولد قبل الثلاثين وثلاث مئة، وكان

أعور. (انظر: سير أعلام النبلاء، ١٧/١٧-١٨-١٩).

(٥) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن الكريم، ط ١، (بيروت: دار العلم، ١٩٥٩)، ص (٣٣٤).

(٦) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

الاستعارة التمثيلية: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ التي صورت قوة سلطان ذي القرنين، ورسوخ مُلكه، وعظمة تصرفه، الذي لا يستطيع أحد زعزعته، أو إضعاف قبضته عليه<sup>(١)</sup>. من خلال إعطاء معنى التمكين في الأرض من دلالة على الثبات والاستقرار، وذلك إن التمكين مأخوذ من المكان الذي هو موضع الشيء<sup>(٢)</sup> « والتمكين من الحِصَالِ الملائمة للملك القوي؛ ولذلك كانت تقول العرب إن بني فلان لذو مَكْنَةٍ من السلطان أي تمكن<sup>(٣)</sup>. وصورَت الاستعارة التمثيلية مدى عمق مُلك ذي القرنين، وهيبته بين الأمم والدول من خلال الكاف المشددة وجرسها الشديد<sup>(٤)</sup> والنون المشددة وصوتها الرخو الذي من شدة رخاوته لا يحدث أي حفيف أو صغير فضلاً عن الألف بصوتها الواضح، إذ يوحي هذا البناء الصوتي بالقوة العظيمة التي ترتخي أمامها الأرض مستسلمة لما نفذ فيها واستقر في إحشائها وعلا وارتفع فوق سطحها شهرة ومجداً، وقد تواسجت الاستعارة التمثيلية مع سياقها إذ عطف النص القرآني عليها ما يتناسق مع مراميها ومعانيها وهو قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ الذي بدأ مضمون الاستعارة فيه واضحاً، وجلياً بصورة موجزة موحية، إذ يبين مدى ما وصل إليه ذو القرنين من اقتدار، وتسخير لأسباب الأرض، وإن هذه العبارة لتنبض بذلك كله، من خلال ما يؤمى إليه الفعل الماضي (آتيناه) من شدة العطاء<sup>(٥)</sup> وثباته، أضف إلى ذلك ما يعطيه التركيب الإضافي (كل شيء) المستعمل هنا في الأشياء الكثيرة والعظيمة<sup>(٦)</sup> من إشارة واضحة إلى شدة تسخير أسباب الأرض له، وحقيقة السبب الحبل<sup>(٧)</sup> « وأطلق هنا على ما يتوصل به إلى الشيء من علم أو مقدرة أو آلات التسخير على وجه الاستعارة »<sup>(٨)</sup> وزاد من جمال الاستعارة التمثيلية ورودها في بداية ذكر خبر ذي القرنين الذي تناسبت قصته، مع القصة السابقة وهي قصة

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (١٦ / ٣٥).

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (دار الجليل)، مادة "مكن"، ٤ / ٢٧٤.

(٣) الأزهرى، مرجع سابق، مادة: "مكن"، ١٠ / ٢٩٣.

(٤) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط ٥، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، ص ٢٣.

(٥) السنجاري، حسن طه الحسن، توكيد مضمون الجمل بتتبع الترادف في القرآن الكريم، ط ١، (الموصل: دار الانتصار)، ص ١٥٨.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، (١٦ / ٢٤).

(٧) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٣، (بيروت: دار العلم

للملايين، ١٩٨٤)، مادة: "سب"، ١ / ١٤٥.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، (١٦ / ٢٤).

موسى عليه السلام مع العبد الصالح، ذلك أن ذا القرنين طاف الأرض جهاداً في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض، وموسى عليه السلام طاف الأرض طلباً للعلم والحق.

ومما يضيفي على الاستعارة قوة وعمقا تناسقها مع مقام العبرة التي راعها النص القرآني من خلال إسناد التمكين لذاته تعالى، مع إجمال الأسباب التي توصل بها ذو القرنين إلى ما وصل إليه من العز والسلطان، توجيهاً للإنسان كي لا يغتر فيتكبر أو يقعد عن الأخذ بالأسباب، فلا يكون له أثر يذكر في هذه الحياة الدنيا.

فالله جل وعلا هو الملك على الحقيقة يعطي من يشاء قسماً من الملك يمتن به على بعض عباده لذا صحة إضافة الملكية لغير الله تعالى كما أن مُلك الإنسان ليس مُلكاً ذاتياً من عند نفسه ولكنه معطى إياه من قبل الحق تبارك وتعالى، فليس لأحد من الخلق ملكية مطلقة لأي شيء إنما هي ملكية معارة من الملك الحق؛ فعلى الملك البشري أن يعلم هذا لكي يتقي الله في نفسه وفي رعيته وإلا تحتم على المجتمع رده إلى الصواب الذي يرتضيه الله صاحب الملك والملكوت، وإلا وقع عليهم وعليه عذاب من الله في الدنيا والآخرة.

## المبحث الثاني: الملك والقيادة العسكرية

ربط القرآن بين الملك والقيادة العسكرية وذلك يتضح جلياً في قصة طالوت التي ذكرها الله - عز وجل - في كتابه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ إِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ... (الآيات)﴾<sup>(١)</sup> فعلم من السياق أن الغرض الأول من طلب القوم نصب الملك عليهم أن يتولى قيادتهم في سبيل الله، ويثأر من أولئك الوثنيين الذين أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم<sup>(٢)</sup> وذلك واضح جلي فيما قصه القرآن ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> فلما اعترضوا عليه لأنه لم يؤت سعة من المال؛ لأنهم ظنوا أن من صفات الملك أن يكون ذا سعة من المال، وذلك لقصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك؛ فإنهم رأوا الملوك المجاورين لهم في بذخة وسعة، فظنوا ذلك من شروط الملك، ولذا أجابهم نبيهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ رادا على قولهم: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ فإنهم استندوا إلى اصطفاء الجمهور له فأجابهم بأنه أرجح منهم لأن الله اصطفاه عليهم واختاره لهم واستعمال لفظة الاصطفاء دلالة على مكانته وعظم شأنه وأنه الأحق بذلك منهم أجمعين وزاد بقوله: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ردا عليهم قولهم: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ أي زاده عليكم بسطة في العلم والجسم، فأعلمهم أن الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة ترجع إلى أصالة الرأي وقوة البدن؛ لأنه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة، لا سيما في وقت الشدائد، وعند تعذر الاستشارة أو عند خلاف أهل الشورى وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال؛ فيكون

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٢) رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٣٨٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.



بشباته ثبات نفوس الجيش وقدم النبي في كلامه العلم على القوة لأن وقعه أعظم<sup>(١)</sup> واستخدام لفظة البسط للدلالة على السعة والانتشار؛ فالبسطة الوفرة والقوة من الشيء، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> يحتمل أن يكون من كلام النبي فيكون قد رجع بهم إلى التسليم إلى أمر الله، بعد أن بين لهم شيئاً من حكمة الله في ذلك ويحتمل أن يكون تذيلاً للقصة من كلام الله تعالى وكذلك في قوله ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ والتذييل في الآية بأن الله واسع عليم للدلالة على أنه واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء؛ فأنتم طعنتم في طالوت لكونه لم يؤت سعة من المال؛ فالله تعالى واسع الفضل يفتح عليه أبواب الرزق والسعة كما في المال<sup>(٣)</sup> ولتأكيد ذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. ورغم لاحتيل الرهي طالوت أن يكون ملكاً يطون تحته ويجلدون بقرته، إلا أنهم كلوا على تشدد محقت وغلو كبير تلك أجزهم نبيهم أن التلوت ومجيئه إليهم علامة تلك لاحتيل الرهي وقد كل بنو إسرائيل يغالون ويستفتحون به على طوهم وقد كرت الروايك لإسرائيلية والتاريخية حول هذا التلوت ذكرتها كتب التفسير.

ولما رأى بنو إسرائيل التابوت ساروا تحت قيادة طالوت مسارعين إلى الجهاد غير شاكين في النصر فسار بهم قاصداً دروب الجهاد، وهنا ظهرت حنكة هذا القائد المظفر وعلمه وقوته في اختبار العناصر التي تحت قيادته حتى يعلم الصادق من الكاذب والقوي من الضعيف والمؤمن الشاك من الكافر وعلى هذا الأساس يتصرف فكان اختبارهم بالنهر وكانت مراتب الاختيار ثلاثة: أولاً: من يشرب فيروي ولا يبالي بمخالفة الأمر، وهذا يتبرأ منه.

ثانياً: من يأخذ غرفة فيبل بها ريقه وهو مقبول على ما به من نقص في الجملة.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٠ و ٤٩١) بتصرف.

(٢) ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، (٤/ ٢٧٢ و ٢٧٣) بتصرف.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

ثالثاً: من لا يذوق وهذا هو المولى والنصير الذي يوثق باتحاده ويعول عليه (١).

وقد ثبت في الاختبار قلة من الجند ، وذلك أن القوم كانوا قد فسد بأسهم وتزلزل إيمانهم واعتادوا العصيان فسهل عليهم عصيانهم وشق عليهم مخالفة الشهوة وإن كان فيه هوائهم، ولم يبق من أهل الصدق في الإيمان والغيرة على الملة والأمة إلا نفر قليل، والعدد القليل من أهل العزائم يفعل ما لا يفعل الكثير من ذوي المآثم (٢).

وَبُتَّ مَعَ طَالِطِ لَطَّاعُونَ، لَوْمُونَ قَهَاتِ لُجَالِطِ، لَمْ يَفِرُوا إِلَى كَلِّ ثَبَاتِهِمْ كَتَبَتْ  
الْحَبْلَ وَاسْتَعْلَوْا عَلَيَّ طَلْحَ بَدْرٍ لَدَى اللَّهِ وَصَلَّاهُ وَتَوَكَّلَ الْخَطَّاسُ عَلَيْهِ قُلْ تَعَالَى ﴿وَأَمَّا لَبِيزُوا  
لِحَالَتِ وَجُودِهِ قُلُوبَنَا تَفَرَّغَ عَلَيْنَا صِرَاطًا وَتَبَّتْ لَقَمَانَا وَفَضَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ\*  
فَهَرَّوهُمْ بِإِثْنِ اللَّهِ، قُلْ دَوْدُ جَلَّتْ وَآتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴿٣﴾.

فربط بين الملك والقيادة العسكرية والتي أدت إلى النصر نظراً لحاجة الملك إلى قائد يحافظ عليه ويزيده ويدفع عنه كيد المعتدين.

وورد في السياق القرآني صورة أخرى من صور الربط بين الملك والقيادة العسكرية وترتب عليها نصر أيضاً متمثلة بالقائد الفذ الذي دانت له الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها وهي صورة عظيمة حقاً.

كان ذو القرنين قائداً صالحاً ومجاهداً حقق انتصارات عسكرية ضخمة فقد ملك زمام الأمر يجاهد الباطل ويحطمه وسيأتي تفصيل القصة لاحقاً في مبحث الملك الراشد.

وورد في السياق القرآني صورة أخرى من صور الربط بين الملك والقيادة العسكرية وهي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ.

وبسبب طول أحداث القصة، ارتأيت أن أقسمها إلى مجموعة من المشاهد، فكان التقسيم إلى ثمانية مشاهد كما سيأتي:

### المشهد الأول: سليمان يجمع جيشه في واد النمل:

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، (٣/ ٣٧٣).

(٢) رشيد رضا، مرجع سابق، (٢/ ٣٩١ و٣٩٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

قال تعالى: ﴿وَحَشْرٍ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

تتحدث الآية عن الملك العظيم، وحجم الجيش الذي وهبه الله تعالى لسليمان عليه السلام فيها هو يخرج يوماً مع جيشه العسكري الكبير، في موكب ملكي عظيم، وكان جيشه مكوناً من ثلاث فرق: (فرقة الجن، وفرقة الإنس، وفرقة الطير).

ومعنى حشر: جمع، والحشر: الجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَشْرَنَاهُمْ فَلَمَّ نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

وقد أطل المفسرون في ذكر مقدار هذا الحشر، وبالغوا في تعداد هذا الجيش وحجمه وذكروا روايات شبيهة بالخيال وليس عندنا خبر صحيح في ذلك.

قال الشوكاني<sup>(٤)</sup>: «وقد أطل المفسرون في ذكر مقدار جنده، وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعلها العقول، ولا تصح من جهة النقل، ولو صحت لكان في القدرة الربانية ما هو أعظم من ذلك وأكثر»<sup>(٥)</sup>.

إن معرفة حجم هذه القوات لا يفيدنا في شيء ويكفيها الوصف القرآني لها.

ويعطينا الحافظ ابن كثير<sup>(١)</sup> وصفا لترتيب الفرق ويقول إن الإنس كانت تلي سليمان وإن الجن بعد الإنس في المتزلة، والطير منزلتها فوق رأسه، فإن كان حراً أظلت منه بأجنحتها<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النمل، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١١٢/١٣).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م): فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بحجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفاً، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار - ط) ثمانية مجلدات، و (البيدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ط) مجلدات، و (الأحكام الوضعية في الكلام على حديث حب النصارى كل خطية خ) كتابي للكتابة العربية، و (لمحة على الظاهر في حمتق و (أغفل لاكل ط) وهو ثبت مروياته عن شيخه، مرتب على حروف الحاء، و (الوقوف لمجموعتي لاحتاح للوضوعة ط) و (العقب على الموضوعات خ) و (المر الهيتي للسائل - الفقهية خ) و (فتح القلوب ط) في التفسير خمسة مجلدات، و (إرشاد القبول ط) في أصول الفقه، و (السلي الجول ط) حوزة في نقد كتب لازهر، و (إرشاد القبول ط) لفتح على التوحيد والعدو النوك) وداعلي موسى بن ميمون لأعماله (اليهودي في ظاهر المستند والوطني في بطن المعتد كما يقول صدق من خط) و (خفة التاكين ط) شرح عدة الحسن للصين، و (الغنى في مذهب المظالم ط) رسالة، و (المر الضيفي يخلص كلمة التوحيد ط) رسالة وغير ذلك. وتلميذه محمد بن حسن الشنجي، تاب (التفصير - خ) في سيرته وذكر مشايخه وتلاميذه. (انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٩٨/٦).

(٥) الشوكاني، مرجع سابق، (٤/٦١).

ولا نفخ لنا نسل سليمان بحيشه هذا؟ هل كل ذهباً لي معوك؟ أم علماً منها؟ أم أنه  
 يستغنى قوله فحسب؟ أم ليس آخراً؟ لا لني... والقرآن سكت عن هذا. ولا تلك لي  
 حلي صحيح على ذلك، فله أعلم بالسبب الحقيقي، ولا أسلم أن نسير مع الآيات.

### جيش سليمان منظم ومرتب:

ورغم اختلاف أجناس هذا الجيش، وتعدد فرقته، وكثافة أعداده، إلا أنه كان جيشاً  
 منظماً مرتباً، ليس للفوضى فيه أي مكان، وليس للتسيب فيه موضع ولا عنوان، فهو  
 حشد عسكري منظم، يطلق عليه (اصطلاح الجنود) إشارة إلى الحشد والتنظيم<sup>(٣)</sup>.

هذا التنظيم والترتيب، نفهمه من قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

وقد أورد أبو جعفر الطبري ثلاثة أقوال عن السلف في معنى «يوزعون» وهي (يجبس  
 أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، يساقون....، يتقدمون...)<sup>(٤)</sup>.

والذي يسعفنا في الفهم، معرفة المعنى اللغوي.

يقال: وزعته عن كذا: كففته عنه. قال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ  
 وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، إشارة إلى أنهم على كثرتهم وتفانهم لم يكونوا مهملين  
 ومبعدين كما يكون الجيش الكثير المتأذي بمعرفتهم، بل كانوا مسوسين ومقموعين<sup>(٦)</sup>.

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (٧٠١ - ٧٧٤ هـ =  
 ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م): حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ -  
 ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته.

من كتبه (البداية والنهاية - ط) ١٤ مجلداً في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧ (٣) و (شرح  
 صحيح البخاري) لم يكمله، و (طبقات الفقهاء الشافعيين - خ) في شستريتي (٣٣٩٠) كتب في حياته سنة ٧٤٩ و (تفسير  
 القرآن الكريم - ط) عشرة أجزاء (٤) و (الاجتهاد في طلب الجهاد - خ) و (جامع المسانيد - خ) في ثمانية مجلدات، و (اختصار  
 علوم الحديث) رسالة في المصطلح شرحها أحمد محمد شاكر، بكتاب (الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث - ط) و (اختصار  
 السيرة النبوية) طبع باسم (الفصول في اختصار سيرة الرسول) و (رسالة في الجهاد - ط) و (التكميل في معرفة الثقات والضعفاء  
 والمجاهيل) خمس مجلدات في رجال الحديث. (انظر: الزركلي، الأعلام، ١/٣٢٠).

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، (٣/٣٥٩).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٢، (بيروت: دار الشروق، ١٣٩٩-١٩٧٩م)، (٥/٢٦٣٦).

(٤) الطبري، مرجع سابق، (١٩/١٤١-١٤٢).

(٥) سورة النمل، الآية: ١٧.

(٦) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٥٩٤.

إن لول عني الغتحو لكلك، وتلك فالرح أن معنى يوزعون: يجب أولهم على آخرهم  
وهذا ما رجحه الطبري قال: «وذلك لأن الوازع في كلام العرب: هو الكاف. يقال:  
وزع فلان فلاناً عن الظلم: إذا كفه عنه.»<sup>(١)</sup>.

يجب أولهم ليلحق آخرهم، فيكونوا مجتمعين، لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة  
العظيمة، ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف<sup>(٢)</sup>.

إن اجتماع مثل هذا العدد من الجنود في جيش عرموم لجب، مظانة الإنفلات  
والفوضى ولكن جيش سليمان -عليه السلام- لم يكن فيه مكان للفوضى، وجنوده لم  
يكونوا مهملين ولا منسيين، كان جيشه مرتباً منظماً، منسقاً منضبطاً، وكان قادة فرق من  
جيشه يوزعون الجنود، ويرتبونهم وينظمونهم ويكفونهم عن الخروج، ويمنعونهم عن  
الفوضى، وكانوا يفعلون ذلك بالجنود عن طريق حبس أولهم على آخرهم، فيسير آخر  
جندي بسير أول جندي ويراعي الأول حركة الأخير، وبذلك تتناسق الحركات، وتنظم  
الخطوات، ويسير جميع الجنود خطوات مرتبة منسقة وكأنهم كلهم رجل واحد<sup>(٣)</sup>.

وهنا يلنا على حرص سليمان، وحنن لئله لملكه، وتوزيع الهام حتى لا يكون ثمة قصير.

وفي الآية دليل على اتخاذ الإمام والحكام وزعة، يكفون الناس، ويمنعونهم من تناول  
بعضهم على بعض، إذ لا يمكن ذلك بأنفسهم<sup>(٤)</sup>.

وهذا أمر جرت عليه علة الجيش والملك، وهو أمر قضيه قواعد لإحلاله السليمة الناصحة.

### المشهد الثاني: سليمان يتفقد فرق الجيش:

تابع الجيش الكثيف مسيره في نظام دقيق، وانضباط وثيق، ولما كان سليمان -عليه  
السلام- يتصف بالحزم والقوة، وحسن الإدارة، بدأ يتفقد قواته، ليرى إن كان هناك خللا  
أو تقصيرا، ويبدو أنه تفقد جميع فرق الجيش، الجن والإنس، فوجد الأمر على ما يرام،

(١) الطبري، مرجع سابق، (١٤٢/١٩) مختصراً.

(٢) الألويسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث)، (١٩/١٧٤).

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل وأحداث، ط٣، (دمشق: دار القلم، ١٤٣٢-٢٠١١)، (٣/٥١٧).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١١٣/١٣).

والوضع يسير بإنسجام ووفق نظام، ولما وصل إلى فرقة الطير اكتشف أن في الأمر خللاً: إنه غياب أحد الجنود.

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف السلف في سبب تفقد سليمان الهدهد:

قال عبد الله بن سلام: كان سبب تفقد الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بعد الماء في الوادي الذي نزل به مسيره، وقال: وهب بن منبه<sup>(٢)</sup>: كان تفقده إياه وسؤاله عنه: لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام القرطبي<sup>(٤)</sup> عن هذا التفقد: «ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمر الملك والتهمم بكل جزء منها»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النمل، الآية: ١٩ - ٢٠.

(٢) هو وهب بن منبه الأبتاوي الصنعاني الدماري، أبو عبد الله (٣٤ - ١١٤ هـ = ٦٥٤ - ٧٣٢ م): مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر.

ومن كلامه، وينسب إلى غيره: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة! واتهم بالقدر، ورجع عنه. ويقال: ألف فيه " كتابا " ثم ندم عليه. وحبس في كبره وامتنح. قال صالح بن طريف: لما قدم يوسف بن عمر العراق، بكيه، وقلت: هذا الذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله.

وفي " طبقات الخواص " أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة. من كتبه " ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم " رآه ابن خلكان في مجلد واحد، وقال: هو من الكتب المفيدة. وله " قصص الأنبياء - خ " و " قصص الأخيار " ذكرهما صاحب كشف الظنون. وقال الحافظ في التقریب: ثقة من الثالثة. (انظر: الزركلي، الأعلام، ١٢٥/٨ - ١٢٦ وابن حجر، التقریب، ص ٨٨٣، ترجمة رقم ٧٥٣٥).

(٣) الطبري، مرجع سابق، ١٩ / ١٤٤.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبدا. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن " عشرون جزءا، يعرف بتفسير القرطبي، و " قمع الحرص بالزهد والقناعة " و " الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى " و " التذكار في أفضل الأذكار " و " التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة " مجلدان. في دار الكتب، طبع " مختصره " للشعراني. و " التقریب لكتاب التمهيد " في مجلدين ضخمين، في خزنة القرويين بفاس (الرقم ٨٠ / ١١٧) وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، بمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. (الأعلام للزركلي، ٣٢٢/٥).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٣ / ١١٩.

ونفهم من الآيات أن الهدهد الذي فقده سليمان لم يكن أي هدهد، بل هو هدهد خاص معين، له نوبة وعمل خاص يؤديه.

والتفقد: تطلب ما غاب عنك وتعرف أحواله<sup>(١)</sup>.

ومن هذا التفقد ندرك سمة من سمات شخصية سليمان القائد: سمة اليقظة والدقة والحزم فهو لم يغفل عن غيبة جندي في هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع أوله على آخره كي لا يتفرق وينتكث<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الآية: «دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله<sup>(٣)</sup>.

قال ابن العربي: ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته قال: لو أن سخله بشاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر<sup>(٤)</sup>، فما ظنك بملك تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان<sup>(٥)</sup>.

ولما لم يشاهد سليمان طائر الهدهد بين الطيور قال:

«ما لي لا أرى الهدهد» هل هو موجود فأخطاه بصري؟

«أم كان من الغائبين». أم هنا: المنقطعة. فسليمان -عليه السلام- نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال: «ما لي لا أرى» على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب، فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له<sup>(٦)</sup>.

(١) الشوكاني، مرجع سابق، (٤/١٦٤).

(٢) سيد قطب، مرجع سابق، (٥/٢٦١٨).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٣/١١٩).

(٤) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ٦/٣١.

(٥) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (٣/٤٧٩).

(٦) الزمخشري، مرجع سابق، (٣/٣٤٦).

ولما تبين لسليمان أن الهدهد غائب، وغيابه بلا إذن، كان لابد من الحزم، والشدة حتى لا تسود الفوضى أوساط الجيش، ويحصل التسبب، وتكون سابقة سيئة لبقية الجيش فقال سليمان متوعداً متهدداً: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾.

وقد ذكروا في هذا المقام أنواعاً من العذاب الذي توعد به الهدهد هي اجتهادات من المفسرين، على حسب حال الهدهد، وما يليق به من عقوبة، ولا دليل على تعيين أي منها والأجود كما يقول أبو حيان: أن يجعل كل من الأقوال من باب التمثيل<sup>(١)</sup>.

وليس هذا التعذيب المتوعد به أو الذبح جبروتاً من سليمان يُذم، بل هو من القسوة المطلوبة، ذلك أن: «معاقبة المخالف أمر ضروري، لأن أي مخالفة لا تقابل بالجزاء المناسب لابد أن تنشر مخالفات أخرى متعددة أعظم منها»<sup>(٢)</sup>.

وسليمان لم يكن ملكاً جباراً وهو لم يسمع به عن الهدهد، ولم يفهمه، لذلك قال: ﴿وَلْيَأْتِي بِمُطْلَقٍ صَبِيحٍ﴾ أي: حجة واضحة تدين عذابي غير اللتون به.

إن استدراك سليمان هذا: «يدل على أن من لوازم الحزم والضبط والعدل، إعطاء الفرصة للمتهم لبيان حجته، والدفاع عن نفسه، وعدم معاجلته بالعقوبة، فلا يعاقب المتهم إلا بعد ثبوت إدانته، أما إذا قدم حجة وعذرا فلا بد أن يقبل منه»<sup>(٣)</sup>.

### المشهد الثالث: الهدهد يذلي بحجته:

ولم يمر وقت طويل على تفقد سليمان الطير، وتهديده الهدهد، حتى عاد الهدهد ومعه نبأ عظيم!!! يعود ومعه المفاجأة التي ستغير مسار الأحداث:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ \* إِنْ سِيَّ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ \* وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، (٦٥/٧).

(٢) شعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم)، (١٧/١٠٧٦٦).

(٣) الخالدي، مرجع سابق، (٣/٥٢٧).



لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: المكوث في اللغة: التوقف والانتظار<sup>(٢)</sup> فهو يحمل معنى ملازمة المكان، والبقاء فيه مدة ما.

و(غير): منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف وتقديره: فمكث مكثاً غير بعيد، وقيل: منصوب على أنه صفة لظرف محذوف. وتقديره: فمكث وقتاً غير بعيد<sup>(٣)</sup>.

والضمير في مكث: يحتمل أن يكون لسليمان، ويحتمل أن يكون للهدهد، والأولى حملة على الهدهد، لأن الكلام السابق عنه، والكلام التالي له. فالهدهد أقام زماناً غير بعيد، وغاب غيبة قصيرة ثم حضر.

وما إن عاد الهدهد حتى بادر سليمان بمفاجأة لم تخطر لسليمان على بال!!! بادر سليمان قائلاً: ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيًّا يَقِينٍ﴾.

والإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، وفي هذه المكافحة: التنبيه على أن أضعف الخلق قد يؤتي ما لا يصل إليه أقواهم، لتتحاقر إلى العلماء علومهم، ويردوا العلم في كل شيء إلى الله<sup>(٤)</sup>.

ومن يقول هذا الكلام؟ إنه الهدهد الجندي الضعيف في جيش كثيف، وهو مع ذلك مقصر مستحق للعقاب!!!

ولن يقول هذا الكلام؟ يقول لسليمان التي أوتي ما لم يحس مثله أحد، لا قبله ولا بعده!!!

«وأي ملك لا يستمع، وأحد رعاياه يقول له: «أحطت بما لم تحط به»؟ فإذا ضمن إصغاء الملك بعد هذه المفاجأة أخذ في تفصيل النبأ اليقين الذي جاء به»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النمل، الآية: ٢١-٢٦.

(٢) مدكور وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة)، (٢/٩١٦).

(٣) عبد العزيز، أمير، التفسير الشامل للقرآن الكريم، ط ١، (القاهرة: دار السلام ١٤٢٠-٢٠٠٠م)، (٥/٢٥٠٢).

(٤) البقاعي، مرجع سابق، (٥/٤١٤).

(٥) سيد قطب، مرجع سابق، (٥/٢٦٣٨).

وقد استطاع الهدهد بهذه المفاجأة أن يستجلب انتباه سليمان، ويشد خاطره، ويعمل تفكيره، ذلك أن: «معرفة أحوال الممالك والأمم، من أهم ما يعني به ملوك الصلاح، ليكونوا على استعداد بما يفاجئهم من تلقائها، ولتكون من دواعي الإزدياد من العمل النافع للمملكة، بالإقتداء النافع من أحوال غيرها، والانقباض عما في أحوال المملكة من الخلل بمشاهدة آثار مثله في غيرها»<sup>(١)</sup>.

وحتى يفصح الهدهد عن مفاجأته قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بَنِيًا يَقِينٌ﴾.

وسبأ هم: «حمير، وهم ملوك من اليمن»<sup>(٢)</sup>.

وهي «أرض باليمن، مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم كأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»<sup>(٣)</sup>.  
وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن سبأ رجل ولد عشرة من العرب، تيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة<sup>(٤)</sup>.

ومعنى تيامن: قصد جهة اليمن، وتشاءم: قصد جهة الشام<sup>(٥)</sup>.

وبين كلمتي (سبأ) و(نبأ) جناس مضارعة<sup>(٦)</sup>، وهو أحد المحسنات البديعية، فهو: «تعبير جميل لفظاً دقيق معنى: ألا تراه لو قال: (وجئتك من سبأ بخبر) لاختل اللفظ والمعنى معاً!!! لأن الخبر يراد به مطلق الخبر، أما النبأ: فلا يقال إلا للخبر العجيب الهام الملفت للنظر»<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٩/ ٢٤٩).

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، (٣/ ٣٦١).

(٣) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار الفكر)، (٣/ ١٨١) مختصراً.

(٤) سنن أبو داود، كتاب الحروف والقراءات، ص ٧٩٣، رقم الحديث (٣٩٨٨). وسنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة سبأ، ص ٩٥٥، رقم الحديث: (٣٢٢٢) وقال عنه الترمذي: حسن غريب.

(٥) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول من أحاديث الرسول، ط ١، (بيروت: دار الفكر)، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٢/ ١١٩).

(٦) الجناس المضارع هو نوع من أنواع الجناس ومعناه أن تجمع بين طرفي جناس لا اختلاف بينهما إلا في حرف واحد متحد في المخرج أو متقارب مع نظيره في الطرف الآخر. (المطعني، عبد العظيم، البلاغة ٢، (جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)، ص ٣٥١).

(٧) شعراوي، مرجع سابق، (١٧/ ١٠٧٦٩).

لقد وصف النبأ باليقين: فهو خير عيب محقق لا شهة فيه. إنه خير صلق صحيح لا يعلق إليه التلث، وغير مني على التحين والنخس، وهكذا ينبغي أن تكون لأجل وقلتها.

ثم بدأ الهدهد بتقديم تقريره بعد أن قدم عذره، واستحوذ على إهتمام سليمان، وجذب نظره إليه، فقال: «إني وجدت امرأة تملكهم». إذن فنظام الحكم في (سبأ) كان نظاماً ملكياً، وهذا ليس غريباً على أنظمة الحكم في العالم القديم، فقد كان أكثرها ملكياً. لكن الغريب في الأمر أن الملك في تلك البلاد امرأة وليس رجلاً ذكراً!!! وقد ذكر معظم المفسرين أن اسمها (بلقيس). وهناك اضطراب كبير بين المؤرخين والمفسرين في ترتيبها مع ملوك سبأ وتعيين اسمها، واسم أبيها وأصولها.

قال صاحب التحرير: «والموثوق به أنها كانت معاصرة سليمان، في أوائل القرن السابع عشر قبل الهجرة، وكانت امرأة عاقلة، ويقال: هي التي بنت سد مأرب، وكانت حاضرة ملكها مأرب، مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة مراحل»<sup>(١)</sup>.

وقد بلغت الإسرائيليات في نسج الأساطير حولها حتى ذكرت في بعضها أن أحد أبويها كان جنياً، وأن مؤخر قدميها مثل حافر الدابة!!! وذكروا في عدد من تملكهم أرقاماً خيالية لا يستسيغها العقل!!!<sup>(٢)</sup>.

وهي - بلا شك- إسرائيلية مرفوضة، والأولى أن نسير مع آيات القرآن كما هي ولذلك فإنني سأسير في قصتها على أنها (ملكة سبأ) وحسب، ولن أذكر اسمها إلا إذا كان نصاً منقولاً عن أحد العلماء.

نكمل تقرير الهدهد عن مملكة سبأ:

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ «أي: يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة»<sup>(٣)</sup>.

ولها عرش عظيم العرش: سرير الملك، ومكان جلوسه.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢٥٢/٩).

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، (٣٦١/٣).

(٣) الطبري، مرجع سابق، (١٤٨/١٩).

وقد بالغت الإسرائيليات كثيراً في أوصاف هذا العرش، ومقاساته، والجواهر التي حلي بها، مما لا نخوض فيه، وحسبنا وصف القرآن له بالعظم، وقد جاءت الكلمتان (عرش عظيم) نكرتين منونتين: للدلالة على التفخيم والتعظيم.

وقد جمع هذا القول من الهدهد «أصول الجغرافية السياسية من صفة المكان والأديان وطبيعة الدولة وثروتها»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أتم الهدهد عرض حال الملكة انتقل للحديث عن ديانة القوم وعبادتهم: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فالقوم كانوا يعبدون الشمس، فهم وثنيون غير موحدين!!!

ويبدو من عرض الهدهد لديانة القوم حكمته وعقله، فهو يهتم للدين الحق، ويكره الدين الباطل، ولا غرابة!!! فهو عارف لربه، مسبح بحمده، مؤمن به، لذلك امتعض من عبادتهم للشمس وتأثر، وعقب على ذلك قائلاً: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

لقد حسن لهم الشيطان أعمالهم، وحبب إليهم كفرهم، وصدهم بذلك عن طريق الحق واتبعوا طرق الغواية والضلال، فكانت النتيجة أنهم لا يهتدون.

«أنها موعظة بليغة، من واعظ متمكن، يفهم عن الله، ويعلم منهجه، ويدعو إليه، بل ويعز عليه ويحز في نفسه أن ينصرف العباد عن الله المنعم»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال البيضاوي<sup>(٣)</sup>: وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بالكمال والقدرة والعلم، حثا على سجوده، وردا على من يسجد لغيره<sup>(١)</sup>.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢٥٤/٩).

(٢) شعراوي، مرجع سابق، (١٧/١٠٧٧٣).

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي (١٠٠٠ - ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م): قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه "أنوار التبريل وأسرار التأويل - ط" يعرف بتفسير البيضاوي، و"طوابع الأنوار - ط" في التوحيد، و"منهاج الوصول إلى علم الأصول - ط" و"لب اللباب في علم الإعراب - خ" و"نظام التواريخ - خ" كتبه

وفي حرف أَلَا: قراءتان: الأولى: بالتخفيف وهي قراءة الكسائي (أَلَا)؛

وقرأ الباقر: بالتشديد (أَلَا)<sup>(٢)</sup>!!

والحجة لمن شدد: «أنه جعله حرفاً ناصباً للفعل، ولا: للنفي. ومعناه: (وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا لله). والحجة لمن خفف: أنه جعله تنبيهاً واستفتاحاً للكلام، وتلخيصه: أَلَا يَا هَوْلَاءِ اسْجُدُوا»<sup>(٣)</sup>.

وقراءة التشديد لا إشكال في معناها، إذ تقديرها: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا. أو لأجل أن لا يسجدوا. أما قراءة التخفيف: فهي كما يلي:

«أَلَا: حرف تنبيه واستفتاح، وما بعدها حرف نداء. واسجدوا: فعل أمر. وكان حق الخط على هذه القراءة أن تكون هكذا: (أَلَا اسْجُدُوا)، ولكن الصحابة اسقطوا (الألف) عن (يا) و(همزة الوصل) من (اسجدوا)، ووصلوا الياء بسين، (اسجدوا)، فصارت صورة الخط (أَلَا يسجدوا)، والمنادى محذوف وتقديره: أَلَا يَا هَوْلَاءِ اسْجُدُوا»<sup>(٤)</sup>.

والخبء: «المخبوء في السماوات والأرض من غيث في السماء ونبات في الأرض، ونحو ذلك»<sup>(٥)</sup>.

وقد اختار الهدهد هذه الصفة لله على نحو ما يفهم ويعقل، وعلى حسب حاله من طول منقاره الذي يستخدمه في التفتيش في الأرض عما يقتات عليه ويأكل!!! ثم انتقل الهدهد للحديث عن وحدانية الله في حياة الناس.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، فالله تعالى يعلم ما نخفي وما نعلن، وما نسر وما نجهر، قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>(٦)</sup>.

---

باللغة الفارسية، ورسالة في موضوعات العلوم وتعريفها - خ " و " الغاية القصوى في دراية الفتوى - خ " في فقه الشافعية.

انظر: الزركلي، الأعلام، ٤/٤١٠.

(١) البيضاوي، مرجع سابق، ٤/٢٦٥.

(٢) ابن مجاهد التميمي، أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠)، ص ٤٨٠.

(٣) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العالم سالم مكرم، ط٤، (بيروت: دار اشروق، ٥١٤١٠)، (٢٧ - ٢٧١).

(٤) الشوكاني، مرجع سابق، ٤/١٦١، وانظر: الطبري، مرجع سابق، ١٩/١٤٩.

(٥) الطبري، مرجع سابق، ١٩/١٥٠.

(٦) سورة غافر، الآية: ١٩.

وبعد ذلك انتقل إلى تعظيم الله تعالى فذكر: «أنه الإله الواحد الذي لا شريك له، ولا معبود بحق سواه، وهو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه، فكل عرش مهما عظم فهو دونه -ومنه عرش بلقيس- فكان الواجب إفراده بالعبادة»<sup>(١)</sup>.

وفي قصة هذا الهدهد أكبر درس للدعاة إلى الله تعالى بأن يكونوا إيجابيين في الدعوة مبادرين إلى عمل الخيرات.

يقول الدكتور عبد الله يوسف الحسن: «وفي قصة الهدهد يبرز مفهوم الإيجابية واضحاً إذ كيف سار الهدهد بمفرده دون تكليف مسبق، أو تنفيذ لأمر صادر، وجلب خيراً للقيادة المؤمنة، أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام؟؟؟»

فالداعية أولى من الهدهد بالعمل الإيجابي، والسعي وراء المصالح، والبحث عن الخير، فما من أفضلية خاصة لهذا الطائر الاعتيادي إذا تجاوزنا الإسرائيليات أو المبالغات التي لا تسندها النصوص<sup>(٢)</sup>.

#### المشهد الرابع: سليمان يرسل الهدهد في مهمة دعوية إلى ملكة سبأ

أم الهدهد عرض ما شاهده، وقدم عذره في تعيبه عن نوبته، ويبدو أنه نجح في استشارة اهتمام سليمان وإقناعه، وبالتالي: (نجاته من العقاب) وكان موقف سليمان هو:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن لأجل التي طرق مسمع سليمان ملك عليه لبه، فهو يسمع أجل اجليقة عن بلاد عحيته، ولكنه مع ذلك ظل على إقراره، وحفظ على رجاحة عقله، وحنن قهرقه، دون تصل أو للدفاع: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، دون تسرع يقظ لإثبات أو عجلة تدب بالخلف، وهو كما القول قل عذو للهدد: «وكذلك يجب على الولي أن يقل عذو رعيتيه، وليوأ العقوبة عنهم في ظهرو أحوالهم، يظن أنظرهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١م)، (١٩/٢٨٥).

(٢) الحسن، عبد الله يوسف، الإيجابية في حياة الداعية، ط ١، (دي: دار المنطلق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م)، ص ٧-٨ مختصراً.

(٣) سورة النمل، الآية: ٢٧-٢٨.

(٤) ابن العربي، مرجع سابق، (٣/٤٨٤).

وحكمة سليمان في التعامل مع هذا الخبر تدل على الموضوعية والمنهجية التي يجب أن ينظر الإنسان بها إلى الأخبار الجديدة التي يسمعها، فالمسارعة بقبولها سذاجة، والمسارعة بتكذيبها جهل وعناد، فلا بد للإنسان أن يتمهل وأن يتثبت ويتبين من تلك الأخبار التي يفحصها ويتأكد منها<sup>(١)</sup>.

وكانت وسيلة سليمان للتأكد: أن يرسل كتاباً إلى هذه الملكة!!! وخير من يحمل الكتاب: من أتى بالأمر العجيب، أنه الهدهد الذي أتى بالأخبار، وخبر الطريق، وعرف مداخل المملكة ومخارجها، وعلم مساربها ومجاهلها، فقال للهدهد: - ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

لِسُلَيْمَانَ بْنِ كَرِيمٍ وَطَلْعِ عَظِيمٍ وَحَيْثُ قِيٍّ وَجُودِهِ كَثْرٌ، وَهُوَ لَا يَقِلُّ أَنْ يُوَحِّدَ مِنْ قَضِيَّتِهِ يَدَهُ وَهُوَ كَقَوْسٍ أَنْ يَعُودَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبِأَنَّ عِلْقَةَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهْلُ، فَحَرَّرَ لِأَنَّ الْمَلِكِ عَلَى مَلَائِكَتَيْهِ وَقَوْمِهِ فِي مَهْمَةٍ حَرِيَّةٍ وَسَفَرَةٍ إِيْمَانِيَّةٍ، فَأَلْفَ كِتَابًا وَحَمَلَهُ لِلْهَدَدِ وَأَمْرَهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى مَمْلَكَتَيْهِمَا، وَأَنْ يَلْقِيَهُ إِلَيْهِمْ وَيُرِيَهُمْ رَحْمَةً فَطَلْعُهُمْ وَجُودَهُمْ

والإلقاء: طرح شيء حيث تلقاه: أي تراه، ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح<sup>(٢)</sup>.

وهو هنا مستعمل إما في حقيقته إن كان شأن الهدهد أن يصل إلى المكان فيرمي الكتاب من منقاره، وإما في مجازه إن كان يدخل المكان المرسل إليه فيتناول أصحابه الرسالة من رجليه التي تربط فيها الرسالة<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾. أمره بعد أن يلقي الكتاب أن يتعد عنهم ويتوارى في مكان يسمعهم ولا يرونه. «أمره بذلك لكون التنحي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك والمراد: التنحي إلى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع»<sup>(٤)</sup>.

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، (٣/ ٥٣٥).

(٢) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (٥٠٨).

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٩/ ٢٥٧).

(٤) الشوكاني، مرجع سابق، (٤/ ١٧٠).

قال الشيخ زكريا الأنصاري<sup>(١)</sup>: إذا قلت إذا تولى عنهم كيف يعلم جواهم؟

قلت: معناه: ثم تولى عنهم يسيراً، حيث لا يرونك فانظر ماذا يرجعون<sup>(٢)</sup>.

وقد اشتملت سفارة الهدهد على أربع مهمات (الذهاب، الإلقاء، التولي، ثم النظر والتأمل). وهنا يسدل الستار على هذا المشهد، وينتهي ذكر الهدهد، ولا نعد نسمع عنه شيئاً في آيات القرآن.

المشهد الخامس: الملكة تجمع مجلس شوراها ليقرروا ماذا يصنعون:

لَمَّا نَسُوا لِهَدَدِ الْحَبَشِيِّ - أَمْرَ سُلَيْمَانَ - فَجَلَّ لِلْكَتَابِ، وَطَلَفِي فِي مَهْمَةٍ خَطِيرَةٍ  
حَتَّى وَصَلَ طَرَسُ سَبَأَ، وَمَهَّالٍ قَبْرَ الْمَلِكَةِ، وَقَدْ لَأَوْ لَمْ يَدْعُهُ، فَأَلْفَى لِلْكَتَابِ، ثُمَّ تَحَى جَانِبًا  
يُرِيقُ لَطَوْرَتَهُ، وَمَا سَوَّلَ إِلَيْهِ لِأَحَدٍ.

ولا نخوض في هذا المقام في الإسرائيليات التي فصلت كيفية الإلقاء، ونبقى مع آيات القرآن فقط.

رأت الملكة الكتاب فأخذته، وفتحته لتعلم ما فيه، فإذا به كتاب موجه من سليمان -  
عليه السلام- يدعوها -وقومها- إلى نبد عبادة الشمس، والدخول في الإسلام.

وملكة سبأ امرأة حسيبة عاقلة، علمت أن الأمر جد خطير، فلم تشأ أن تنفرد في اتخاذ القرار، بل دعت إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس شورى المملكة، فحضروا وانعقد المجلس -وهم لا يعرفون سبب هذا الاجتماع- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ \* قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ \* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وللأمر هم عليه لثوم وثلثتهم والمشلون منهم سوا الملك لأن رؤيتهم تلاء العيون.

(١) هو: شيخ الإسلام الحافظ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري، الشافعي، شرح عدة كتب. فألف ما لا يحصى كتبه، وله الباع الطويل في كل فن منه، توفي سنة ٩٢٥هـ. (انظر: ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ٨/ ١٧٤).

(٢) زكريا الأنصاري، أبو يحيى، فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، (دار الصابوني، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص (٣٠٨).

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٢-٣٥.



قال الرغب: «الاجماعية يجتمعون على رأي فيملون العيون رواع ومظواه والنفس بجاءً  
وحللاً، يقال: فلان ملء العيون. أي: معظمه من رآه كأنه ملاءمته من رؤيته»<sup>(١)</sup>.

وقولها: (ألقي) جاء بصيغة المجهول، وهذا يدل على أنها لا تعلم من ألقى الكتاب ولا  
كيف ألقاه؟؟؟ قال صاحب الظلال<sup>(٢)</sup>: «فهني تخبرهم أنه ألقى إليها كتاب، ومن هذا  
نرجح أنها لم تعلم من ألقى إليها الكتاب، ولا كيف ألقاه، ولو كانت تعرف أن الهدهد  
هو الذي جاء به - كما تقول التفاسير - لأعلنت هذه العجبية التي لا تقع كل يوم»<sup>(٣)</sup>.

وقد وصف كتاب سليمان بالكرم (كتاب كريم).

لا بد أن الملكة سمعت عن سليمان، وعظمة ملكه، وعلو شأنه، فوصفت كتابه بالكرم  
وقد يكون الكتاب نُحط على ورق فاخر وبخط جميل. قال صاحب التحرير: «ووصف  
الكتاب بالكريم، ينصرف إلى نفاسته في جنسه بأن كان نفيس الصحيفة، نفيس التخطيط،  
بهيج الشكل، مستوفيا كل ما جرت عادة أمثالهم بالتأنق فيه، ومن ذلك أن يكون محتوماً  
(٤)

(١) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص (٥٢٦).

(٢) هو سيد قطب بن إبراهيم (١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٠٦ - ١٩٦٧ م): مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في  
أسبوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الاهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و  
(الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقبا فنيا للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في  
أميركا (١٩٤٨ - ٥١) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الانجليز، وطالب ببرامج تمشي والفكرة الإسلامية.  
وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣) في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير  
جريدتهم (١٩٥٣ - ٥٤) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم.  
قال خالد محيي الدين (أحد أقطاب الثورة المصرية) فيما كتب عنه: كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكرين الإسلاميين  
وضوحا، ومن العجيب أنه انقلب - بعد قيام الثورة - ناقما متمردا على كل ما يحدث حوله، لا يراه إلا جاهلية مظلمة. وكتبه  
كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و  
(مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و  
(المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). ولما وصل خير استشهاده إلى الغرب أقيمت على روجه صلاة  
الغائب وأصدر أبو بكر القادري عددا خاصا به من مجلة (الايمان) ولما كانت النكسة (أو النكبة) عام ١٩٦٧ م، قال علال الفاسي:  
ما كان الله لينصر حربا يقودها قاتل سيد قطب.. وكتب إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي (من طلاب كلية الشريعة في الرياض)  
مجلدا سماه (سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري - ط). (الزركلي، الأعلام، ٣/ ١٤٧-١٤٨).

(٣) سيد قطب، مرجع سابق، (٥/ ٢٦٣٩).

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، (٩/ ١٢٥٨).

فُتح الكتاب فإذا فيه: «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلق علي وأتوني مسلمين».

قال البيضاوي: «وهذا كلام في غاية الوجازة، مع كمال الدلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحاً أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأهميات الفضائل»<sup>(١)</sup>.

والكتاب أشبه ما يكون ببرقية موجزة في غاية الإيجاز!!! والكتاب مبدوء بالبسملة، وهذا يدل على أن البسملة كانت معروفة على عهد سليمان النبي. ولا غرابة في ذلك. فالإيمان عند جميع الأنبياء واحد، والذي يختلف هو الشريعة فقط.

﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. العلو: الاستكبار. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> أي: استكبر. و(ألا) مكونة من: أن. التفسيرية. ولا الناهية. والمعنى: «لا تتكبروا كما يفعله جبابرة الملوك»<sup>(٣)</sup>.

أتوني مسلمين: هي دعوة لهم للدخول في الإسلام -دين الأنبياء جميعاً-. والإسلام: هنا: قد يراد منه المعنى اللغوي بمعنى: الانقياد والخضوع، وقد يراد منه الدخول في دين الله الذي جاء به سليمان عليه السلام.

ملكة سبأ تستشير المملأ من قومها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾<sup>(٤)</sup>.

الفتوى: «الجواب في الحادثة. اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن، والمراد بالفتوى هنا: الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير»<sup>(٥)</sup>.

فهمت الملكة من الكتاب أن الأمر جد خطير، فطلبت من أشرف قومها إسداء النصح، وتقديم المشورة، وفي مسلكها هذا دليل على صحة المشاورة، إما استعانة بالآراء وإما مداراة للأولياء<sup>(٦)</sup>.

(١) البيضاوي، مرجع سابق، (٤/ ٢٦٦).

(٢) سورة القصص، الآية: ٤.

(٣) الشوكاني، مرجع سابق، (٤/ ١٧٠).

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٢.

(٥) الزمخشري، مرجع سابق، (٣/ ٣٥٢).

(٦) ابن العربي، مرجع سابق، (٣/ ٤٨٦).

إن مشورة الحاكم لأهل الخلق والعقد من قومه من لوجب ولجانبه، ومن أفضل الوسائل في التخلص أفضل لآراء، وطبيل آمن القرارات، ومشاركة النبل في عقولهم، وقد قلى: «حسن المشورة من لثبير قباء لحتى العمة». وقلى: لا اعصم بلشورة نبحته وقلى: نصف عتلك مع ألك فلشرحه وقلى: إن المشورة قوم لوجح الرأى<sup>(١)</sup>.

﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>: أي: لا أصدر أي حكم، ولا أتخذ أي قرار، إلا بعد وضعكم في الصورة الكاملة، وسماع آرائكم، والإستفادة من مشورتكم واقتراحاتكم.

وهذا دليل حزمها، ورجاحة عقلها، إذ تعبأ بالمشورة لتخلص إلى الرأى السديد<sup>(٣)</sup>.

وكان رد الملاء من قومها -بعد أن طلبت رأيهم:

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ردوا بأنهم: أصحاب قوة وشجاعة وبأس، كثير أعدادهم، قوية أجسادهم، شديدة بأسهم، قال الزمخشري: «أرادوا بالقوة الأجساد وقوة الآلات والعدد. وبالأس: النجدة والبلاء في الحرب»<sup>(٥)</sup>.

ورغم اعتدادهم بقوتهم، واختيالهم بأسهم، إلا أنهم ردوا الأمر إليها، وفوضوها بإتخاذ القرار، وأعلموها أنهم لأمرها خاضعون، وبرأيها ملتزمون.

وكان الملكة فهت من جواب الملاء ميلهم إلى القتال، وهي غير راغبة به، فأرادت أن تثبط عزائمهم وتفت في عضدهم، ويظهر أنها كانت تميل إلى مسالمة سليمان وموادعته، لذا قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

حذرهم أن من عادة الملوك المتجبرين إذا دخلوا قرية عنوة خربوها، واستباحوا الحرمات وسفكوا الدماء، واستولوا على الأموال، واستذلوا أهلها بالقتل والسي والأسر

(١) البيهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٢٧٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٢.

(٣) عبد العزيز، مرجع سابق، (٥/٢٧٥٣).

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٣.

(٥) الزمخشري، مرجع سابق، (٣/٣٥٣).

(٦) سورة النمل، الآية: ٣٤.

وغير ذلك من أنواع الإهانة والإذلال، وأشاعوا فيها الفساد، وأباحوا دماءها، وانتهكوا حرمتها، وحطموا القوة المدافعة عنها، وعلى رأسها رؤساؤها، وجعلوهم أذلة لأنهم عنصر المقاومة، وهذا رأيهم الذي يفعلونه<sup>(١)</sup>.

وجملة: ﴿وَكذلك يفعلون﴾: يحتمل أن تكون من كلام الملكة كأنه تذييل وتأکید على كلامها السابق بحق الملوك بحكم تجارب التاريخ، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها عن الملوك.

والمملوك نوعان: صالحون عاملون بشرع الله، عادلون في أحكامهم وما ولوا، وفاسدون مفسدون متجبرون، يحكمون الناس بالظلم والعدوان.

وقول ملكة سبأ ينطبق على الملوك: «الذي يحكمون بشرائع الضلال والجاهلية، والشرائع القائمة على الظلم والشر والباطل، والتي تسول للفساد والأمراء والملوك والطغاة أن يفعلوا الآثام والمنكرات والمعاصي، أولئك هم ملوك الضلال والباطل، الذين يشاقون الله ورسله، ويسعون في الأرض فساداً، ويسوسون الناس بغير ما أنزل الله، بل يسوسونهم بالكفر وأنظمة الجاهلية ويقودونهم بالبطش والتنكيل»<sup>(٢)</sup>.

ثم أفصحت الملكة عن خطتها:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والهدية: فعلية من أهدي. فالهدية: ما يعطي بقصد التقرب والتحبب<sup>(٤)</sup>.

وهذا من رجاحة عقلها وفطنتها، فقد علمت أن للهدية تأثيراً بالغاً في النفوس.

والهدية تلين القلب، وتعلن الود، وقد تفلح في دفع القتال، وهي تجربة؟ فإن قبلها سليمان هو إذن أمر الدنيا، ووسائل الدنيا إذن تجدي، وإن لم يقبلها فهو إذن أمر العقيدة الذي لا يصرفه عنه مال ولا عرض من أعراض هذه الأرض<sup>(٥)</sup>.

(١) سيد قطب، مرجع سابق، (٥/٢٦٤٠).

(٢) عبد العزيز، مرجع سابق، (٥/٢٥٠٥).

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٥.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، (٩/٢٦٧).

(٥) سيد قطب، مرجع سابق، (٥/٢٦٤٠).

وفي قولها: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾، دلالة على أنها لم تثق بالقبول، وجوزت الرد، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان<sup>(١)</sup>، ويبدو أن الملاء وافقوها على رأيها، واستحسنوا خطتها. وإلى هنا يسدل الستار على هذا المشهد ليبدأ المشهد الذي يليه.

### المشهد السادس: وصول الهدية إلى سليمان ورده عليها

أعدت الملكة هديتها، وأرسلت بها مع وفد رفيع - كعادة الملوك - والقرآن الكريم سكت عن هذه الهدية ما هي؟ وما حجمها؟ وما نوعها؟ وبالغت الإسرائيليات في وصفها مبالغة كبيرة لا يصدقها عقل، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة!!!  
قال ابن عطية<sup>(٢)</sup> عن هذه الهدية: «أكثر بعض الناس في تفصيلها، فرأيت اختصار ذلك لعدم صحته»<sup>(٣)</sup>.

وقال الألويسي<sup>(٤)</sup> في التعليق على ما ورد بشأن هذه الهدية: «وكل ذلك أخبار لا يدري صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه»<sup>(١)</sup>.

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، ط ٢، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٧-١٩٩٧م)، (٨/٥٥٥).

(٢) هو عبد الغني بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الخولي، من محليين، العرطلي، أو محمد (٤٨١ - ٥٤٢ هـ = ١٠٨٨ - ١١٤٨ م): مضمون هديه، لتعليق من أهل غرطة، عرف بالأحكام والديت، لمشعر. ولي قضاء الرقة، وكل يكر الغزوات في جيش للثنتين. وتوفي بقرعة له (محرر الوجيز في تكميل الكتاب العويذ في عشر مجلدات، و (وتنفع في خاتمة الربط) (مجموع ١٣٠١) في ذكر موابله وأعماله وشيخه. وقل في تلخيص وفاته سنة ٥٤١ و ٥٤٦ (الركلي، للأعلام، ٢٨٧٣).

(٣) ابن عطية، مرجع سابق، (٤/٢٥٩).

(٤) هو محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو الثناء (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م): مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالاستانة، ومر بمباردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد بدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي. من كتبه (روح المعاني - ط) في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول - ط) رحلته إلى الاستانة، و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام - خ) و (غرائب الاغتراب - ط) ضمنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثا ومناظرات، و (دقائق التفسير - خ) و (الخريدة الغيبية - ط) شرح به قصيدة لعبد الباقي الموصللي، و (كشف الظرة عن الغرة - ط) شرح به درة الغواص للحريري، و (مقامات - ط) في التصوف والأخلاق، عارض بها مقامات الزمخشري، و (الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية - ط) و (حاشية على شرح القطر - ط) في النحو، و (الرسالة اللاهوتية - ط). ونسبة الأسرة الألويسية إلى جزيرة (ألوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد.

فر إليها جد هذه الأسرة من وجه هولاء التتري عندما دهم بغداد، فنسب إليها. ولصاحب الترجمة شعرا بأس به وإبداع في الإنشاء. وقد ألفت في ترجمته رسائل مفصلة. (الأعلام ٢/٥٩٢ ووفيات الأعيان ٨/١٤٥ وفيه رواية أخرى في وفاته سنة ٥١٦ هـ وتهديب ابن عساكر ٤/٢٤٥ ووفاته فيه سنة ٥١٦ هـ).

كل ما نستجيز قوله هنا: أهما هدية ثمينة تليق بالملوك، فملكة سبأ تريد استرضاء سليمان حتى يكف بأسه عن قومها.

ويبدو أن الهدهد الذي أمره سليمان بحمل كتابه، والتنحي جانبا لمعرفة موقفهم، طار من ساعته مسرعاً حتى وصل سليمان، وأخبره بخطة الملكة، وما انعقد عليه رأي القوم.

ووصل الوفد الرفيع الذي يحمل الهدية إلى سليمان، فكان موقف سليمان ما قصه علينا القرآن: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ \* ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والذي جاء سليمان: هو الركب الذي يحمل الهدية، أو المفوض الذي أرسلته الملكة. علم سليمان غرض الملكة، واكتشف دهاءها، وعرف دواءها، فرفض قبول الهدية واستنكر فعلتهم في محاولة رشوته بالمال، وشراء ذمته بالهدايا، وقال للوفد مستنكراً: ﴿أَتُمِدُّونِي بِمَالٍ﴾ أترشوني بمال؟؟ والاستفهام هنا: استنكاري!!!

إن سليمان رجل عقيدة ومبدأ، ومحال أن يراهن على عقيدته بالمال!!  
«فما آتاني الله خير مما آتاكم» لا حاجة لي إلى مالكم، فقد آتاني الله من النعم الكثيرة، والأموال الوفيرة خير مما عندكم، مما أستغني به عن هديتكم وأموالكم.  
﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ بل: للإضراب الانتقالي، وهو انتقال من إنكاره عليهم إمداده بمال إلى رد ذلك المال وإرجاعه إليهم<sup>(٣)</sup>.

ثم أطلق سليمان تهديده القوي الصاعق، وإنذاره الأخير، وحمل رسالة مع وفد الهدية.  
﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

والخطاب: إما للوفد الذي حمل الهدية، أو للمفوض عن هذا الوفد والناطق باسمه، أمره برد الهدية إلى من أرسلها.

وتدخل الأمور الآن في طور المواجهة، بعد استنفاد كافة الوسائل السلمية.

(١) الألويسي، مرجع سابق، (١٩ / ٢٠٠).

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٦ - ٣٧.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (٩ / ٢٦٨).

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قَبِيلَ لَهُمْ بَٰئًا﴾ يحتمل أنه أراد غزو بلدها بنفسه، فتكون الباء للمصاحبة، ويحتمل أنه أراد إرسال جنود لغزوها فتكون الباء للتعديدية<sup>(١)</sup>.

وما كان سليمان ليرسل جيشه في مهمة خطيرة مثل هذه دون أن يكون معهم، لذا فإني أرجح كون الباء للمصاحبة. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾.

ومعنى: ﴿لَّا قَبِيلَ لَهُمْ بَٰئًا﴾ أي: لا طاقة ولا قدرة لهم بها.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ الصغار لغة: الذلة. والصاغر: الراضي بالمتزلة الدنية<sup>(٢)</sup>.

فهو تهديد واضح، ووعيد حاسم، بأن سليمان سيغزو بلادهم بجيش لا طاقة لهم على دفعه ومواجهته، وسيخرجهم من أرض العز مهانين أذلاء.

ويسكت القرآن عما حصل للوفد:

لكن سياق الآيات يفهم منه أن الوفد عاد بالهدية إلى الملكة، وأخبروها بردة فعل سليمان، وتهديده الأخير لهم، وعزمه على مقاتلتهم، وإخراجهم من ديارهم أذلاء إن لم يأتوه مدعين منقادين طائعين.

فعرفت الملكة ومعهما قومها - أن سليمان عليه السلام - ليس ملكاً متجراً ولا حاكماً دنوباً، ولكنه يني من ربه، وأتركوا الله لا حظ من النحول في طلعه، والخضوع لأمره. قل ابن كثير: «فلما رجعت إليها رسلها بجهلتيها، وما قل سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير إليهم جودها، خبطة ذليلة مظلمة لسليمان، نوبة متاجعتني لإسلامهم»<sup>(٣)</sup>.

### المشهد السابع: سليمان يحضر عرش الملكة

علم سليمان بقدم الملكة إليه، ومسيرها نحوه، وقد يكون عرف ذلك من الهدهد أو من غيره من جند سليمان، فمن عادة الملوك الأقوياء بث العيون لترقب حركة العدو وترصد أخباره، وتنقلها إلى القيادة وقد تكون الملكة أرسلت إلى سليمان أنها قادمة إليه.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٩/ ٢٦٩).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (٣١٥).

(٣) ابن كثير: مرجع سابق، (٣/ ٣٦٤).

وَأرسلهم أَنْ يَفْلِحُوا لِلْمَلِكَةِ بَأَيَّةِ بَهْرَةٍ وَمَعْجَزَةٍ فَهَرَقَتْ تَكُونَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ  
 مِثْلُ مَعَهُ لِهَوْنِ وَلِدْدِ وَالصُّرَةِ مِنَ اللَّهِ فَصَحَّ كُلُّ الْحَلِيِّ وَالْعَقْدِيِّ مَمْلَكَةً وَعَضَّ عَلَيْهِمْ  
 عَطْفُهُ: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قُلْ مَنْ يَأْتِينِي مُسْلِمِينَ\* قُلْ غَرِبْتُمْ مِّنْ  
 لِّجِيٍّ أَنَا لَيْتَ بِكُمْ بِهِ قُلْ مَنْ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمِكَ، لِيَّ عَلَيْهِ تَوْبِي لِيِّنْ\* قُلْ لِّئِيَّ عَدُوِّكُمْ مِّنْ  
 الْكَلْبِ أَنَا لَيْتَ بِكُمْ بِهِ قُلْ مَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفًا فَلَمَّا رَأَىٰ عَدُوَّهُ قُلْ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ  
 رَبِّي لِيَلْبَسُوا لِّلشُّكْرِ أَمْ أَهْوَوْا مِمَّا شَكَرُوا فَلَئِمَّا يَكْفُرُوا لَعَنُوهُمْ وَكَانَ رَبِّي غَنِيًّا كَرِيمًا\*  
 قُلْ تَكُونُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرْ لَهَا يَئْتِي تَخْتَبُونَ مِّنَ اللَّيْلِ لَا يَلْتَمِسُهَا أَحَدٌ﴾ (١).

إن سليمان أراد من إحضاره العرش أن يكون ذلك دليلاً على نبوته وليربها عظمة  
 قدرة الله، وقوة سلطانه - سبحانه وتعالى - وليختبر رجاحة عقلها عند مواجهة الصدمات.

قل الضوي: «أراد بذلك أن يربها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب اللطيفة على عظم  
 الظرف، وصدقني صبي النوق، ويخبر عقلها بأن يكر عرشها فيظن تعرفه أم تذكره» (٢).

وعلى ما يبدو أن سليمان - ورغم كونه نبياً مقرباً، وملكاً قوياً - كان له مجلس  
 استشاري يضم الإنس والجن، يساعده في أمور الحكم، ويشيرون عليه بالخير، فجمعهم  
 وقال: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

فلسليمان يريد ذلك العرش قبل أن تصل الملكة ووفدها مسلمين، أي: مدعين  
 منقادين، خاضعين.

وجاء العرس لأول: ﴿قَالَ غَرِبْتُمْ مِّنْ لِّجِيٍّ أَنَا لَيْتَ بِكُمْ بِهِ قُلْ مَنْ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمِكَ وَلِيَّ  
 عَلَيْهِ تَوْبِي لِيِّنْ﴾ إليه يرض ليضل العرش في سلعت، قل أن يوحسليمك من مقفه!!!

وقد روي أنه عليه السلام كان جالساً للقضاء، وقالوا: إنه كان يعقد مجلسه هذا إلى  
 انتصاف النهار (٣).

وقوله: ﴿مِنْ مَّقَامِكَ﴾ دليل على أنه كان لسليمان عادة معلومة في مجلسه.

والغزيت في كلام العرب هو الخيش للآكر الشديد النافذ التي يصرع أولته ويغفرهم

(١) سورة النمل، الآية: ٣٨ - ٤١.

(٢) البيضاوي، مرجع سابق، (٤/٢٦٨).

(٣) انظر: الطبري، مرجع سابق، (١٩/١٦٢).



يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء: عَفْرٌ وَعَفْرِيه، وعفريت، وعفاريه<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: «العفريت من الجن: هو الصارم الخبيث، ويستفاد ذلك للإنسان استعارة الشيطان له، وأصله من العفر أي: التراب. وعافره: صارعه فألقاه في العفر»<sup>(٢)</sup>.

وَأَكْهَلَكَ الْعَفْرِيَّتُ لَنَّهُ قَوِيٌّ عَلَىٰ لِيْضَلُّهُ الْعَرْشُ وَحَمَلَهُ، لِيْمَنَ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنْ حَوْلِهِ  
وَحُورٍ.

«إن ذلك العفريت قوي أمين، لأنه مؤمن، جندي في جيش سليمان، ومن الملائم المقربين عنده، وهو ثمرة من ثمار تربية سليمان -عليه السلام- الإيمان لأتباعه»<sup>(٣)</sup>.

العرض الثاني: تقدم به أحد الجالسين، وكان عرضاً مغرباً غاية في الدهشة:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

الطرف في اللغة: تحريك الجفن، وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازماً للنظر<sup>(٤)</sup>.

وهو عرض في غاية الدهشة!!! إنه يريد إحضار العرش خلال ثوان من الدقيقة!!! وكأنه يقول لسليمان: امدد بصرك، وانظر إلى شيء بعيد، فسيكون العرش عندك قبل أن يرجع إليك نظرك!!!

﴿فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

لما عاين سليمان ومن عنده عرش الملكة ورآه ثابتاً قائماً بين يديه، لم يملك إلا أن يرجع بالفضل والنعمة إلى الله، فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

إن هذه النعمة لم تفتن سليمان، ولم تجعله من المستكبرين المتجبرين، ولم تظهر عليه بها أمراض الزعامات، ونقائص المستبدين، بل إزداد بها شكراً وحمداً وثناءً على الله تعالى.

المشهد الثامن: قدوم الملكة واختبارها وإعلانها إسلامها

(١) النحاس، أبو جعفر، معاني القرآن، تحقيق: يحيى مراد، (القاهرة: دار الحديث)، (٥/١٣٣).

(٢) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٣٧٩ باختصار.

(٣) الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، (٣/٥٥١).

(٤) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

اقترب وفد الملكة من الوصول إلى سليمان، فأراد سليمان أن يختبر ذكاء الملكة، ويمتحن فطنتها، ويبلو رباطة جأشها عندما تصدمها المفاجآت الشديدة، فأعد لها إمتحانين واختبارين:

#### ١ - الإختبار الأول: تنكير العرش:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \* فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

طلب سليمان من أعوانه تنكير عرش الملكة ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾. أي: اجعلوه متنكراً متغيراً كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه<sup>(٢)</sup>.

وتنكير العرش يكون بإجراء بعض التغييرات الشكلية عليه دون أن يؤثر على جوهره وذلك بتغيير بعض ألوانه، والزيادة فيه أو النقص منه، وقد ذكر المفسرون أوجهها كثيرة في ذلك أحسبها من باب التمثيل فحسب، ولا داعي للدخول في تفصيلاتها، والبقاء في جو النص القرآني أجذب للانتباه.

وقد بين لهم سليمان قصده من هذا التنكير وهو قوله: ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وفيما تهتدي إليه أقوال: إلى معرفته!! وقيل: إلى الجواب الصحيح!! وقيل: إلى الإيمان بالله ورسوله<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا المقام: ينبغي أن نستبعد الإسرائيليات التي تقول: إن الجن خافوا أن يتزوجها سليمان، فيظنون في التسخير فقالوا له: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وعمل لها الصرح بعدها ليرى رجلها!!! وهي إسرائيلييات باطلة تجعل من حاشية سليمان زمرة متآمرين، لا يصدقونه القول: ولا

(١) سورة النمل، الآية: ٤١ - ٤٣.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، (٣/٣٥٦).

(٣) انظر: البيضاوي، مرجع سابق، (٤/٢٦٩).

يمحضونه النصيح، وتخرجنا من أجواء مملكة إيمانية يسودها العدل، إلى مملكة دنيوية تحاك في قصورها المؤامرات.

وصلت الملكة ومعها وفدتها إلى بيت المقدس حيث سليمان، وقد أهمل القرآن ذكر ما حصل من حفاوة الاستقبال التي تليق بالملوك، وطوي هذه الصفحة ليتحدث لنا عن بقية الامتحان.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾.

القائل: إما سليمان أو أحد حاشيته بأمر منه.

والكلمة (أهكذا): مكونة من همزة الاستفهام، وهاء التنييه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة ذا والمعنى (أمثل هذا عرشك).

وكان السؤال في قمة النباهة والفطنة، فلم يقولوا: أهذا عرشك؟ ولو كان السؤال أهذا عرشك؟ لكان فيه نوع من التلقين والإيحاء بالجواب. وإشارة خفية إلى أنهم أحضروا عرشها في غيبتها، وسوف يكون جوابها: نعم هو عرشي<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ إنها إجابة عاقلة ذكية: قال ابن كثير: «كان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته - وإن غيّر وبُدّل ونُكّر فقالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم»<sup>(٢)</sup>.

وأمام هذا السؤال ثلاثة احتمالات للجواب:

الأول: أن تقول: هذا عرشي. وهذا لا يتفق وتنكير العرش، كما أنه لا يتفق وقواعد التعامل الرسمي، لأنها بذلك تتهم رجال سليمان بسرقة العرش!!  
الثاني: أن تقول: إنه ليس عرشي. وهذه إجابة لا تدل على الفطنة.

(١) الخالدي: القصص القرآني عرض حقائق وتحليل أحداث، مرجع سابق، (٣/ ٥٥٩).

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، (٣/ ٣٦٦).

الثالث: فلم يبق أمامها إلا أن تقول: (كأنه هو): «لقد كان جوابها، (كأنه هو) في غاية الكياسة والحصافة، فلا هي اعترفت أنه هو؟ ولا هي نفت أنه هو؟ واحتفظت في جوابها بخط الرجعة، وأبقت الباب مفتوحاً لكل الاحتمالات»<sup>(١)</sup>.

﴿وَأوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ اختلفوا في قائله. قيل: هو من قول الملكة أي: أوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش، وكنا منقادين لأمره. قيل: وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها. وقيل: هو من كلام قوم سليمان<sup>(٢)</sup>.

والراجح - كما هو الظاهر - أنه من كلام سليمان. والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

هذا من كلام الله تعالى، وفيه بيان للسبب الذي كان يمنعها من إظهار الإسلام.

قال الزجاج: أي صدها عن الإيمان العادة التي كانت عليها، لأنها نشأت ولم تعرف إلا قومًا يعبدون الشمس فصدها العادة، وبيّن عادتها بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

قال: ويجوز أنها كانت من قوم كافرين فيكون المعنى: صدها كونها من قوم كافرين<sup>(٤)</sup>.

وهذا أقوى الأقوال في الآية - وإن كانت هناك أقوال أخرى ضعيفة - وهذا يدل على أن للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، وللعادات التي يألفها تأثير على فكره واعتقاده وسلوكه.

## ٢- الإختبار الثاني: دخول الصرح:

بعد أن وصل سليمان إلى مراده، وتحقق هدفه من الإختبار الأول، ووجد أنه أمام امرأة عاقلة فطينة، بدأ إختبار ثانٍ للملكة كان قد خطط له جيداً، وأعدّه بإتقان وإحكام:

(١) الخالدي، مواقف الأنبياء تحليل وتوجيه، ط ١، (دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ص ٣٢٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٣ / ١٣٨).

(٣) انظر: أبو حيان، مرجع سابق، (٧ / ٧٨).

(٤) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ط ١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ - ١٩٩٧م)، (٤ / ١٢٢).

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ما كادت الملكة تخرج من تأثير المفاجأة الأولى، وتعتبر الإختبار الأول حتى وقعت في مفاجأة أخرى، ومرت بإختبار جديد لا يقل صعوبة عن الأول إن لم نقل إنه أصعب: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾. والصرح: هو القصر وكل بناء عال. وجمعه صروح<sup>(٢)</sup>.

وأوضح الإمام الراغب سبب تسمية القصر بالصرح فقال: «الصرح بيت عال مزوق، سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الشوائب: أي خالصاً»<sup>(٣)</sup>.

ما إن وصلت الملكة باب القصر حتى شدها المنظر، وسلب لبها، أنها ليست أمام قصر عادي، إنها أمام قصر من زجاج!!!

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾.

اللجة: من اللجاج. وهو: «التمادي والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه. ومنه لجة الصوت تردده. ولجة البحر: تردد أمواجه. ولجة الليل: تردد ظلامه»<sup>(٤)</sup>.  
والمرد: المملس المصقول.

جاء في المعجم الوسيط: «مرد الشيء: لينه وصقله، و(البناء): سواه وملسه وطولته فهو مرد»<sup>(٥)</sup>. والقوارير: جمع قارورة، وهي «وعاء من الزجاج تحفظ فيه السوائل»<sup>(٦)</sup>.

كانت المفاجأة أنها أمام قصر من البلور والزجاج المصقول، أقيمت أرضيته فوق الماء فبدأ للناظر وكأنه لجة بحر من تردد أمواجه!!!

فلما طلب منها دخول القصر، ورأت هذا المنظر، لبس عليها الأمر، وحسبت أنها ستخوض في المياه، لذا شمرت ثيابها، وكشفت عن ساقها!!!

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط ١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص ٢٠٣.

(٣) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٤) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (٥٠٢) باختصار.

(٥) مذكور وآخرون، مرجع سابق، (٢/٨٩٦).

(٦) مذكور وآخرون، مرجع سابق، (٢/٧٥٢).

عند ذلك: كشف لها سليمان السر، بعد أن تم له مراده، وتحققت غاياته، وأظهر عظمة سلطانه، وقوة ملكه: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾. عند ذلك سقط في يد الملكة وكانت المفاجأة من قوة التأثير بحيث أذهبت وساوس صدرها، وانتزعت جهالات رأسها، ومألت بالإيمان والإذعان قلبها، فنطقت قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ اعتراف بالذنب، وطرح للوزر، وشعور بالندم.

وهذا درجة أولى في الاعتقاد؛ ثم صعدت إلى الدرجة التي فوقها وهي درجة التخطي بالإيمان الحق. فقالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قل ابن كثير: «والغرض أن سليمان عليه السلام اعتقد قرآنيًا من زجاج ظنه للملكة ليرها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأته ما أتته ولله وحده ما هو فيه، وقصرت في أمره لقلت لأمر الله تعالى، وعرفت أنني كرم، وطك عظيم، وأسلمت الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف العلماء في أمرها بعد إسلامها؟ هل تزوجها سليمان؟ أم زوجها من غيره؟ وهل أقامت عنده؟ أم عادت إلى اليمن؟؟ .. الخ. كل تلك الأمور سكت عنها القرآن فلم يأت لها بأي ذكر. وليس عندنا فيها من المعصوم صلى الله عليه وسلم أي خبر. لذا فالأولى والأسلم عدم الخوض فيها.

وبهذا المشهد وبهذا الكلام نختتم مشاهد هذا المبحث الممتع الجميل الذي حوي درراً من العبر، وجواهر من العظات والدروس للملوك في كيفية الحفاظ على ملكهم وفي كيفية القيادة العسكرية التي من خلالها يحافظ على الملك وفي بيان أن الهدف الأساسي والوظيفة الأولى للملك هي تعبيد العباد لرب العباد.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، (٢٧٦/٩).

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، (٣٦٧/٣).

## المبحث الثالث: المُلْك والاعتزاز به

إن الطباع البشرية نزاعة إلى الشر أكثر من نزوعها إلى الخير، فلو كانت مفطورة على الشر؛ لفسدت الأرض ومن عليها، ولو كانت مفطورة على الخير، لانتفت الحاجة للأنبياء عليهم السلام لذلك كانت النفس نزاعة، وهذا النزاع يغويها ويبعدها عن طريق الحق والعدل، والهداية.

والله تبارك وتعالى الملك الحق يستخلف بعض خلقه ويمكنهم من الملك في الأرض يمتن به عليهم قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> ولما كانت الطباع البشرية نزاعة إلى الشر أكثر من نزوعها إلى الخير فهناك من الملوك من يعتر بملكه ويطغى ويتجبر ولقد قص القرآن لنا من قصص هؤلاء الملوك على سبيل العظة والعبرة ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لتعجب من هذه المحجة وغرور صاحبها وغباوته مع الإنكار وقوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ معناه: أن الذي حملة على هذه المحاجة هو إيتاء الله تعالى المُلْكَ له، فكان منشأ إسرافه في غروره وسبب كبريائه وإعجابه بقدرته<sup>(٣)</sup>، وقال صاحب الكشاف: «﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ متعلق بحاج علي وجهين أحدهما: حاج لأن آتاه الله المُلْكَ على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك؛ أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك، فحملة ذلك على أن حاج إبراهيم وجادله في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله «واستعمال حرف (إلى) هنا يشير إلى أمر عجيب قد حدث ومثال ذلك ما نقوله أحياناً: ألم تر إلى زيد يفعل

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٣) رشيد رضا، مرجع سابق، (٣/ ٣٩).

كذا فكأن ما فعله زيد أمر عجيب، وكأنه ينبه هنا إلى الالتفات إلى نهاية الأمر، لأن «إلى» تفيد الوصول إلى غاية والحق يقول هنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ و (إلى جاءت هنا لتدل على أنه أمر بلغ من العجب غاية بعيدة، وهو بالفعل قد بلغ من العجب غاية بعيدة»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ حكاية لما قاله إبراهيم عليه السلام لما حازه ذلك الملك في مقام التدليل على وحدانية الله تبارك وتعالى وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة، وقول إبراهيم كما حكاها القرآن: ربي الذي يحيي ويميت يفيد القصر عن طريق تعريف المبتدأ وهو ربي والخبر هو الموصول صلته وعبر بالمضارع في قوله: يحيي ويميت لإفادة معنى التجدد والحدوث الذي يُرى ويُحس بين وقت وآخر. أي ربي هو الذي يحيي الناس ويميتهم كما ترى ذلك مشاهدا في كثير من الأوقات، فمن الواجب عليك أن تخصه بالعبادة والخضوع وأن تقلع عما أنت فيه من كفر وطغيان وضلال، ولكن اغتراره بملكه وسلطانه جعل ذلك الطاغية يقول: أنا أحيي وأميت أي: إذا كنت تدعي أن ربك وحده الذي يحيي ويميت فأنا أعارضك في ذلك لأني أنا أيضاً أحيي وأميت وما دام الأمر كذلك فأنا مستحق للربوبية، قالوا: يقصد بقوله هذا أنه يستطيع أن يعفو عمن حكم بقتله، ويقتل من شاء أن يقتله، ولقد كان في استطاعة إبراهيم -عليه السلام- أن يبطل قوله، بأن يبين له بأن ما يدعيه ليس من الإحياء والإماتة المقصودين بالاحتجاج، لأن ما قصده إبراهيم هو إنشاء الحياة وإنشاء الموت، ولكنه آثر ترك فتح باب الجدل والمحاورة، وآتاه بحجة هي غاية في الإقحام فقال له كما حكى القرآن: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي قال إبراهيم لخصمه المغرور بملكه: لقد زعمت أنك تملك الإحياء والإماتة كما يملك الله تعالى ذلك، ومن شأن هذا الزعم أن يجعلك مشاركاً لله تعالى في قدرته فإن كان ذلك صحيحاً فأنت ترى وغيرك يرى أن الله تعالى يأتي بالشمس من جهة المشرق عند شروقها، فأنت بما أنت من جهة المغرب في هذا الوقت فماذا كانت نتيجة هذه الحجة الدامغة التي قذفها إبراهيم في وجه خصمه؟.

(١) انظر: الشعراوي، مرجع سابق، (١/ ٧١٤).



كانت نتيحتها كما حكى القرآن فبهت الذي كفر أي: غلب وقهر، وتخير وانقطع عن حجاجه، واضطرب ولم يستطع أن يتكلم، لأنه فوجئ بما لا يملك دفعه، والبهت: الانقطاع والحيرة، والفاء في قوله فإن الله يأتي بالشمس فصيحة لأنها أفصحت عن جواب لشرط مقدر؛ أي إن كنت تزعم أنك تحيي وتميت واغتررت بملكك وزعمت أن قدرتك كقدرة الله جل وعلا فإن الله تعالى يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، وعبر عن هذا المبهوت بقوله: الذي كفر للإشعار بأن سبب حيرته واضطرابه هو كفره وعناده<sup>(١)</sup>.

وتذيل الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ مقرر لمضمون ما قبله أي لا يهدي الله حل وعلا الذين ظلموا أنفسهم بتعريضهم للعذاب المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أو إلى سبيل النجاة أو إلى طريق الجنة يوم القيامة<sup>(٢)</sup> وهذا إخبار من الله تعالى بأن الظالم لا يهديه، وظاهره العموم والمراد هداية خاصة، أو ظالمون مخصوصون، فما ذكر في الهداية الخاصة أنه لا يرشدهم في حجتهم، وقيل: لا يهديهم إلى الثواب في الآخرة ولا إلى الجنة، وقيل لا يلفظ بهم ولا يلهم ولا يوفق، والذي يظهر أن هذا إخبار من الله بأن من حكم عليه، وقضى بأن يكون ظالماً أي كافراً وقدر أن لا يسلم، فإنه لا يمكن أن تقع هداية من الله له قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>، ومناسبة هذه الآية بهذا الإخبار ظاهرة؛ أنه وصله اغتراره بملكه وبطره لنعمة الله تبارك وتعالى وكفره لها أنه ادعى شركة الله في الإحياء في الإماتة، أطلق على ما يفعله أنه إحياء وإماتة ولا أحد أظلم ممن يدعي ذلك، فأخبر الله تعالى أن من كان بهذه الصفة من الظلم لا يهديه الله إلى إتباع الحق، ومثل هذا محتوم له عدم الهداية، محتوم له بالكفر، لأن مثل هذه الدعوى ليست مما يلتبس على مدعيها، بل ذلك من باب الزندقة والفلسفة والسفسطة فمدعيها إنما هو مكابر مخالف للعقل، وقد منع الله هذا الكافر أن يدعي أنه هو الذي يأتي بالشمس من المشرق إذ من

(١) طنطاوي، مرجع سابق، (١/٥٩٣ - ٥٩٤) بتصرف.

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، (١/٢٥٣).

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٩.

(٤) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/٣٠١) بتصرف.

كابر في ادعاء الإحياء والإماتة يكابر في ذلك ويدعيه، ولكن الله جعله متحيراً منقطعاً  
إكراماً لنبيه وإظهاراً لدينه<sup>(١)</sup>.

والهدف من ذكر القصة ليس تحديد اسم الملك فإذا ذهب بعض المفسرون إلى القول:  
إنه ملك اسمه النمرود أو غيره. فإننا نقول لهم شكراً لاجتهادكم ولكن لو شاء الله تحديد  
اسم الرجل لحدده لنا، والذي يهمنا هو أنه ملك اغتر بملكه وخرج على رسول الله  
إبراهيم عليه السلام وجادله في الله رب العالمين، فكأن منشأ إسرائفه في غروره وسبب  
كبريائه وإعجابه بقدرته.

وقص القرآن علينا قصة أخرى على سبيل العظة والعبرة لكي يعتبر من بعدهم بما آل  
إليه من اغتر بملكه وهي قصة فرعون وموسى عليه السلام وقصة موسى عليه السلام أكثر  
قصص المرسلين وروداً في القرآن<sup>(٢)</sup> وسأقوم بسردها بإذن الله بالتفصيل في موضعها لأن  
فرعون كان نموذجاً من غرور القوة نموذج للملك الفاسد المفسد تحدى الله ورسوله.

وإذا ما تأملنا مقدمة القصص القرآني عموماً نجد أن الخطاب في الغالب يكون موجهاً  
للنبي صلى الله عليه وسلم دلالة على أن هذا القصص ينساق لأجله ولأجل دعوته إما  
لتثبيته ولتأكيد دعوته بسوق معجزة جديدة من خلال هذه القصة، وإما لردع معانديه  
وتخويفهم كما في قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ومن خلاله عليه الصلاة والسلام كان الحديث يوجه لعامة المؤمنين لترغيبهم  
في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصارهم وتحذير  
العصاة من استمرارهم في معصيتهم وتحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم فالقصص  
القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، ولا محلقة في جو ملائكي محض، لأنها إنما جاءت  
علاجاً لواقع البشر وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على  
طبيعته ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثله الرسل المؤمنون، والذي تؤول  
إليه القصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة، علاجاً ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس

(١) أبو حيان، مرجع سابق، (٢/ ٣٠١) بتصرف.

(٢) جاءت قصة موسى عليه السلام في سورة البقرة ويونس وهود والإسراء ومريم وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص  
والعنكبوت وغافر والذخرف والدخان والذاريات والنازعات.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣.

للسمو ما استطاعت إلى أعلى القمم، ففي ما عرضنا في هذا المبحث من قصص قرآنية العظة والعبرة لكل ملك أو حاكم أن لا يغتر بما بين يديه من جاه وسلطان حتى لا يكون مصيره مثل سابقه.

## الفصل الثالث: أنواع المُلك في القرآن الكريم

وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجمع بين النبوة والمُلك.

المبحث الثاني: مُلك راشد.

المبحث الثالث: مُلك فاسد مفسد

## المبحث الأول: الجمع بين النبوة والملك

أكرم الله تعالى سليمان عليه السلام ومن قبله أباه داود عليه السلام بنعم كثيرة، واختصه بمعجزات وفيرة، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة، بأن أتاه الملك مع النبوة ولا نعلم أحداً من خلق الله جمع له بين الأمرين سوى سليمان وأبيه داود عليهما السلام. ولذا سأقوم بإذن الله تعالى في هذا المبحث بتتبع مظاهر ملك سليمان عليه السلام ومعجزاته كنموذج جمع الله تعالى فيه بين الملك والنبوة باعتباره نوعاً من أنواع الملك في القرآن الكريم.

ورد اسم سليمان عليه السلام ضمن مجموعة من الرسل والأنبياء الذين أوحى الله تعالى إليهم بالرسالة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وسليمان: «اسم عبري معناه رجل سلام وهو ابن الملك داود الذي خلفه على عرش بني إسرائيل»<sup>(٣)</sup> قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾<sup>(٥)</sup> والخطاب في الآية لسليمان عليه السلام جاء تعقيباً على ما منحه الله من نعم كثيرة، ومن تسخير الريح والجن.

وسليمان عليه السلام جمع الله له بين الملك والنبوة وآتاه ملكاً عريضاً قهر به الممالك وأخضع الخصوم، ودانت له الجبابرة، وأقام مملكة كانت من أقوى الممالك في ذلك الوقت فلقد ورث سليمان عليه السلام داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾<sup>(٦)</sup> والإرث في اللغة: «انتقال قُنيةٍ إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٣) مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، قاموس الكتاب المقدس، ط ٢، تحرير د. بطرس عبد الملك و د. جون الكساند وطمس و إبراهيم مطر، ص ٤٨١.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٠.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٦) سورة النمل، الآية: ١٦.

وسمي بذلك المنتقل عن الميت»<sup>(١)</sup>، ولا يسمى الشيء موروثاً إلا بعد موت صاحبه، وتعلق حق الغير به.

جاء في المعجم الوسيط: «ورث فلان المال... ومنه، وعنه - يرثه، ورثاً ورثه، ووراثه: صار إليه ماله بعد موته»<sup>(٢)</sup>.

واختلف أهل العلم والتأويل في حقيقة الوراثة التي تتحدث عنها الآية والذي يترجح من مجموع أقوالهم -وعليه أكثرهم- أنها وراثة الملك والعلم والنبوة لا وراثة المال.

قال الطبري عن هذه الوراثة: «العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه دون سائر أولاده»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام البغوي<sup>(٤)</sup> عنها: «نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده»<sup>(٥)</sup>.

**وقل لأبوسبي: «علي قلم مقله في النوة وملك، وصل نيا ملكاً به أيه دود عليهما للسلام هوراثه إله مجمل عن قبله مقله فيما ذكر به موته»<sup>(٦)</sup>. ووراثه النوة ورثته مجلية.**

قال الإمام النسفي<sup>(٧)</sup> في تفسيره: «قالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكأنه ورثها، وإلا فالنبوة لا تورث»<sup>(٨)</sup>.

(١) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٩٠٧.

(٢) المذكور وآخرون، مرجع سابق، (٢/ ١٠٦٥).

(٣) الطبري، مرجع سابق، (١٩/ ١٤١).

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحمي السنة، البغوي (٤٣٦ - ٥١٠ هـ = ١٠٤٤ - ١١١٧ م): فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له (التهذيب - خ) في فقه الشافعية، و (شرح السنة - خ) في الحديث، و (لباب التأويل في معالم التنزيل - ط) في التفسير، و (مصايح السنة - ط) و (الجمع بين الصحيحين) وغير ذلك. توفي بمرو الروذ. (انظر: الزركلي، الأعلام، ٢/ ٢٥٩).

(٥) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، ط٢، (بيروت: دار المعرفة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، (٤/ ٦٠).

(٦) الألويسي، مرجع سابق، (١٩/ ١٤١).

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين (٧١٠ - ٨٠٠ هـ = ١٣١٠ - ١٣٨٠ م): فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند.

له مصنفات جليلة، منها "مدارك التنزيل - ط" ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و "كتر الدقائق - ط" في الفقه، و "المنار - ط" في أصول الفقه و "كشف الأسرار - ط" شرح المنار، و "الوافي - خ" في الفروع، و "الكافي - خ" في شرح الوافي، و "المصفى - خ" في شرح منظومة أبي حفص النسفي، في الخلاف، و "عمدة لعقائد - خ". (انظر: الأعلام ٤/ ٦٧ والدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧).

ولا يصح أن نعممها لتشمل وراثة المال كما يقول الشيعة<sup>(١)</sup> ولو صحت وراثة المال لما اختص بها سليمان عليه السلام دون إخوته. والأنبياء لا يورثون وراثة مال.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا نورث، ما تركنا صدقة»<sup>(٢)</sup>.

إذن كانت وراثة سليمان لداود -عليهما السلام- وراثة النبوة والملك والحكمة والعلم أما المال فلا.

وكان ملك سليمان أقوى من ملك أبيه وأشد وأوسع، وكان ذلك مظهر إجابة الله دعاءه لما دعا ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكان لهذا الملك العريض، والمجد الواسع المديد مظاهر ذكرها القرآن الكريم وهي:

١- علمه الله نطق الطير والحيوان وسخرها له.

٢- أسأل له عين القطر.

٣- سخر له الريح تجري بأمره.

٤- سخر له الجن والشياطين يعملون بين يديه.

وقد شكك على بعض النقل طلب سليمان هذا الملك التي لا ينبغي لأحد من بعده بسبب ما هو مظهر هذا الطلب من حب للنبياء والرغبة في ملكتها وعلم مثل غيره فيه.

وقد أزال القرطبي هذا الاستشكال بقوله:

«يقال: كيف أقم سليمان على طلب الدنيا مع ذمها من الله تعالى، وبغضه لها وحقها لغيره؟ فالجواب: أن هذا محمول عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى، وسيلة ملكه، وتزيت

---

(١) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التبريل وحقائق التأويل، تحقيق: مروان محمد الشعار، (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٥م)، (٢/٢٣٠).

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، (صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٥٥هـ)، (٣/٢١٤)، والطبائبي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٢، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، (١٥/٣٤٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب لا نورث ما تركنا صدقة، ص ١٦٤٤، رقم (٦٧٣٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: قول النبي: "لا نورث ما تركنا صدقة"، ص ٨٣٣، رقم ٤٥٥٤.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٥.

منزل خلقه، وإقامة حدوده، وإحاطة على رسومه، وتكثير شعائره وظهور عبادته، ولزوم طاعته، وقلم قانون الحكم النافذ عليهم منه، وتحقق الوعود في أنه يعلم ما لا يعلم أحد من خلقه حسب ما صرح بذلك لا إله إلا الله قال: ﴿يَلْبَسِي لَعْلَمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وحوشي سليمان عليه السلام أن يكون سؤاله طلباً لنفس الدنيا لأنه هو ولأنبياء أهدى إلى الله فيها، ويحتمل مملكته الله كما سأل نوح صرماً وأهلكه الله، فكانا محمودين محبين إلى ذلك، فأجاب نوح فأطلق من عليها، وأعطى سليمان للملكة<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام العجلي<sup>(٣)</sup>: «من التصرع أن سليمان عليه السلام لما فقد ذلك قديماً، ولأن الإنسان يرغب من قبل الله فيما لا يناله أحد إلا سيما يجب للكلت والنوة»<sup>(٤)</sup>.

«إنه يريد الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده لنشر دين الله، والدعوة إليه، وإسعاد الناس بالحياة في ظلاله، وهو يريد الملك الخاص ليكون مظهراً من مظاهر الإنعام الرباني عليه وليتخذ وسيلة لذكر الله وشكره وحسن عبادته، فالملك الخاص الذي يريده ليس له غاية مقصودة، ولكنه وسيلة لتحقيق تلك الغايات الإيمانية العظيمة»<sup>(٥)</sup>.

ونحن ننظر إلى مظاهر ملك سليمان والنعم التي أفيضت عليه على أنها معجزات أيده الله بها لتكون دليلاً له عند قومه على نبوته؛ وسوف نفرّد في هذا المبحث مطلباً مستقلاً لكل مظهر من مظاهر ملكه، ثم نختمها بتعقيب القرآن الكريم عليها.

(١) سورة البقرة، الآية: (٣٠).

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٣٣/١٥).

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ = ١٣٨٤ - ١٤٧٠ م): مفسر، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق. من كتبه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن - ط) أربعة مجلدات، و (الأنوار في المعجزات النبوية، و روضة الأنوار ونزهة الأخيار) مجموع، و (جامع الامهات في أحكام العبادات) و (الذهب الابريز في غريب القرآن العزيز) و (الإرشاد في مصالح العباد) و (رياض الصالحين). (الأعلام للزركلي، ٣/٣٣١).

(٤) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغماري ادريسي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦-١٩٩٦م)، (٣/٦٤).

(٥) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، (٣/٤٩٧).



## المطلب الأول: تعليمه منطوق الطير والحيوان

### وتسخيرها له

أشار القرآن إلى هذه المظهر من مظاهر ملكه عليه السلام، في معرض تعداد سليمان عليه السلام نعم الله تعالى عليه قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup>.

في هذه الآية يبين سليمان عليه السلام أنه كان يفهم لغة الطير، ويكلمها وتكلمه، وهو أمر عجيب!! فالوضع الطبيعي أن الإنسان لا يفقه لغة الطير ولا الحيوانات، وما نعلم أحداً من الناس علم ذلك إلا أن يكون نبياً، ولذلك فإن السياق الطبيعي لهذه النعمة الربانية على سليمان أن تدرج ضمن المعجزات التي أُيد بها.

وقد تحدثت لنا سورة النمل في قصته مع الهدهد، عن حوار طويل دار بين سليمان وهذا الطائر، انتهى ببعث الهدهد في سفارة خاصة، ومهمة دعوية للملكة سبأ.

والآية تشتمل على أمرين أعطيهما سليمان:

الأول: تعليمه منطوق الطير.

والثاني: إيتاؤه من كل شيء.

فما هو منطوق الطير؟ وماذا يعني؟

قال الإمام الراغب الأصفهاني: «النطق في التعارف: الأصوات المقطعة، التي يظهرها اللسان، وتعيها الأذان، ولا يكاد يقال إلا للإنسان، ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبعية نحو: الناطق والصامت؛ فيراد بالناطق: ما له صوت وبالصامت: ما ليس له صوت، ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً وعلى طريق التشبيه... وقوله: ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه سمي أصوات الطير نطقاً اعتباراً بسليمان الذي يفهمه، فمن فهم من شيء معنى فذلك

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٦.

الشيء بالإضافة إليه ناطق - وإن كان صامتاً- وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صامت وإن كان ناطقاً»<sup>(١)</sup>.

إذن سُمي صوت الطير نطقاً اعتباراً بسليمان الذي كان يفهمه، وليس نطقاً على الحقيقة.

ولعل هذا المعنى هو الذي جعل القاضي البيضاوي يقول عن الآية:

«النطق والمنطق في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير، مفرداً كان أو مركباً... قال: ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التحيل الذي صوته، والغرض الذي توخاه به»<sup>(٢)</sup>.

هذا تفسير وجيه لو أن الأمر لا يتعلق بمعجزة من المعجزات، أما وإننا اعتبرناه من معجزات سليمان فلا حاجة إلى مثل هذه التأويلات، فنحن نؤمن بها دون سؤال عن الكيفية بعد أن أخبرنا الله أن كل شيء يسبح بحمده، وأن الطير والدواب أمم أمثالنا. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

والضمير في علمنا وأوتينا: يحتمل أن يكون لسليمان وأبيه، ويحتمل أن يكون فقط لسليمان، على عادة الملوك في مراعاة قواعد السياسة<sup>(٤)</sup>.

وحديث سليمان عن نفسه يأتي: «تشهيرا لنعمة الله، واعترافاً بمكانها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيته من عظام الأمور»<sup>(٥)</sup>.

وهذا ليس بمستبعد؛ فالقرآن ذكر لنا أن سليمان عليه السلام فهم كلام النملة حينما أتى هو وجيشه على وادي النمل.

وأما قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كثرة النعم التي أسبغها الله عليه.

(١) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (٥٥٢) باختصار.

(٢) البيضاوي، مرجع سابق، (٢٦١ / ٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٤) انظر: البيضاوي، مرجع سابق، (٢٦١ / ٤).

(٥) الزمخشري: مرجع سابق، (٣٤٢ / ٣).

وأخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم، حتى إنه سُحرت له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله ورسوله (١).

وليست الآية على إطلاقها، وإنما هي عامة مخصوصة.

والآية ظاهرة العموم، والمراد الخصوص. أي: من كل شيء يصلح لنا ونتمناه، وأريد به كثرة ما أوتي، وكأنه مستغرق لجميع الأشياء (٢).

ومثل هذا القول قال أبو جعفر النحاس (٣) قال: «أي من كل شيء يؤتاه الأنبياء والناس، وهذا على التكثر كما يقال: ما بقيتُ أحداً حتى كلمته في أمر» (٤).

ويعقب سليمان عليه السلام على هذه النعم بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (٥). فهو يرد النعمة والفضل إلى الله، ويذكرها تحدثاً بنعمة الله، وإظهاراً لفضله، حتى يجمع الناس على الحق، ويريهم من آيات الله ليزدادوا إيماناً به، وتعظيماً له، واستقامة على أمره. ومعرفة الناس بهذا الفضل المبين على سليمان عليه السلام من دواعي قوة ملك سليمان عليه السلام.

### \* تسخير الطير لسليمان:

ذكر القرآن الكريم تسخير الطير لسليمان في قوله تعالى: ﴿وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٦).

فالطير بنص الآية كانت إحدى الفرق التي تشكل منها جيش سليمان، وكانت الطير جنوداً في هذا الجيش العظيم، ومن شأن الجندي أن يكون تابعاً لقائد يسمع له ويطيع، وينفذ أوامره وما يطلبه منه.

(١) ابن كثير، مرجع سابق، (٣/٣٥٩).

(٢) أبو حيان، مرجع سابق، (٥/١٢٢).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، النحوي المصري أبو جعفر، توفي سنة ٣٣٨ وقيل: ٣٣٧هـ، (انظر طبقات المفسرين الأندلسيين ٧٢).

(٤) النحاس، مرجع سابق، ٨٧١/٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٦) سورة النمل، الآية: ١٧.

وهذه المعجزة لسليمان عليه السلام تأتي في سياقها الطبيعي، فالطير أيضاً كانت مسخرة من قبل لأبيه داود تسبح معه.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد أخبرنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن تسخير الطير لسليمان، في الحديث الذي يورد قصة موت داود عليه السلام وفيه: أن داود لما مات وغسل وكفن وفرغ من شأنه، طلعت عليه الشمس. فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلته حتى أظلمت عليه الأرض؛ فقال سليمان للطير: أقبضي جناحاً جناحاً، قال أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبت عليه يومئذ المصححة<sup>(٣)</sup>، والمصححة هي: «الصقور الطوال الأجنحة واحدها مصرحي»<sup>(٤)</sup>، ولا شك بأن تسخير الطير لسليمان هو أحد معجزاته عليه السلام التي وهبها الله له من ضمن ملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده.

### المطلب الثاني: إسالة عين القطر

أخبر سبحانه وتعالى أن من بين النعم التي أفاضها على سليمان عليه السلام، إسالة عين القطر له قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد جاءت هذه الآية من سورة سبأ، في معرض تعداد النعم التي أعطاها الله تعالى لسليمان.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٤١٩ / ٢) رقم الحديث: (٩٤٢٢) من مسند أبي هريرة رضي الله عنه، قال عنه ابن كثير «انفرد به أحمد، وإسناده جيد قوي ورجاله ثقات». (ابن كثير - قصص الأنبياء ص ٣٣٤).

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، (صيدا: المكتبة العصرية)، ص ٣٣٤، وانظر الفيروز أبادي، مرجع سابق، مادة: "صرح"، ص ٢٥٦.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٢.

تكاد كتب اللغة تجمع على أن القَطْر هو النحاس الذائب أو ضرب منه <sup>(١)</sup>، وأكثر المفسرين ذهبوا إلى هذا القول: إن القَطْر هو النحاس الذائب ومعنى «أسلنا له عين القطر» أذبننا له النحاس حتى كان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض <sup>(٢)</sup>.

وهذا النحاس الذائب كان يخرج من الأرض خروج الماء من ينبوع.

قال القاضي البيضاوي: «أساله من معدنه، فنبع عنه نبوع الماء من ينبوع ولذلك سماه عيناً» <sup>(٣)</sup>.

وهذه النعمة الباهرة آية على علو شأن سليمان، وارتفاع قدره عند ربه جل وعلا. وعن حقيقة هذه العين: ذكر بعض المفسرين أوصافاً، ونقلوا كلاماً لا يخلو من النقاش فقال بعضهم: إن النحاس أذيب مذ ذاك، وكان قبل سليمان لا يذوب، وأنها بقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهن كمجرى الماء، وإنما يعمل الناس مما أعطى سليمان <sup>(٤)</sup>.

وهذا الكلام فيه نظر ويحتاج حتى يثبت إلى دليل صحيح، ولا يوجد دليل، والعقل يستبعد هذه الأقوال، فهل سليمان كان أول من ظهر على يديه معدن نحاس؟ وهل كان النحاس قبل سليمان معدوماً؟.

يقول الشيخ النجار: «قد يقول بعض الناس إن سليمان أول من صهر النحاس وأساله وأن الله لم يسئل له عيناً من الأرض، والذي أقوله: إني أسلم بذلك متى علم علماً صحيحاً أن القَطْر لم يوجد قبل سليمان» <sup>(٥)</sup>.

وأما كيف تفجرت هذه العين فلا ندري كل الذي ندره من سياق الآيات:

---

(١) انظر: المذكور وآخرين، مرجع سابق، ٣٧٣/٢ والراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٤٥٤.

(٢) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط ١، (القاهرة: دار الصابوني، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ٥٠٢/٢.

(٣) البيضاوي، مرجع سابق، (٤/٣٩٤).

(٤) انظر: ابن الجوزي، مرجع سابق، (٦/٤٣٨) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٣/٥٢٩) والقرطبي، الجامع

لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٤/١٧٤).

(٥) النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، (بيروت: دار العلم)، بلا، ص ٣٢٣.

«أن هذا كان معجزة خارقة، كإلانة الحديد لداود، وقد يكون ذلك بأن فجر الله عيناً  
بركانية من النحاس المذاب من الأرض، أو بأن ألهمه الله إذابة النحاس حتى يسيل، ويصبح  
قابلاً للصب والطرق، وهذا فضل من الله كبير»<sup>(١)</sup>.

وظاهر الآيات يوحي أن النحاس المصهور كان يجري على وجه الأرض. ونحن نعلم  
من خلال تاريخ سليمان عليه السلام، وحديث القرآن عنه أنه كان رجل عمارة وبناء،  
وشيدت في عصره العديد من المباني والقصور، والقلاع والمساجد والقصاع الكبيرة  
والقدور، ومعلوم أن معدن النحاس من أقوى المعادن، فقد يكون سليمان استفاد من هذه  
العين في هذه الصناعات لتقوية مملكته، ونمو صناعاتها، وازدهار عمارتها وحضارتها.

أما عن مكان العين فإننا نجد كثيراً من المفسرين ذكروا أنها كانت في بلاد اليمن<sup>(٢)</sup>  
ولا يوجد أي دليل يوثق به على صحة هذا القول، والعقل والمنطق يستبعدان هذا القول.  
والأرجح أن تكون هذه العين في مكان ما من فلسطين مقر مملكة سليمان عليه السلام  
والله أعلم.

### المطلب الثالث: تسخير الريح

يؤكد لنا القرآن الكريم أن الله تعالى سخر الريح لسليمان تجري بأمره إلى حيث يريد  
فكانت تجري بأمره، وتقطع له المسافات البعيدة في ساعات محدودة.  
وجاء تسخير الريح لسليمان في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.  
والريح: مخلوق من مخلوقات الله وجندي من جنوده، يأمرها فتأمر، وينهاها فتتجر،  
تارة يرسلها بالخصب والخير والرخاء، وتارة يرسلها بالهلاك والدمار والشقاء!!!  
فالريح هي التي تحمل الغيث وتسوقه إلى حيث يشاء الله، لتحيا به الأرض بعد موتها.

(١) سيد قطب، مرجع سابق، (٥/٢٨٩٨).

(٢) انظر: الطبري، مرجع سابق، (٢٢/٦٩) والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٤/١٧٣) وابن كثير، تفسير القرآن  
العظيم، مرجع سابق، (٣/٥٢٩).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتَ سَحَابًا نَقَالًا سُفْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

وحيثما يتمرد الطغاة، ويصموا أذاهم عن سماع الحق، ويقفوا حجر عثرة أمام دعوة الخير والطهر، ويتملكهم الغرور والكبرياء، فإنهم يستحقون العذاب والتدمير.

وقد أخبرنا القرآن الكريم: أن الله تعالى أهلك أقواما بالريح، وهزم بها آخرين!!

قال تعالى عن قوم هود: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ \* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ \* فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٢).

وقال عن هزيمة قريش يوم الخندق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٣).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور» (٤).

والصبا -بفتح الصاد- الريح التي تهب من ظهرك إذا استقبلت القبلة وتسمى القبول -بفتح القاف- لأنها تقابل باب الكعبة، والدبور: فتح الدال: تهب من قبل الوجه إذا استقبلت القبلة» (٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الحاقة: ٦-٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ص ١٠٣١، رقم الحديث ٤١٠٥ وصحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، ص ٤٠٤، رقم الحديث ٢٠٨٤.

(٥) المناوي، محمد بن عبد الرؤوف، فيض القدير، (بيروت: دار الفكر)، (٦/٢٨٣) أقول: اختلف العلماء كثيراً في معنى الصبا والدبور، مما جعل ابن الأثير يقول: «وقد كثر اختلاف العلماء في جهات الرياح ومهبها اختلافاً كثيراً، فلم نزل ذكر أقوالهم: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثير، (٢/٩٣).

ولذلك كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يهتم لهبوب الريح جاء في صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها-: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به (١).

إذن فالريح جندي مطيع لأمر الله تعالى، وقد سخر الله تعالى هذه الريح، لعبده المكرم ونبيه المبجل، سليمان -عليه السلام-.

وأماننا في هذا المبحث ثلاث آيات:

١- الأولى: قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٢).

والرخاء في اللغة: اللينة من قولهم: شيء رخو، وقد رَخِيَ يَرُخِي (٣).

ومعنى أصاب: أراد وعلى هذا المعنى إجماع المفسرين وأهل اللغة (٤).

والعرب تقول: أصاب الصواب... وأخطأ الجواب. أي: أراد الصواب وأخطأ الجواب (٥).

وعلى هذا يكون معنى الآية: فذللنا له الريح، تسير بأمره، لينة طيبة حيث قصد وأراد من الأماكن والبلاد.

٢- الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (٦).

ومعنى لسليمان (الريح): أي: سخرنا لسليمان الريح.

والريح العاصفة هي: شديدة الهبوب.

(١) صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، ص ٤٠٣، رقم الحديث ٢٠٨٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٦.

(٣) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٤) انظر: الزجاج، مرجع سابق، (٤/٣٣٣).

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٥/١٣٤).

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨١.



والأرض التي بورك فيها: هي أرض الشام. (بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس).  
وقد وُصفت هذه الأرض بالبركة والقداسة في مواضع متعددة من القرآن الكريم:  
قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَوَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال على لسان موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ  
لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أرض الشام أرض مباركة، اختارها الله تعالى لتكون مأوى الأنبياء، ومهوى أفئدة  
المجاهدين والأولياء، ومحط أنظار المؤمنين الأتقياء.

ومن لطائف التعبير القرآني: أنه لما ذكر تسخير الريح لسليمان، جاء بحرف اللام!!!  
ولما ذكر تسخير الجبال لداود، جاء بلفظ مع!!!

«وذلك أنه لما اشتركا في التسييح ناسب ذكر (مع) الدلالة على الاستصحاب، ولما  
كانت الريح مسخرة لسليمان، أضيفت إليه بلام التملك، لأنها في طاعته وتحت أمره»<sup>(٣)</sup>.

### ويرد هذا استشكال:

فقد وصفت الريح المسخرة لسليمان تارة بالرخاء، وتارة بالعصف، وبين الوصفين  
تغاير في ظاهر الأمر!!!

ومن طرح هذا الاستشكال وأجاب عنه الزمخشري، قال: «فإن قلت: وصفت هذه  
الرياح بالعصف تارة، وبالرخاوة أخرى، فما التوفيق بينهما؟

قلت في قسما رحيطية كل نسيم فإذا هت بكسيه أبطت بي في طقيرة على ما  
قل: ﴿عَلَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾<sup>(٤)</sup>. فكل جهلين لأمرين أن تكون رحيطية قسما  
وعطفتني عملها مع طعنها للمسلمين وهو بها على حسب ما يريد ويحكم<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢١.

(٣) أبو حيان، مرجع سابق، (٦/٣٢٧).

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢.

(٥) الزمخشري، مرجع سابق، (٣/١٢٧).

## ومن أوجه الجمع الأخرى:

«أما كانت عاصفة في بعض الأوقات، ولينة ورخاء في بعضها، بحسب الحاجة»<sup>(١)</sup>.

وقيل: «كان الرخاء في البداية، والعصف بعد ذلك، وذلك على عادة المسافر، يبدأ مبطناً ثم يأخذ بالإسراع»<sup>(٢)</sup>.

٣- الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي كلمة الريح قراءتان: واحدة بالرفع (الريح) قرأ بها عاصم في رواية أبي بكر<sup>(٤)</sup> وقرأ الباقر بالنصب على معنى: وسخرنا لسليمان الريح<sup>(٥)</sup>.

وقراءة الرفع على معنى: «ثبتت له الريح، وهو يؤول في المعنى إلى معنى: سخرنا الريح كما أنك إذا قلت: لله الحمد، فتأويله: استقر لله الحمد، وهو يرجع إلى معنى: أحمد الله الحمد<sup>(٦)</sup>.

ومعنى غدوها شهر ورواحها شهر: «جريها بالغدوة مسيرة شهر، وجريها بالعشى كذلك»<sup>(٧)</sup>.

والغدوة: الصباح إلى الزوال، والروحة: من الزوال إلى الغروب.

فكانت هذه الريح: «غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر»<sup>(٨)</sup>.

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ٣/ ١٥٨.

(٢) عبد العزيز، مرجع سابق، ٤/ ٢٢٢٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: (١٢).

(٤) هو: شعبة بن عياش بن سالم الأزدي الكوفي، من مشاهير القراء: ت: ١٩٢هـ. (انظر: الأعلام الزركلي ٣/ ١٦٥).

(٥) ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، سعيد الأفغاني (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص ٥٨٣.

(٦) الزجاج، مرجع سابق، (٤/ ٢٤٥).

(٧) أبو السعود، مرجع سابق، (٧/ ١٢٥).

(٨) الطبري: مرجع سابق، (٢٢/ ٩٦).

لقد كانت هذه الريح المباركة من السرعة بحيث تقطع مسافة شهرين في اليوم الواحد (ذهاباً وإياباً) وهذه نعمة جليلة، ومنحة كبرى أوتيها سليمان، في عصر كانت وسائل النقل فيه بدائية تعتمد على الخيل والجمال والحمير والبغال.

وكانت هذه الريح ريح رخاء وخصب. «وهذا معناه أن فترة حكم سليمان -عليه السلام- لبني إسرائيل كانت فترة رخاء ورفاهية، تنعم فيها بنو إسرائيل بعيشهم، وحنوا خصب زروعهم وثمارهم، وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم... وهذا الخير والرخاء والخصب ثمرة للحكم الإيماني الرباني على يد سليمان -عليه السلام- فلما حكمهم بشرع الله أفاض الله عليهم من هذه الخيرات»<sup>(١)</sup>.

إن البركة والرخاء وحلول الأمن، وتوفر الطمأنينة، أمور مرتبطة بتحكيم شرع الله، وإقامة حدوده، ومراعاة أوامره.

وإن تعطيل الحكم بما أنزل الله، لا يثمر إلا الفوضى، وانعدام الأمن، وحلول الشقاء وتقلص الأرزاق، ومحق البركات، ونزول العقوبات الجماعية من الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما عن كيفية هذا التسخير:

فإن الآيات لم توضحه لنا وليس عندنا خبر صحيح في ذلك، كل ما في الأمر أن الله سخر الريح لسليمان.

وقد حاول العلامة ابن عاشور فهم هذا التسخير بطريقة علمية، فقال: «ومعنى تسخيره الريح: خلق ريح تلائم سير سفنه للغزو أو التجارة، فجعل الله لمراسيه في شطوط فلسطين رياحاً موسمية، تهب شهراً مشرقاً، لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهب شهراً مغرباً لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين»<sup>(٣)</sup>.

(١) الخالدي. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل وأحداث، مرجع سابق، ٣/ ٥٠٠ مختصراً.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١/ ١٥٨.

وللشيخ النجار محاولة قريبة من محاولة ابن عاشور -ولكنها أشمل- قال: «إن الريح كانت مسخرة لسليمان يصرفها بحري بأمره رخاء، فيأمرها أن تهب في هذه الناحية لاحتياج أهلها إلى الريح الرخاء للانتفاع بها في زرعهم ومعاشهم، أو في تزجيه السفن كي تصل إلى المرافئ سالمة»<sup>(١)</sup>.

وهذه المحاولات جيدة، وهي أقرب إلى العقل من أساطير بساط الريح، وإن كان الأسلم في مثل هذه الأمور (الخارقة): أن نفوض الأمر ونحيله إلى علم الله - كما يقول صاحب الظلال<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الرابع: تسخير الجن والشياطين

الجن والشياطين عالم مستقل، قائم بذاته، ذكر الله تعالى في كتابه كثيراً مما يتعلق بهم، وفصلت كتب السنة كثيراً من أحوالهم وأحكامهم، وألف العديد من العلماء مصنفات في غرائبهم وعجائبهم.

ولا مجال لإنكار وجودهم بعد أن تواردت الآيات الكثيرة على ذكرهم، وقد أكثر العرب في أشعارهم عن ذكر الجن، وأطلقوا عليهم في كلامهم أكثر من اسم ووصف.

والجن عند أهل الكلام، والعلم باللسان على مراتب:

فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا: جني؛ فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس قالوا: عامر، والجمع عمار؛ فإذا كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح؛ فإذا خبث وتمرد قالوا: شيطان؛ فإذا زاد أمره على ذلك فهو: مارد؛ فإن زاد أمره على ذلك وقوي قالوا: عفريت<sup>(٣)</sup>.

وسمي الجن جنا لاستتاره قال صاحب المصباح المنير: «الجن والجنة، خلاف الإنس، والجان الواحد من الجن، وأجنه الليل، وجن عليه: ستره، وقيل للترس بجن -بكسر الميم- لأن صاحبه يتستر به»<sup>(٤)</sup>.

(١) النجار، مرجع سابق، ص ٣٢١.

(٢) انظر: سيد قطب، مرجع سابق، ٤/ ٢٣٩.

(٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٥١٣٨٧)، ١١/ ١١٧-١١٨.

(٤) الفيومي، أحمد بن محمد علي المقرئ، المصباح المنير، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م)، ص ٤٣.

فلما كان الجن مستترا، ولا تراه العيون سمي جنًّا. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

أما الشيطان: فهو مأخوذ من شطن وكل عات متمرّد من إنس أو جن، أو دابة يسمّى شيطاناً<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام القرطبي: «وسمي الشيطان شيطاناً لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب شيطان»<sup>(٣)</sup>.

نفهم مما سبق: أن الجن والشياطين ليست بمعنى واحد، فالجن - كما نفهم من القرآن والسنة - عالم خاص، خلقهم الله من نار، مقابل خلق الإنسان من طين.

وقد ذكر لنا القرآن أن من الجن أقواماً مؤمنين صالحين وآخرين ظالمين كافرين.

قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا \* وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>(٤)</sup>.

أما الشياطين: فهم المتمرّدون على الحق والخير، أيّاً كان نوعهم، سواء كانوا من الجن أو الإنس أو الدواب.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾<sup>(٥)</sup>. ولكن اصطلح على أن الشيطان هو الجن الكافر، فإبليس على شقائه وإبلاسه كان من الجن بنص القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

وعليه: فالجن والشياطين ليست مترادفة، ولا يطلق الشيطان على الجن جميعاً، وإنما يخصّ منهم الجن الكافر الذي تمرّد على الحق. أما الجن المؤمن فلا يسمّى شيطاناً.

(١) سورة الأعراف، الآية: (٢٧).

(٢) انظر: الفيروز آبادي، مرجع سابق، ص ١٢١٨، والرازي، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٣) القرطبي، مرجع سابق، (١/٦٤).

(٤) سورة الجن، الآية: ١٤ - ١٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

## تسخير الجن والشياطين لسليمان:

وقد نصت آيات القرآن على أن الله تعالى سخر الجن والشياطين لسليمان، جاء ذلك في ثلاثة مواضع:

١- في سورة الأنبياء: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُعْوِضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- في سورة سبأ: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنُ أَمْرًا نُّذِقُهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- في سورة (ص): ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ \* وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالآيات تنص على أن الجن والشياطين سحروا لسليمان.

والذي يرجح: أن المسخرين كانوا من المؤمنين والكافرين معاً، ولست في ذلك مع رأي الإمام الفخر الرازي، الذي ذهب إلى أن المسخرين كانوا من الكفار لا من المؤمنين، وعزا اختياره هذا لسببين: الأول: إطلاقه لفظ الشياطين. والثاني: قولهم: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾. قال: «فإن المؤمن إذا سخر في أمر لا يجب أن يحفظ لئلا يفسد، وإنما يجب ذلك في الكافر»<sup>(٤)</sup>، وفي التقدير: هذا الاختيار مرجوح، وأدلة صاحبه منقوضة:

١- فقد سبق وبيننا أن الشياطين من الجن، ولكن ليس كل جني شيطانا، والقرآن ذكر بصراحة تسخير الجن والشياطين، فلا معنى لتخصيص الكفار منهم!!!

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٢-١٣.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٧-٣٨.

(٤) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٨/١٧٠.

٢- قص علينا القرآن في قصة سليمان وملكة سبأ، أن أحد الجن المؤمنين تعهد لسليمان بإحضار عرش الملكة وهو عليه قوي أمين<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن هذا العفريت كان في حاشية سليمان ومن الذين يحضرون مجلسه، ولا يظن بسليمان أن يجعل أحد مستشاريه والمقربين منه كافرًا!!!

٣- أما استدلال الإمام الرازي<sup>(٢)</sup> بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾، فهو غير مسلم، فقد اختلف العلماء في معناها، ولهم فيها عدة أقوال منها:

■ أنه تعالى كان يحفظهم لئلا يذهبوا.

■ كان يحفظهم من أن يهيجوا أحدًا في زمانه.

■ كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا<sup>(٣)</sup>.

٤- وأما قوله: «إن المؤمن إذا سخر في أمر لا يجب أن يحفظ لئلا يفسد وإنما يجب ذلك في الكافر»؛ فهو غير مطرد!!! فكم من مؤمن إذا وكل إليه عمل قصر فيه!!!

(١) انظر: سورة النمل، الآية: ٣٩.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠ م): الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها.

وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) ثمانية مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البيئات في شرح أسماء الله تعالى والصفات - ط) و (معالم أصول الدين - ط) و (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - ط) و (المسائل الخمسون في أصول الكلام - ط) و (الآيات البيئات - خ) مع شرح ابن أبي الحديد له، في خزنة الاسكوريال، المجموعة ٣٣ و (عصمة الأنبياء - خ) كراريس من أوله، في خزنة الرباط (المجموعة ١١٨٠ كتابي) و (الاعراب - خ) في شستريتي، الرقم ٣٣٧٤ و (أسرار التتريال - خ) في التوحيد، و (المباحث المشرقية - ط) و (أنموذج العلوم - خ) و (أساس التقديس - ط) رسالة في التوحيد، و (المطالب العالية - خ) في علم الكلام، و (المحصل في علم الأصول - خ) و (نهاية الإيجاز في دراية الأعجاز - ط) بلاغة، و (السر المكتوم في مخاطبة النجوم - خ) و (الاربعون في أصول الدين - ط) و (نهاية العقول في دراية الاصول - خ) في أصول الدين. و (القضاء والقدر) و (الخلق والبعث) و (الفراصة) و (البيان والبرهان) و (تهذيب الدلائل) و (الملخص في الحكمة، و (النفوس) رسالة، و (النبوات) رسالة، و (كتاب الهندسة) و (شرح قسم الاهليات من الاشارات لابن سينا - ط) و (لباب الاشارات - ط) تهذيبه، و (شرح سقط الزند للمعري) و (مناقب الإمام الشافعي - ط) و (شرح أسماء الله الحسنى - ط) و (تعجيز الفلاسفة بالفارسية، وغير ذلك. وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظًا بارعًا باللغتين. انظر:

الزركلي، الأعلام، ٦/٣١٣).

(٣) انظر: ابن عادل، مرجع سابق، ١٣/٥٦٤ باختصار.

والمعروف في سيرة سليمان أنه كان حازماً. ولعله -من حزمه- كان يراعي في عماله إتقان العمل وإكماله، وعدم التهاون مع أي مقصر. والله أعلم بالصواب.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup>.  
والزبيغ: «الميل عن الاستقامة»<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف العلماء في العذاب الذي يذوقونه: هل هو في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال أكثر المفسرين: في الآخرة<sup>(٣)</sup>. وقيل: «ذلك في الدنيا... وأن الله وكل بهم ملائكة بأيديهم مقارع من نار»<sup>(٤)</sup>.

ولا تعارض بين أن يكون العذاب في الآخرة والدنيا معاً، فمن يتمرّد على سليمان ويخرج عن طاعته، لا شك بأنه سيصلى نار السعير في الآخرة.

وسيلقى العقوبة الرادعة في الدنيا، بأن يوضع في القيود والأغلال.

وعلى ذلك: يكون قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾<sup>(٥)</sup> هو جزء من عقوبة الدنيا، والصفد: «القيد. وسمي به العطاء، لأنه ارتباط للمنعم عليه»<sup>(٦)</sup>.

نعم قال كثير من المفسرين: إن سليمان قرن الشياطين المسخرين بالسلاسل قمعا لشركهم، وعقابا لهم<sup>(٧)</sup>، لكن يرى أن هذا التقييد إذا عمم فإنه يشمل فقط الكفار منهم!!!

وسليمان عليه السلام - كل ملكه وملكه، ومن كل ذلك لا يمتهم أمره ولا يمتدح  
أمره، لا إذا كان حراماً!!! إذ لا يمتدح أمره الفضل، وإذا قلص أحد جوده لجهو وأقصاه!!!

(١) سورة سبأ، الآية: ١٢.

(٢) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٤ / ١٧٤.

(٤) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٩ / ١٩٨.

(٥) سورة ص، الآية: ٣٨.

(٦) الزمخشري، مرجع سابق، ٤ / ٩٣.

(٧) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١م)، ٢٣ / ٢٠٣.



والحزم من أهم صفات القيادة الرشيدة الناجحة ومما قيل فيه: "الحزم أنفس الحظوظ" "رب رأي أنفع من مال، وحزم أوفى من رجال" "من لم يقدمه الحزم، أخره العجز" "من نظر في أحواله، وحزم في أفعاله، وأقسط في أحكامه، واقتصد في وفوره وإعلامه فقد أعطى الخير بتمامه (١)".

### بعض أعمال هؤلاء المسخرين:

ذكرت لنا آيات القرآن الكريم، أن الجن والشياطين الذين سحروا لسليمان، كانوا يقومون بأعمال خاصة لا يقدر على مثلها غيرهم من الإنس، وذلك لأن للجن قدرات خارقة ولديهم امتيازات ليست للإنس.

وقد استفاد سليمان من قدرات الجن، فسخرهم للقيام بمجموعة من الأعمال التي ساهمت في تقوية مملكته، وازدهارها وعمرانها.

ومن هذه الأعمال التي ذكرها القرآن:

### ١- الغوص في أعماق البحار:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ (٣).

والغوص: «الدخول تحت الماء، وإخراج شيء منه. ويقال لكل من إنهجم على غامض فأخرجه له: غائص، عيناً كان أو علماً، والغواص: الذي يكثر منه ذلك» (٤).

ومن المعلوم أن في أعماق البحار والمحيطات من الأسرار والعجائب والكنوز ما لا يعلم مداها إلا الله، فكان سليمان يستعمل الجن والشياطين في الدخول تحت المياه، والغوص في أعماق البحار والمحيطات، لاستخراج ما فيها من كنوز ودرر ولآلئ وجواهر، واستكشاف كنه هذا العالم المجهول، في عصر لم يعرف الغواصات، ولا أجهزة الغوص، وهذا مظهر جلي من مظاهر ملك سليمان، وقوة سلطانه.

(١) انظر: حوى، سعيد، فصول في الأمر والأمير (دار عمارة، ٤٠٨هـ - ١٩٩٨م)، ٥٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٧.

(٤) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ١٤١٠.

أما قوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ فهو يدل على أن المسخرين من الجن والشياطين كانت لهم أعمال أخرى غير الغوص، من بناء المدن والقصور، والصناعات المتنوعة التي ذكرها القرآن وستكلم عنها إن شاء الله.

## ٢- البناء: ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد سخر سليمان -عليه السلام- الجن والشياطين في إقامة المباني العظيمة، وتشديد الصروح العجيبة، واستفاد من طاقات الجن وقدراتهم في هذه الأمور.

وقد ذكر القرآن الكريم طائفة من هذه الأعمال في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

والآية ذكرت أربع صناعات كان يقوم بها الجن نفضلها على النحو التالي:

أ) المحارِب: وقد اختلف العلماء والمفسرون في المقصود بالمحارِب على عدة أقوال:

١- المساجد.

٢- القصور.

٣- المساجد والقصور

٤- الأبنية دون القصور<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: «المحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى»<sup>(٤)</sup>، وقال ابن كثير: «المحارِب: البناء الحسن. وهو أشرف شيء في المسكن وصدرة»<sup>(٥)</sup>.

والمحراب في اللغة: «صدر المجلس، ويقال: هو أشرف المجالس، وهو حيث يجلس الملوك والسادات والعظماء، ومنه محراب المصلي»<sup>(١)</sup>.

(١) سورة ص، الآية: ٣٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) انظر: ابن الجوزي، مرجع سابق، ٦/ ٤٣٩ والتونجي، د. محمد، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ)، ص ١٢٣.

(٤) الطبري، مرجع سابق، (٧٠/ ٢٢).

(٥) ابن كثير، مرجع سابق، (٣/ ٥٢٩).

قال الإمام الراغب في توجيه تسمية المحراب بهذا الاسم:

«محراب المسجد، قيل: سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريياً من أشغال الدنيا، ومن توزع الخواطر. وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس، ثم اتخذت المساجد، فسمي صدره به، وقيل: بل المحراب أصله في المسجد، وهو اسم خصّ به صدر المجلس، فسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد، وكأن هذا أصح»<sup>(٢)</sup>.

ويرجح ما صححه الراغب، ويرى أن المقصود بالمحاريب هنا: أماكن العبادة.

وهذا الترجيح يناسب حال سليمان النبي، الذي كان يحرص على إقامة المعابد لتكون موثلاً للمؤمنين لمناجاة الرحمن الرحيم.

وقد صح في الحديث أن سليمان -عليه السلام- بني مسجد بيت المقدس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس، سأل الله -عز وجل- خلالاً ثلاثاً: سأل الله حكماً يصادف حكمه فأوتيته، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيته، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد إلى الصلاة فيه أن يخرج من خطيئة كيوم ولدته أمه، أما اثنان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون أعطى الثالثة»<sup>(٣)</sup>.

وبناء سليمان لمسجد بيت المقدس: ليس تأسيساً كما قد يتوهم، بل تجديد لما قد أسسه غيره، كما رجحه كثير من أهل العلم<sup>(٤)</sup>.

(١) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م)، ص ٤٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (١٢٦).

(٣) سنن النسائي كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، ص ٨٣، رقم الحديث (٦٩٣). سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، ص ٢٤٩، رقم الحديث (١٤٠٨). الحديث صححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٢٠٩٠).

(٤) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ - ١٩٨٩م)، (٦/٥٠٤)، و: التنشئة. جواد بحر. مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان، ط ١، (الخليل: مركز دراسات المستقبل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، (٢٣٧-٢٣٨).

ومما يجدر ذكره هنا أن المحاريب التي اتخذت في مساجد المسلمين محدثة، ولم تكن على عهد السلف الأول، لذا كره الفقهاء الوقوف في داخلها<sup>(١)</sup>.

وألف الإمام السيوطي<sup>(٢)</sup> في ذلك رسالة لطيفة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الألويسي، مرجع سابق، ١١٨/٢٢.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م):  
إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة بيتاً والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، متروياً عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي وقرأت في كتاب (المنح البادية - خ) أنه كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتية بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب! من كتبه (الإتقان في علوم القرآن - ط) و (إنعام الدراية لقراء النقاية - ط) كلاهما له، في علوم مختلفة، و (الأحاديث المنيفة - خ)، و (الارج في الفرج - ط) و (الاذكار في ما عقده الشعراء من الآثار - خ) و (إسعاف المبطل في رجال الموطأ - ط) و (الأشباه والنظائر - ط) في العربية، و (الأشباه والنظائر - ط) في فروع الشافعية، و (الاقتراح - ط) في أصول النحو، و (الإكليل في استنباط الترتيل - ط) و (الألفاظ المعربة - خ) و (الألفية في مصطلح الحديث - ط) و (الألفية في النحو - ط) واسمها (الفريدة) وله شرح عليها، و (إنباه الأذكياء لحياة الأنبياء - ط) رسالة، و (بديعية وشرحها - خ) عندي و (بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة - ط) و (التاج في إعراب مشكل المنهاج - خ) و (تاريخ أسيوط) وكان أبوه من سكانها، و (تاريخ الخلفاء - ط) و (التحبير لعلم التفسير - خ) و (تحفة المجالس ونزهة المجالس - ط) و (تحفة الناسك - خ) و (تدريب الراوي - ط) في شرح تقريب النواوي، و (ترجمان القرآن - ط) و (تفسير الجلالين - ط) و (تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك - ط) و (الجامع الصغير - ط) في الحديث، و (جمع الجوامع، ويعرف بالجامع الكبير - خ) ستة أجزاء، كتب سنة ٩٧٣ في خزنة القرويين وفي الظاهرية، و (الخواوي للفتاوي - ط) و (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - ط) و (الخصائص والمعجزات النبوية - ط) و (در السحابة، في من دخل مصر من الصحابة - خ) و (الدر المنثور في التفسير بالمأثور - ط) ستة أجزاء، و (الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الأثير - ط) و (الدراري في أبناء السراي - خ) و (الدر المنثورة في الأحاديث المشتهرة - ط) و (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج - ط) و (ديوان الحيوان - ط) اختصره من حياة الحيوان للدميري، وقد ترجم إلى اللاتينية، و (رشف الزلال - ط) ويعرف بمقامة النساء، و (زهر الرمي - ط) في شرح سنن النسائي، و (زيادات الجامع الصغير - ط) مرتبة على الحروف، و (السبل الجلية في الآباء العلية - ط) و (شرح شواهد المغني - ط) سماه (فتح القريب) و (الشمراخ في علم التاريخ - ط) رسالة، و (صون المنطق والكلام، عن فن المنطق والكلام - ط) و (طبقات الحفاظ - ط) و (طبقات المفسرين - ط) و (عقود الجمان في المعاني والبيان - ط) أرجوزة، و (عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد - خ) و (قطف الثمر في موافقات عمر - خ) و (كوكب الروضة - خ) في ذكر جزيرة الروضة التي كان من سكانها (وفيها منزلي بمصر) رأيت منه نسختين إحداها في الخزنة الخالدية بالقدس، في مجلد ضخم، والثانية في خزنة الرباط (١٣٥ ق) و (مقامات - خ) ٢٤ رسالة في مباحث مختلفة، بخزنة الرباط (٢٩٦ د) و (اللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية - ط) و (لب اللباب في تحرير الأنساب - ط) و (لباب النقول في أسباب النزول - ط) و (ما رواه الأساطين في عدم انجى إلى السلاطين - خ) و (متشابه القرآن - ط) و (مجموعان مخطوطان، يشتملان على ٤٣ رسالة - ذكر أسماءها حبيب الزيات في (خزائن الكتب) - و (المحاضرات والمحاورات - خ) و (المذهب في ما وقع في القرآن من المعرب - خ) و (المزهر - ط) في اللغة، و (مسالك الخنفا في والدي المصطفى - ط) و (المستطرف من أخبار الجوارى - ط) و (مشتهى العقول في منتهى النقول - ط) و (مصباح الزجاجية - ط) في شرح سنن ابن ماجه، و (مفحمتان الاقران في مبهمات القرآن - ط) و (مقامات - ط) في الأدب، و (المقامة السندسية في النسبة المصطفوية - ط) و (مناقب أبي حنيفة - ط) و (مناقب مالك - ط) و

## ب- التماثيل:

التمثال في اللغة: «ما نحت من حجر أو صنع من نحاس ونحوه، يحاكي به خلق من الطبيعة، أو يمثل به معنى رمزا له»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر المفسرون أن هذه التماثيل كانت صوراً من النحاس والزرجاج وغيرها<sup>(٣)</sup>. وظاهر الآية القرآنية يدل على أن اتخاذ التماثيل، وصناعة الصور كانت مباحة في شريعة سليمان -عليه السلام.

وقد طرح الشريبي<sup>(٤)</sup> سؤالاً وجوابه قال: فإن قيل: كيف استجاز سليمان -عليه السلام- عمل التماثيل؟ أجيب: بأن هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع، لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم، والكذب...<sup>(٥)</sup>.

وقد حاول بعض العلماء الاعتذار عن سليمان، بأن التماثيل التي كانت في عهده لم تكن تماثيل لذي روح من إنسان أو طير أو حيوان، وإنما كانت تماثيل لما لا روح له كالأشجار والبحار والمناظر الطبيعية<sup>(٦)</sup>، وهذا الاعتذار بعيد، والتأويل بهذا غريب!!!

قال الإمام ابن العربي المالكي: التمثال على قسمين: حيوان وموات، والموات على قسمين: جماد ونام، وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه، وذلك معلوم من طريقين:

أحدهما عموم قوله: (تماثيل)، والثاني: ما روي من طرق عديدة أصلها الإسرائيليات، بأن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان.

---

(مناهل الصفا في تخرّيج أحاديث الشفا - ط) و (المنجم في المعجم - خ) ترجم به أشياخه، و (نزهة الجلساء في أشعار النساء - خ) في الظاهرية، و (النفحة المسكية والتحفة المكية - خ) في عدة علوم، و (نواهد الابكار - خ) حاشية على البيضاوي، و (همع الهوامع - ط) في النحو، و (الوسائل إلى معرفة الأوائل - خ) وغير ذلك. (الأعلام للزركلي، ٣/٣٠١-٣٠٣).

(١) اسم الرسالة: إعلام الأريب بحدوث بدعة المحارب. انظر: القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، (١/١٢٥).

(٢) مدكور وآخرون، مرجع سابق، (٢/٨٨٨).

(٣) انظر: عبد العزيز، مرجع سابق، (٥/٢٧٥٣).

(٤) هو: محمد بن أحمد الخطيب الشريبي، فقيه شافعي مفسر، من أهل القاهرة، توفي ٩٧٧هـ. (انظر: الأعلام للزركلي ٦/٦).

(٥) الشريبي، الخطيب، السراج المنير، ط ٢، (بيروت: دار المعرفة)، ٣/٢٨٦ بلا.

(٦) انظر: الصابوني، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، (حلب: دار العلم العربي، بلا)، ٢/٢٩٢.

فإن قيل: لا عموم لقوله (تماثيل) فإنه إثبات في نكرة، والإثبات في النكرة لا عموم له  
إنما العموم في النفي في النكرة حسبما قررتموه في الأصول؟

قلنا: كذلك نقول، بيد أنه قد اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على  
العموم وهو قوله: ﴿مَا يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له<sup>(٢)</sup>.  
أما في شريعتنا: فقد جاءت النصوص النبوية قاطعة في حرمة التماثيل وصناعتها،  
وسميتها باسم الصور. وفعلها: تصوير وفاعلها: مصور.

ومن هذه الأحاديث: ما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»<sup>(٣)</sup>.  
وقال -عليه الصلاة والسلام-: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة  
يقال لهم أحيوا ما خلقتم»<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف علماؤنا في الممنوع والجائز من الصور اختلافاً كثيراً، غير أنهم اتفقوا على  
حرمة اتخاذ الصور المجسمة (التماثيل)، ولم يستثن الفقهاء من هذه الصور إلا لعب الأطفال  
وما يمتهن وما سوى ذلك ففيه اختلاف ليس هذا موضعه<sup>(٥)</sup>.  
وقد كان الإسلام شديداً في محاربة التماثيل، حتى لا تتخذ ذريعة إلى الشرك، وطريقاً  
إلى الوثنية.

قال الإمام ابن العربي في علة هذا التحريم: «والذي أوجب النهي في شرعنا -والله  
أعلم- ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصورون ويعبدون،  
فقطع الله الذريعة وحى الباب»<sup>(١)</sup>.

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) ابن العربي، مرجع سابق، ٨/٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، ١٤٨٨، رقم الحديث (٥٦٥٠). صحيح مسلم، كتاب  
اللباس، باب تحريم صورة الحيوان...، ٩٩٩، رقم الحديث ٥٥٠٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، ١٤٨٨، رقم الحديث (٥٦٥١). و مسلم: صحيح مسلم  
، كتاب: اللباس، باب: تحريم صورة الحيوان...، ٩٩٨، رقم (٥٥٠١).

(٥) انظر: عمرو، د. محمد عبد العزيز، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ -  
١٩٨٥م)، ٥١٣ وما بعدها. و: القرضاوي، د. يوسف، الحلال والحرام في الإسلام، ط ٢٢، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ -  
١٩٩٧م)، ١٠٥-١٠٦.

## ج- الجفان الكبيرة كالجواب:

الجفان: «قصاع عظيمة، خصت بالطعام، وأحدها: جفنة، وهي مما كانوا يتمدحون به»<sup>(٢)</sup>.

والجواب: الحياض الواسعة، يجبي فيها الماء، أي يجمع لسقي الإبل أو غيرها<sup>(٣)</sup>.

والجن المسخرون لسليمان -عليه السلام- كانوا يصنعون له القصاع العظيمة الواسعة ليوضع فيها الطعام، وأهل اللغة فرقوا بين أسماء أوعية الطعام حسب الكبر والاتساع: فالجفنة: أعظم القصاع، ويليهما القصعة، وهي ما تشبع العشرة، ويليهما الصحيفة، وهي ما تشبع الخمسة، ويليهما: المثكلة، وهي ما تشبع الاثني والثلاثة، ويليهما الصحيفة، وهي ما تشبع الواحد<sup>(٤)</sup>.

والآية تتحدث عن عظم قصاع سليمان -عليه السلام- التي يطعم فيها الناس، حتى تبدو لكبرها واتساعها كأنها أحواض مياه كبيرة!!!

## د- القدور الراسيات:

والقدور هي أوعية الطعام المعروفة، التي توضع على النار، ويطبخ فيها الطعام.

وقد وصفت هذه القدور بأنها (راسيات) أي: ثابتات، قال القاضي البيضاوي: «وقدور راسيات: ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمتها»<sup>(٥)</sup>، فهي قدور عظيمة واسعة، ولعظمتها واتساعها فهي ثابتة لا تُحمل ولا تُحرك، وقد ذكر جمع من المفسرين أن هذه القدور كانت من النحاس، وهذا الأمر قريب جداً لا سيما وقد مر معنا أن الله تعالى أسأل لسليمان -عليه السلام- عين القطر (النحاس المذاب).

(١) ابن العربي، مرجع سابق، (٩ / ٤).

(٢) التونجي، محمد، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، ط١، (بيروت: دارالكتب العلمية، ٤٢٤-٥١٣-٢٠٠٣م)، ص ١٠٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٤) الألوسي، مرجع سابق، (١١٩ / ٢٢).

(٥) البيضاوي، مرجع سابق، (٣٩٤ / ٤).

وهذه القدر والجلال تدل على عظم ملك سليمان، وتدلنا على الجود الواسع، والكرم الأصيل الذي كان يتحلى به سليمان -عليه السلام- وهكذا دأب القادة الناجحين الذين يريدون أن يستحوذوا على قلوب الناس، وينالوا محبتهم ومودتهم وولاءهم، فالناس عبيد الإحسان، **قل لأستغنى عن المطوشي<sup>(١)</sup> قوله عن سخاء لأمرء ووجود للملك:**

«هذه الخصلة هي الجليل قدرها، العظيم خطرها هي إحدى قواعد المملكة وأساسها، وتاجها وجمالها، تعو له بها الوجوه، وتذل لها الرقاب، وتخضع لها الجبابرة، وتسترق بها الأحرار، وتستمال بها الأعداء، ويستكثر بها الثناء، ويملك بها القرباء والبعداء، وهي بالعزائم والواجبات أشبه منها بالجمال والمحوبات»<sup>(٢)</sup>.

### ازدهار العمارة الصناعية في عهد سليمان -عليه السلام:

إن الآيات السابقة تدل بشكل واضح على أن مملكة سليمان -عليه السلام- كانت مزدهرة في عمراتها، متقدمة في صناعاتها، وقد ساهمت الخوارق والنعم التي أعطاها سليمان على ذلك، فالجن بقواهم الخارقة بينون ويشيدون، وعين القطر توفر لهم النحاس اللازم للصناعة وأعمال البناء.

### نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- يقدر أخاه سليمان:

لقد راعى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أخاه سليمان، وقدر طلبه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فراجع عن ربط أحد العفاريت في سارية المسجد، لما أراد قطع صلاته عليه، لتبقى معجزة (تسخير الجن والشياطين) خاصة لسليمان -عليه السلام.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظروا إليه كلكم، فذكرت

---

(١) هو: محمد بن الوليد بن محمد خلف الأندلسي. أديب من فقهاء المالكية، الحافظ من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس له كتاب: سراج الملوك، توفي ٥٢٠هـ. (انظر: الزركلي: الأعلام ٧/١٣٣).

(٢) حوى، مرجع سابق، (٣١).



قول أخي سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾<sup>(١)</sup> قال روح -أحد رجال السند- فرددته خاسئاً<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله، ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله: قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات. ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه. والله لولا دعوة أختينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الخامس: تعقيب القرآن الكريم على

#### معجزات سليمان -عليه السلام

لا شك بأن الملك الذي أوتيته سليمان -عليه السلام- ملك عظيم، والمجد الذي حصّله مجد أثيل، ونحن -كمسلمين- نضع هذه النعم التي أوتيتها سليمان في إطارها الصحيح ونتعامل معها على أنها معجزات، ومن شرط المعجزة (السلامة من المعارضة)، فلن يصل أحد كائناً من كان إلى ما وصل إليه النبي الكريم.

والمؤمن يتعامل مع النعم بشكرها: إقرار بفضل المنعم، واعترافاً بقدرته الواسعة ورجاء في المحافظة عليها، ورغبة في المزيد منها قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد عقب القرآن الكريم على النعم التي أعطيت لسليمان في موضعين:

(١) سورة ص، الآية: (٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الأسير والغريم يربط في المسجد، ص ١٨٦، رقم الحديث ٤٦١. صحيح مسلم، كتاب

المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، ص ٢٦٤، رقم الحديث ١٢٠٩.

(٣) صحيح مسلم، الكتاب والباب السابقين، رقم ١٢١١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: (٧).

١- الأول: قوله تعالى في سورة (ص): ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فالعطاء عطاء الله، والنعم من الله، والإيتاء من رب رحيم كريم؛ لذلك أعطى سليمان ما أعطى، ولم يحجر عليه في العطاء ولم يقيد في التصرف والإنفاق!!!

يقول الحافظ ابن كثير: «أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام، والسلطان الكامل كما سألتنا؛ فأعط من شئت، واحرم من شئت، ولا حساب عليك، أي: مهما فعلت فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صواب»<sup>(٢)</sup>.

وفي المراد من هذا العطاء أقوال: ذكر الإمام ابن الجوزي منها قولين:

أحدهما: أنه جميع ما أعطى فآمنن أو أمسك أي: أعط من شئت، وأمنع من شئت والمن: الإحسان إلى من لا يطلب ثواباً.

والثاني: أنه إشارة إلى الشياطين المسخرين له فالمعنى: فآمنن على من شئت باطلاقة وأمسك من شئت منهم<sup>(٣)</sup>.

وعند الإمام الطبري قول ثالث هو القوة على الجماع: أي: فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب، واترك جماع من شئت منهن<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير. ومعنى الكلام (هذا عطاؤنا بغير حساب فآمنن أو أمسك)<sup>(٥)</sup>، والراجح من الأقوال: الأول. والثاني: محتمل. والثالث: بعيداً جداً وغريب!!!

والقول الأول: رجحه الإمام الطبري. وذكر: أن عليه إجماع الحجة من أهل التأويل<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة ص، الآية: (٣٩ - ٤٠).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٤٠ / ٤).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق، (١٤١ / ٧).

(٤) الطبري، مرجع سابق، (١٦٤ / ٢٣).

(٥) انظر: الطبري، مرجع سابق، (١٦٤ / ٢٣).

(٦) مرجع سابق، (١٦٤ / ٢٣).

وذكر الإمساك إلى جانب المن، يدل على أن المن هنا هو الإعطاء والإحسان. والله أعلم.

وهذا العطاء الدنيوي لن ينقص من مكانة سليمان -عليه السلام- في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسْنَ مَّآبٍ﴾.

أي: إن أنعمنا عليه في الدنيا فله عندنا في الآخرة قرابة وحسن مرجع<sup>(١)</sup>.

ولا شك أنها منزلة عالية، ودرجة عظيمة تدل على قدر هذا النبي، ومقدار كراماته عند ربه، ورضاه عنه.

٢- الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* آل داود: هم أهله الصالحون، وعلى رأسهم ولده سليمان عليهما السلام.

\* وكلمة شكراً: منصوبة ويجوز فيها أوجه: أحدها: أنه مفعول به؛ أي: اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها شكراً لسدها مسده، الثاني: أنه مصدر من معنى: اعملوا. كأنه قيل: اشكروا شكراً بعملكم، أو: اعملوا عمل الشكر، الثالث: أنه مفعول لأجله أي: لأجل الشكر، الرابع: أنه مصدر وقع موقع الحال. أي: شاكرين، الخامس: أنه منصوب بفعل مقدر من لفظه، تقديره: واشكروا شكراً، السادس: أنه صفة للمصدر (اعملوا) تقديره: اعمل عملاً شكراً أي: ذا شكر<sup>(٣)</sup>، قال ابن كثير: وفي الآية دليل على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية<sup>(٤)</sup>، أكثر الناس ينشغلون بمشاهدة النعمة، والتلذذ بها عن شكر المنعم لذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾.

(١) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (١٥/ ١٣٥).

(٢) سورة سبأ، الآية: (١٣).

(٣) السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: علي محمد معوض وأحمد عبد الموجود وحامد مخلوف جاد، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤-١٩٩٤م)، ٤/ ٤٣٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٣/ ٥٢٩).

قال البيضاوي: «المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ، ومع ذلك لا يؤدي حقه، لأن توفية الشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهايته، ولذلك قيل: (الشكور من يرمى عجزه عن الشكر) (١).

وقد تحدث العلامة ابن القيم عن الشكر، وبين أن حقيقته:

«ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة. والشكر مبني على خمس قواعد: (خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناءه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره). فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبنائوه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور» (٢).

وقد أحسن سليمان -عليه السلام- شكر نعم الله عليه، فأورثته تلك النعم مزيد خضوع لله، وتواضعا لعباد الله، وشفقة على عباد الله، وأقام بها مملكة إيمانية يسودها العدل، وتحكم بشرع الله ونموذج لكل ملك يريد أن يقيم مملكة صالحة مصلحة ثابتة قوية قائمة على العدل.

---

(١) البيضاوي، مرجع سابق، (٤/٣٩٥) بتصرف يسير.

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ٢/١٤٤٤.

## المبحث الثاني: مُلك راشد

ذكر لنا القرآن من أنواع الملك المُلك الراشد وكان النموذج الأمثل في ذلك هو ذو القرنين ملك الدنيا وعمَّرها، وفتح الأمصار وسخر أيامه لبنائها، وهو فاتح الدنيا، وبالغ المشرق والمغرب الملك العظيم، الذي أثنى عليه رب العزة ونوه إليه في مثال الحاكم الصالح.

هو الذين نخرج أهل لكثير من الحكام الذين يترجون على السلطة دون أن يؤمنهم جوع  
غير أو مظلمة ويعلم هوة الحروب وعثق الفتنة ويصلح روع البشر أن يقاء ملكهم هو  
في علمهم وليس في ظلمهم وسرحمة الملك والحكام هو في قريحهم بالأعمال لله ثم خطمة  
شعبهم والعجب في أمره أن يظف بالدنيا، وبلغ المشرق والمغرب، والتي خلد ذكره هو  
للكتب التي كتب الله الخلد وأجل به ملكاً رتداً صلحاً عللاً ضوحاً.

و ذو القرنين ليس اسماً، إنما هو لقبٌ لقب به، ولقد ذكر في سبب تسميته بذو القرنين وجوه منها:

١- أنه دعا إلى طاعة الله فضرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله تعالى فدعا فضرب على قرنه الأيسر فمات، ثم بعثه الله تعالى فسمي ذا القرنين وملك ما ملك، وروى هذا عن علي رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ الأبيحي<sup>(٢)</sup> في تفسيره أنه صح عن علي أنه قال: كان عبداً ناصح الله فناصره ودعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فسمي ذا القرنين<sup>(٣)</sup>، ولكنه لم يذكر لنا وجه الصحة في هذا الخبر.

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ١٠٣/٢ - ١٠٤.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسن بن الحسين الأبيحي الشافعي (٨٣٢ - ٩٠٥ هـ = ١٤٢٩ - ١٥٠٠ م): مفسر، من أهل (إيج) بنواحي شيراز. من كتبه (جامع البيان في تفسير القرآن - ط) ورسالة في (بيان المعاد الجسماني والروح - خ). (انظر: الزركلي، الأعلام، ١٩٥/٦).

(٣) انظر: الأبيحي، السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسن بن الحسين الشافعي، جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١، (باكستان،

وقد رواه الإمام الطبري في روايات متقاربة عن ابن حميد<sup>(١)</sup>.. قال: سأل ابن الكواء<sup>(٢)</sup> علياً عن ذي القرنين، وعن محمد بن بشار<sup>(٣)</sup>... عن أبي الطفيل<sup>(٤)</sup> قال: سئل علي...، وعن محمد بن المثني<sup>(٥)</sup>... عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً وسأله<sup>(٦)</sup>.

وأخرج ابن كثير في البداية والنهاية عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: دعا ملكاً جباراً إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه، ثم دعاه فدق قرنه الثاني فكسره فسمي ذا القرنين<sup>(٧)</sup>!! واختار أبو عبيد هذا الرأي<sup>(٨)</sup>.

٢- وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب أخرجه الزبير بن بكار<sup>(٩)</sup> عن ابن شهاب الزهري<sup>(١٠)</sup> قال: إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها، وقرن الشمس من مطلعها<sup>(١١)</sup>، قال ابن كثير: وهذا أشبه من غيره، وهو قول الزهري<sup>(١٢)</sup> (٢) (٣).

١٣٩٦هـ - ١٩٧٩م، ١/٤٢٥.

(١) هو عبد بغير إضافة بن حميد بن نصر الكشي، بمهملة أبو محمد قيل اسمه عبد الحميد وبذلك جزم بن حبان وغير واحد ثقة حافظ من الحادية عشرة مات سنة تسع وأربعين. (انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص ٥٢٢، ترجمة رقم ٤٢٩٤).

(٢) هو أبو عمرو، عبد الله بن عمرو، وقيل: عبد الله بن محمد، اليشكري، وهو الذي يقال له: (ابن الكواء)، مشهور بصحة علي - رضي الله عنه -، وكان ناسباً، عالماً، من الشيعة، من الثالثة، من رؤوس الخوارج، وقال البخاري: "لم يصح حديثه"، وقد أغفله الشيخ شاكر في تحقيقه "لتفسير الطبري". (الذهبي، ميزان الاعتدال ٤٧٤/٢ وابن حجر، لسان الميزان ٣/٣٢٩ والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري ١/٣٢٠).

(٣) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بندار ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وخمسين وله بضع وثمانون سنة. (انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص ٦٩١، ترجمة رقم: ٥٧٩١).

(٤) هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش المؤذن أبو الطفيل وربما سمي عمراً ولد عام أحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي بكر فمن بعده وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح وهو آخر من مات من الصحابة قاله مسلم وغيره. (انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص ٣٨٤، ترجمة رقم ٣١٢٨).

(٥) هو محمد بن المثني بن عبيد العتري بفتح النون والزاي أبو موسى البصري المعروف بالزمن مشهور بكنيته وباسمه ثقة ثبت من العاشرة وكان هو وبندار فرسي رهان وماتا في سنة واحدة اثنتين وخمسين ومائتين. (ابن حجر، التقريب، ص ٧٤٨، ترجمة رقم ٦٣٠٤).

(٦) الطبري، مرجع سابق، ١٦/٨ - ٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢/١٠٣.

(٨) انظر الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ٩/٣٠٧.

(٩) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدي المدني أبو عبد الله بن أبي بكر قاضي المدينة ثقة أخطأ السليماني في تضعيفه من صغار العاشرة مات سنة ست وخمسين. (ابن حجر، التقريب، ص ٢٥٧، ترجمة رقم ٢٠٠٢).

(١٠) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة خمس وعشرين وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. (ابن حجر، التقريب، ص ٧٥١، ترجمة رقم ٦٣٣٦).

وقال العلامة الألووسي: واستدل لهذا القول بأن القرآن دل على أن الرجل بلغ ملكه إلى أقصى المغرب، وأقصى المشرق، وجهة الشمال، وذلك تمام المعمورة من الأرض<sup>(٤)</sup>.

٣- ونقل صاحب روح البيان<sup>(٥)</sup> عن قصص الأنبياء أن ذا القرنين كان قد رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه سموه به<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام السهيلي<sup>(٧)</sup>: ذكر هذا الخبر علي بن أبي طالب القيرواني العابد في كتاب البستان له<sup>(٨)</sup>.

٤- وقيل: إنه كان في رأسه قرنان كالظلفين، وهو أول من لبس العمامة ليسترهما، وروي ذلك عن عبيد بن يعلي<sup>(٩)</sup>. قال الحافظ بن حجر<sup>(١)</sup>: وهذا أنكره علي<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر فتح الباري، مرجع سابق، كتاب: الجهاد، باب: (قول الله تعالى: يسألونك عن ذي القرنين)، (٦/ ٢٧٢).

(٢) الطبري، مرجع سابق، ١٦/ ٨ - ٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢/ ١٠٣.

(٤) الألووسي، مرجع سابق، (٦/ ٢٥).

(٥) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الاسلامبولي الحنفي الخلوقي، المولى أبو الفداء (٠٠٠ - ١١٢٧ هـ = ٠٠٠ - ١٧١٥ م): متصوف مفسر. تركي مستعرب. ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذى. وعاد إلى بروسة فمات فيها. له كتب عربية وتركية. فمن العربية (روح البيان في تفسير القرآن - ط) أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، و (الرسالة الخليلية - ط) تصوف، و (الأربعون حديثاً - ط) قلت: واقتنيت نسخة من كتاب له، سماه، هو أو ناسخه (الفروقات - خ) في مجلد، ابتدأه بالكلام على قواعد الكتابة العربية، ثم جعله معجماً مرتباً على الحروف، في موضوعات مختلفة، وأتى بعده بباب عنوانه (الفوائد) وختمه بباب في ((الفروق من فنون شتى)). (انظر: الزركلي، الأعلام، ٣١٣/١).

(٦) حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الأستانبولي الحنفي الخلوقي، روح البيان في تفسير القرآن، (دار إحياء التراث)، (٢/ ٥١٢).

(٧) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخنعمي السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ = ١١١٤ - ١١٨٥ م): حافظ، عالم باللغة والسير، ضريب. ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة. ونيغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وهو صاحب الأبيات التي مطلعها: (يامن يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع) من كتبه (الروض الأنف - ط) في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و (تفسير سورة يوسف - خ) في خزنة الرباط (د ١٤٢٧) و (التعريف والأعلام في ما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام - خ) و (الإيضاح والتبيين لما أجهم من تفسير الكتاب المبين). و (نتائج الفكر). (انظر: الزركلي، الأعلام، ٣/ ٣١٣).

(٨) السهيلي، ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخنعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (دار الفكر)، ٢/ ٥٩.

(٩) الألووسي، مرجع سابق، (٦/ ٢٤).

٥- وقيل: كان على رأسه، ما يشبه القرنين.

٦- وقيل: كان له ضفيران (أو غديران) من شعرة تواريهما ثيابه، وقيل: كانتا طويلتين حتى كان يطأ عليهما. قال في مروج الذهب: ومنهم من يرى أنه كان بذؤابتين من الذهب<sup>(٣)</sup>.

٧- وقيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس. روي ذلك عن وهب بن منبه، وذكر أنه قال: كان له قرنان من نحاس. قال ابن كثير: وهذا ضعيف<sup>(٤)</sup>.

٨- وقيل: لأنه دخل النور والظلمة.

٩- وقيل: لأنه عمّر حتى فني في زمنه قرنان من الناس.

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م): من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صريح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - ط) أربعة مجلدات، و (لسان الميزان - ط) ستة أجزاء، تراجم، و (الاحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام - خ) و (ديوان شعر - خ) رأيتها في الاسكوريال (الرقم ٤٤٤) وطبع في الهند، و (الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف - ط) و (ذيل الدرر الكامنة - خ) و (ألقاب الرواة - خ) و (تقريب التهذيب - ط) في أسماء رجال الحديث، و (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة - ط) و (تهذيب التهذيب - ط) في رجال الحديث، اثنا عشر مجلداً، و (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة - ط) و (تعريف أهل التقديس - ط) ويعرف بطبقات المدلسين، و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام -) و (الجمع المؤسس بالمعجم المفهرس - خ) جزآن، أسانيد وكتب، و (تحفة أهل الحديث عن شيوخ الحديث - خ) ثلاثة مجلدات، و (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر - ط) في اصطلاح الحديث، و (المجالس - خ) بخط البقاعي ١٩٣ مجلساً، قال الميمني (في مذكراته - خ): نسخة جليلة مهمة نادرة، و (القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد - ط) و (ديوان خطب - ط) و (تسديد القوس في مختصر الفردوس للدلي - خ) ستة مجلدات، تنقص الثالث، و (تبصير المنتبه في تحرير المشتبه - ط) في أربعة أجزاء، و (رفع الاصر عن قضاة مصر - ط) و (إنباء الغمر بأبناء العمر - ط) في مجلدين ضخمين، و (إنحاف المهرة بأطراف العشرة - خ) حديث و (الأعلام في من ولي مصر في الإسلام - خ) و (نزهة الألباب في الألقاب - خ) منه نسخة نفيسة في جامعة الرياض (٥٤ ورقة الرقم ٥٢) كما في مذكرات الميمني - خ، و (الديباجة - ط) في الحديث، و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ط) و (التلخيص الخبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - ط) و (بلوغ المرام من أدلة الاحكام - ط) مع شرحه (سبل السلام في شرح بلوغ المرام - ط) لمحمد بن إسماعيل الأمير، و (تغليق التعليق - خ) ستة أجزاء منه، في الحديث. وتلميذه السخاوي كتاب في ترجمته سماه (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) في مجلد ضخيم. (الزركلي، الأعلام، ١/١٧٨-١٧٩).

(٢) ابن حجر، مرجع سابق، كتاب: الجهاد، باب: (قول الله تعالى: يسألونك عن ذي القرنين)، (٦/٢٧٢).

(٣) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الأندلس)، ص ٢٨٨.

(٤) انظر: قول ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢/١٠٣).



١٠- وقيل: لأنه ملك فارس والروم.

١١- وقيل: لأنه سخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتمتد الظلمة من ورائه.

١٢- وقيل: كان لتاجه قرنان.

١٣- ويجوز أن يكون قد لقب بذلك لشجاعته، كأنه ينطح أقرانه كما لقب (أزدشير بهممن) بطويل اليدين، لنفوذ أمره حيث أراد<sup>(١)</sup>.

وهناك أوجه أخرى في سبب لقب ذي القرنين، وهذه الأوجه وغيرها فيها ما لا يكاد يصح، وما لا يقنع، وما لا يصدق، ويمكن أن تخصى الأسباب في واحد من الوجوه التالية:

\* إما لبلوغه المشرق والمغرب.

\* أنه ملك مدة قرنين.

\* أو أنه كان له تاج ذو قرنين.

\* أو أنه كانت له ضفيرتان، وكل ضفيرة من ضفائر الشعر كما يقول ابن الأثير قرن<sup>(٢)</sup>.

وذكر الله تعالى ذا القرنين وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيها بالعدالة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾<sup>(٤)</sup> والتمكين خصلة ملازمة للملك القوي، وفي قوله ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ بيان مدى ما وصل إليه

(١) انظر: قول ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢/١٠٣).

(٢) ابن الأثير، مجد الدين بن أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمد محمد الطناحي، (دار إحياء الكتب العربية)، ٥١ / ٤.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/١٠٣).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

ذو القرنين من اقتدار وتسخير لأسباب الأرض، وإضافة التمكين لله تعالى مع إجمال الأسباب التي توصل بها ذو القرنين إلى ما وصل إليه من العز والسلطان، توجيهاً للإنسان كي لا يغتر فيتكبر، لأن الإنسان ذو قوة محدودة، وعمر محدود، وقدرات محدودة، ليس بإمكانه أن يفعل ما يشاء، ويملك ما يريد، وحدوث مثل ذلك الأمر لا يكون إلا بإرادة وقوة من الله تعالى.

كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال جل وعلا: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> فلم يكن جميع ملكه وسلطانه إلا بتمكين الله إياه في جزء من الأرض، والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم، وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غيرة من تلك المدرة، ثم تلك الغيرة أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف أقوال العلماء حول هذه الأسباب التي أوتيتها ذا القرنين حتى تمكن من فتح بلاد الأرض وبلوغ المشرق والمغرب، وهذا تبع لاختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ و ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

«والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها، فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزراد ما يكفيه ويعينه على أهل الإقليم الآخر»<sup>(٥)</sup>.

واختلف العلماء أيضاً في من هو ذو القرنين هل هو الإسكندر المقدوني أم غيره<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الكهف: ٨٤.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة)، ٣٠٥ / ٤ .

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠٣ / ٢ و ١٠٦. والطبري، مرجع سابق، ١٦ / ١٧. وأبو حيان، مرجع سابق، ٦ /

١٥٩، الألويسي، مرجع سابق، ١٦ / ٣٠.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢ / ١٠٧.

(٦) يرجع إلى: أبي حيان، مرجع سابق، (٦ / ١٥٨ و ٤٤٥). والألويسي، مرجع سابق، (٢ / ٢٦). وأبي السعود، مرجع سابق، (٥ /

٢٣٩). والأبيجي، مرجع سابق، (١ / ٤٢٥)، والخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن للأستاذ (القاهرة: مطبعة السنة

المحمدية)، ٨ / ٧٠٠، صفوة التفاسير، ط ٤، (بيروت: دار القرآن الكريم، سنة ١٤٠٢هـ)، ٢ / ٢٠٤، وابن منظور، مرجع سابق،

(١٣ / ٢٣٣)، والحموي، مرجع سابق، (١ / ١٨٣ و ١٨٤)، وعز الدين بن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد،

اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠-١٩٨٠م)، ١ / ٤٦، وابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢ /

١٠٥)، والمقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (المطبعة الأميرية سنة

واختلفوا أيضاً في الفترة الزمنية التي عاشها ذو القرنين<sup>(١)</sup> وهذا الخلاف ليس على بضع سنين أو بضع عشر سنوات بل إنها بالملئات وربما الألوف وإذا ذكرت هذه الاختلافات لطلال بنا المقام ولكن في هذه الرسالة أريد أن أتحدث عن ذي القرنين من خلال القرآن وفق المنهج الموضوعي الذي أتناول فيه آيات القرآن التي ذكرت هذا الملك الصالح، الذي هو عنوان للملك الراشد وأني لا أستغرب عندما لا أجد إلا أحاديث قليلة تتعلق بذي القرنين، ذلك أن القصة القرآنية عنه قد حققت هدفها، وأعطيت مغزى كاملاً للصحابة رضوان الله عليهم كما أن اليهود والكفار الذين امتحنوا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا السؤال لم يعودوا بأي استفسار آخر عنه، بعد أن تجلّت لهم الحقيقة كاملة.

ذو القرنين الذي ذكره الله -عز وجل- في كتابه، وأثنى عليه بالإيمان والإصلاح والعدل في سورة قرآنية عظيمة، وآيات إعجازية جليّة، وقصة تاريخية نادرة، مليئة بالدروس والعبر إنه علم قرآني بارز، خلّد الله تعالى ذكره في كتابه الخالد، ولم أر من أعطى شخصية ذي القرنين حقها في التاريخ مثلما أعطى لها الله -عز وجل- في كتابه العظيم.

وسيمر بنا تفسير الآيات الواردة لشأنه، وما تحمله من إعجاز وبلاغة إنه ذو القرنين كما صورته القرآن وحسب، ذلك العلم البارز في العدل والإصلاح والقيادة ومثال للملك الراشد على مر التاريخ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بشهادة الكتاب الخالد.

\* قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبَعِ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا \*

(١٢٧٠هـ)، ١/١٥٣، الحمودي الحسني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،

(طبعة روما)، ص ١٠٣، والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق، (١/٣١٨) وغيرها.

(١) يرجع إلى: الزنجشيري، مرجع سابق، (١/٥٧٨)، وأبي حيان، مرجع سابق، (٦/١٥٨)، والألوسي، مرجع سابق، (٦/٢٥)،

(٢٩)، والنسفي، مرجع سابق، (٣/١٤٣)، وإسماعيل حقي، مرجع سابق، (٢/٧١٢)، وابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق،

(٢/١٠٣ و١٠٨) وغيرها.

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا \* ثُمَّ أَنْبَعَ سَبِيًّا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيًّا \* كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا \* ثُمَّ أَنْبَعَ سَبِيًّا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \* قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا \* آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا \* فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا \* قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١﴾.

\* قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ أكثر الآثار تدل على أن الآية نزلت عند سؤال اليهود؛ فالتعبير بصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة الماضية لما أن في سؤالهم على ذلك الوجه مع مشاهدتهم من أمره صلى الله عليه وسلم ما شاهدوا نوع غرابة. وقيل للدلالة على استمرارهم على السؤال إلى ورود الجواب<sup>(٢)</sup>.

وبعض الآثار تدل على أن الآية نزلت قبل؛ فعن عقبة بن عامر قال: إن نفراً من أهل الكتاب جاؤوا بالصحف أو الكتب فقالوا لي: استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لندخل عليه، فانصرفت إليه صلى الله عليه وسلم فأخبرته بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم: مالي ولهم، ويسألوني عما لا أعلم إنما أنا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي، ثم قال: ائتني بوضوء أتوضأ به. فأتته فتوضأ، ثم قام إلى مسجد في بيته، فركع ركعتين، فانصرف حتى بدأ السرور في وجهه ثم قال: اذهب فأدخلهم ومن وجدت بالباب من أصحابي. فأدخلتهم فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن شئتم أخبرتكم بما

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٣-٩٨.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ١٦ / ٢٤.

سألتموني عنه وإن شئتم غير ذلك فافعلوا<sup>(١)</sup>، والجمهور على الأول ولم تثبت صحة هذا الخبر<sup>(٢)</sup>.

ثم إن السؤال ليس عن ذي القرنين، بل عن شأنه، فكأنه قيل: ويسألونك عن شأن ذي القرنين<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿قُلْ﴾: لهم في الجواب.

\* ﴿سَأْتَلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: الخطاب للسائلين، والهاء لذي القرنين، ومن تبعيضية والمراد: من أنبأه وقصصه. والمراد بالتلاوة الذكر، وعبر عنه بذلك لكونه حكاية عن جهة الله - عز وجل - أي: سأذكر لكم نبأ مذكور من أنبأه<sup>(٤)</sup>.  
ذكرًا: قرآنًا.

\* ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ قبل أن نتكلم عن تفسير هذه الآية نتكلم عن الخلاف الذي وقع بين العلماء في وظيفة ذي القرنين فقد ذهب العلماء في هذا إلى عدة وجوه:

١- القول بنبوته: قيل: إن ذا القرنين كان نبياً، وقيل: رسولا<sup>(٥)</sup> وذكر الإمام القرطبي قولاً أيضاً بأنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض<sup>(٦)</sup>.

وروي القول بنبوته أبو الشيخ<sup>(٧)</sup> في (العظمة)<sup>(١)</sup> عن أبي الوراق<sup>(٢)</sup> عن علي رضي الله عنه، وإلى هذا الرأي ذهب الضحاك<sup>(٣)</sup>، والثعلبي<sup>(٤)</sup>، وأخرج ابن مردويه<sup>(٥)</sup> وابن أبي

(١) لم أشر عليه في تداولين كتب السنة والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢) الألويسي، مرجع سابق، ٢٤ / ١٦.

(٣) مرجع سابق، ٣٠ / ١٦.

(٤) ويجوز أن يكون الضمير له تعالى، ومن ابتدائية ولا حذف والتلاوة على ظاهرها أى سألوا عليكم من جهته سبحانه وتعالى شأنه. مرجع سابق، ٤٠ / ١٦.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠٣ / ١.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٤٦ / ١١.

(٧) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصهباني، أبو محمد الحبابي (٢٧٤ - ٣٦٩ هـ = ٨٨٧ - ٩٧٩ م): من حفاظ الحديث، العلماء برحاله. يقال له أبو الشيخ. ونسبته إلى جده حبان. له تصانيف، منها "طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها - خ" ثلاثة أجزاء، في الظاهرية، و"أخلاق النبي وآدابه - ط" و"ذكر الأقران وروايتهم عن بعضهم بعضاً - خ" جزء صغير ناقص الآخر، في دار الكتب، و"الأمثال - خ" في الأمير وزيانة و"العظمة - خ" رسالة في التاريخ، و"كتاب السنة". (الزركلي، الأعلام، ١٢٠ / ٤).

حاتم<sup>(٦)</sup> عن عبد الله بن عمرو قال: ذو القرنين نبي<sup>(٧)</sup>، قال الحافظ ابن حجر: وعليه ظاهر القرآن<sup>(٨)</sup> ونقل عن ابن منبه قوله: لقيت عامة من العلماء كانوا يزعمون أن لقمان وذا القرنين ودانيال أنبياء غير مرسلين وعامة يقولون عباد صالحون<sup>(٩)</sup>.

واحتج من قال بنبوته بوجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ القول الذي نحن بصدد تفسيره وحمل على التمكين في الدنيا، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة<sup>(١٠)</sup>.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ وهذا يدل على أنه تعالى آتاه من النبوة سبباً<sup>(١١)</sup>، قال الإمام الرازي: إن الذين قالوا إنه كان نبياً قالوا: من جملة الأشياء: النبوة فهذه الآية تدل على أنه تعالى أعطاه الطريق الذي به يتوصل إلى تفصيل النبوة<sup>(١٢)</sup>.

(١) أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر، العظمة، تحقيق: رضا الله بن محمد بن إدريس، ط ١، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨)، ١٤٤٩/٤.

(٢) هو فائد بن عبد الرحمن الكوفي أبو الوراق العطار متروك أهموه من صغار الخامسة بقي إلى حدود الستين. (ابن حجر، التقريب، ص ٦٤٩، ترجمة رقم ٥٤٠٨).

(٣) الألويسي، مرجع سابق، ٤٠/١٦.

(٤) قال الإمام الثعلبي في قصص القرآن (عرائس المجالس): والصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مرسل، انظر: الثعلبي، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، عرائس المجالس، (بيروت: المكتبة الثقافية)، ص ٣٢٤.

(٥) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير (٣٢٣ - ٤١٠ هـ = ٩٣٥ - ١٠١٩ م): حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصفهان، له كتاب (التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) و (مسند) و (مستخرج) في الحديث، وله (أمال - خ) أوراق منه في الظاهرية. (انظر الزركلي، الأعلام، ١/٢٦١).

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ = ٨٥٤ - ٩٣٨ م): حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبتة. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير) عدة مجلدات، منها جزآن مخطوطان، و (الرد على الجهمية) كبير، و (علل الحديث - ط) جزآن، و (المسند) كبير، و (الكنى) و (الفوائد الكبرى) و (المراسيل - ط) و (تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل - خ) في دار الكتب (٩٠ مصطلح) و (زهد الثمانية من التابعين - خ) في الظاهرية. و (آداب الشافعي ومناقبه - ط) و (بيان خطأ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه - ط). (انظر: الزركلي، الأعلام، ٣/٣٢٤).

(٧) الشوكاني، مرجع سابق، ٣/٣١٠.

(٨) ابن حجر، مرجع سابق، كتاب: الجهاد، باب: (قول الله تعالى: يسألونك عن ذي القرنين)، ٦/٢٧١.

(٩) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق نبيه أمين فارس، (بيروت: دار العودة)، ٨/١٨٤.

(١٠) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٢١/١٦٥. وانظر مثاله الشريبي، مرجع سابق، ٢/٣٢٨.

(١١) الرازي، مرجع سابق، ٢١/١٦٥. والشريبي، مرجع سابق، ٢/٢٣٨.

(١٢) الرازي، مرجع سابق، ٢١/١٦٥.

الثالث: قوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ والذي يتكلم الله معه لا بد أن يكون نبياً<sup>(١)</sup>.

الرابع: كونه مأموراً بالقتال معهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله....»<sup>(٢)</sup> كما في التأويلات<sup>(٣)</sup>.

إلا أن العلامة القاسمي<sup>(٤)</sup> رد على الأدلة التي أوردها الإمام الرازي قائلاً: لا يخفى ضعف الاستدلال بهذه الأدلة على نبوته، لأن مقام إثباته يحتاج إلى تنصيص وتخصيص وأما تعمق الجري وراء العمومات لاستفادة مثل ذلك فغير مقنع<sup>(٥)</sup>. قال:

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ كناية عن تمكينه تعالى له منهم، لا أنه قوله مشافهة، وإلا لو كان ذلك مخيراً منه تعالى وملقنا ما يفعل بهم. فأنى يسوغ له نقضه باجتهاد آخر؟ ولا يقال إن الأصل في الإطلاق الحقيقة، لأننا نقول به ما لم يمنع منه مانع من نحو ما ذكرناه وللتزليل الكريم أسلوب خاص، عرفه من أنعم النظر في بديع بيانه. نعم، لو كان مراد القائل بنبوته أنه من الملهمين ذهاباً في النبوة إلى المعنى الأعم من الإيحاء بشرع

(١) الرازي، مرجع سابق، ١٦٥/٢١ والشريبي، مرجع سابق، ٢٣٨/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، ص ١٧١، رقم الحديث ٣٩٢.

(٣) إسماعيل حقي، مرجع سابق، ٥١٤/٢.

(٤) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ =

١٨٦٦ - ١٩١٤ م): إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق.

كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. اتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ) ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة. ولما عاد أتمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣ هـ) وسأته، فرد التهمة فأخلى سبيله، واعتذر إليه وإلي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب.

ونشر بحوثاً كثيرة في المجالات والصحف. اطلعت له على اثنين وسبعين مصنفاً، منها (الائتلاف التوحيد - ط) و (ديوان خطب - ط) و (الفتوى في الإسلام - ط) و (إرشاد الخلق إلى العمل بخير البرق - ط) و (شرح لقطعة العجلان - ط) و (نقد النصائح الكافية - ط) و (مذاهب الإعراب وفلاسفة الإسلام في الجن - ط) و (موعظة المؤمنين - ط) اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، و (شرف الاسباط - ط) و (تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب - ط) و (جوامع الآداب في أخلاق الانجاس - ط) و (إصلاح المساجد من البدع والعوائد - ط) و (تعطير المشام في مآثر دمشق الشام - خ) أربعة مجلدات، و (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - ط) و (محاسن التأويل - ط) في ١٧ مجلداً في تفسير القرآن الكريم. ولابنه الأستاذ ظافر القاسمي، كتاب (جمال الدين القاسمي وعصره - ط). (الزركلي، الأعلام، ١٣٥/٢).

(٥) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ط ٢، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ٤١١٠/١١.

أو من الإلهام لكان قريباً، فتكون من القسم الثاني وهو الإلهام، ويطلق الصوفية على مثله الوارد. وإطلاق النبوة عليه، وإن كان محظوراً في الإسلام، إلا أنه كان معروفاً قبله في العباد الأخيار<sup>(١)</sup>.

أما الرد على الدليل الرابع، فقد رد عليه الحدادي بقوله: لا يمكن إثبات نبوة إلا بدليل قطعي<sup>(٢)</sup>.

وعندما ذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان نبياً، وقال عنه إنه كان خارجياً في قومه ولم يكن بأفضلهم نسبا ولا حسبا ولا موضعا، رد عليه النويري بقوله: ولا يكون الأنبياء إلا من أفضل قومهم حسبا وأشرفهم نسباً. قال: وقد يكون هذا النقل لاختلاف الروايات، وما آفة الأخبار إلا رواها<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً أخرج ابن أبي حاتم عن أبي زيد أنه قال: ذو القرنين بلغ السدين وكان نذيراً ولم يسمع بحق أنه كان نبياً، وإلى أنه ليس بنبي ذهب الجمهور<sup>(٤)</sup> وهذا رد آخر على وهب، عندما قال: إن عامة من العلماء ذهبوا إلى كونه نبياً!<sup>(٥)</sup>

## ٢- القول بأنه ملك:

وأغرب مما سبق من قال بأنه ملك من الملائكة.

وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين! فقال مه، ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة! ذكره السهيلي<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع سابق، ١١/٤١١٠.

(٢) إسماعيل حقي، مرجع سابق، ٢/٥١٤.

(٣) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م)، ١٤/٢٩٩.

(٤) الألوسي، مرجع سابق، ١٦/٣٠.

(٥) القرمان، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، (بغداد: ١٢٨٢هـ)، ص ٢٣٠.

(٦) ابن كثير، مرجع سابق، البداية والنهاية.



والغريب أن الإمام القرطبي ذكر أنه قد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل قول عمر<sup>(١)</sup> كما أن ذلك روي عن جبير بن نفير أيضاً<sup>(٢)</sup>.

إلا أن العلامة الألوسي علق على الخبر الذي روي عن عمر رضي الله تعالى عنه بقوله: هذا قول غريب، بل لا يكاد يصح، والخبر على فرض صحته ليس نصاً في ذلك، إذ يحتمل ولو على بعد، أن يكون المراد أن هذا الاسم من أسماء الملائكة عليهم، فلا تسموا به أنتم، وإن تسمى به بعض من قبلكم من الناس<sup>(٣)</sup>.

٣- عبد صالح: ويعارض ما ذكر سابقاً ما أخرجه ابن عبد الحكم<sup>(٤)</sup> في فتوح مصر وابن المنذر<sup>(٥)</sup> وابن أبي حاتم وابن الأنباري<sup>(٦)</sup> في المصاحف، وابن أبي عاصم<sup>(٧)</sup> في السنة، أن ابن الكواء سأل علياً رضي الله عنه عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ قال: (لم يكن

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٤٦/١١.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٢٤/١٦.

(٣) المرجع السابق، ٢٤/١٦.

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم (٥٥٠ - ٢٥٧ هـ = ١١٠٠ - ٨٧١ م): مؤرخ، من أهل العلم بالحديث. مصري المولد والوفاء. من كتبه (فتوح مصر والمغرب والاندلس - ط) وهو ابن (عبد الله) الفقيه صاحب سيرة (عمر بن عبد العزيز). (الزركلي، الأعلام، ٣/٣١٣).

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر (٢٤٢ - ٣١٩ هـ = ٨٥٦ - ٩٣١ م): فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها. منها "المبسوط" في الفقه، و"الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف - خ" و"الإشراف على مذاهب أهل العلم - خ" الجزء الثالث منه، فقه، و"اختلاف العلماء - خ" الأول منه و"تفسير القرآن - خ" كبير، وغير ذلك، توفي بمكة. (الزركلي، الأعلام، ٥/٢٩٥).

(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (٢٧١ - ٣٢٨ هـ = ٨٨٤ - ٩٤٠ م): من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد. وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. من كتبه (الزاهر - خ) في اللغة، و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - ط) و(إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل - ط) و(الهآت - خ) و(عجائب علوم القرآن - خ) و(شرح الألفات - ط) رسالة نشرت في مجلة المجمع بدمشق، و(خلق الإنسان) و(الأمثال) و(الأضداد - ط) وأجل كتبه (غريب الحديث) قيل إنه ٤٥٠٠٠ ورقة.

وله (الأمالي) اطلعت على قطعة منها كتبت في المدرسة النظامية، وعليها خط الحافظ عبد العزيز ابن الأخضر، سنة ٦٠٩ هـ. (الزركلي، الأعلام، ٦/٣٣٥-٣٣٦).

(٧) هو أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم، ويقال له ابن النبيل (٢٠٦ - ٢٨٧ هـ = ٨٢٢ - ٩٠٠ م): عالم بالحديث، زاهد رحالة، من أهل البصرة. ولي قضاء أصبهان سنة ٢٦٩ - ٢٨٢ هـ نحو ٣٠٠ مصنف، منها (المسند الكبير) نحو ٥٠ ألف حديث، و(الأحاديث والمثاني) نحو ٢٠ ألف حديث، وكتاب (السنة) و(الدييات - ط) و(الأوائل - خ) قيل: ذهب كتبه بالبصرة في فتنه الزنج فأعاد من حفظه خمسين ألف حديث! وقال الذهبي: وقع لنا جملة من كتبه. (الزركلي، الأعلام، ١/١٨٩).

نبيا ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله تعالى فأحبه، ونصح الله تعالى فنصحته<sup>(١)</sup>. وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه أيضاً<sup>(٢)</sup>. وعن عكرمة<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس قال: كان ذو القرنين ملكاً صالحاً رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه وكان منصوراً<sup>(٤)</sup>. قال الإمام السهيلي: هذا أصح ما جاء في ذلك<sup>(٥)</sup>. قال ابن حجر: وعليه الأكثر، وقد تقدم من حديث علي ما يومئ إلى ذلك<sup>(٦)</sup>.

٤- التوقف: توقف بعض العلماء لما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup> وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أدري أتبع كان لعيناً أم لا، وما أدري أذو القرنين كان نبياً أم لا، وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا»<sup>(٩)</sup>.

وربما يكون هذا الحديث منسوخاً بأحاديث شريفة أخرى. فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه في مجلس: «تبايعوني ألا تشرکوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا

(١) الألويسي، مرجع سابق، ٣٠/٢، والشوكاني، مرجع سابق، ٣/٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢/١٠٤.

(٣) هو عكرمة أبو عبد الله مولى بن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بال تفسير لم يثبت تكذيبه عن بن عمر ابن ثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة سبع ومائة وقيل بعد ذلك. (ابن حجر، التقریب، ص ٥٧٠، ترجمة رقم ٤٧٠٧).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢/١٠٣.

(٥) السهيلي، مرجع سابق، ٢/٥٩.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب: الجهاد، باب: (قول الله تعالى: يسألونك عن ذي القرنين)، ٦/٢٧٢.

(٧) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله (٣٢١ -

٤٠٥ هـ - ٩٣٣ - ١٠١٤ م): من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجمال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع. وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساکر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء. منها (تاريخ نيسابور - خ) قال فيه السبكي: وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها، و (المستدرک علی الصحیحین - ط) أربعة مجلدات، و (الاکلیل) و (المدخل - ط) في أصول الحديث، و (تراجم الشيوخ) و (الصحیح) في الحديث، و (فضائل الشافعي) و (تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم - خ) و (معرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه) المطبوع باسم (معرفة علوم الحديث) (١). (انظر: الزركلي، الأعلام، ٦/٢٢٧).

(٨) (المستدرک علی الصحیحین، المؤلف: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة

الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ - ١٩٩٠)، ٢/٤٨٨، حديث رقم: ٣٦٨٢، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٩) الألويسي، مرجع سابق، ١٩/٣٠ - ٣١.

تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه». زاد عبادة بن الصامت في رواية: «فبايعناه على ذلك». رواه الخمسة إلا أبا داود<sup>(١)</sup> (٢).

قال صاحب التاج: «فهو كفارة له»، صريح في أن الحدود مكفرات لا زاجرات وفي رواية الترمذي: «ومن أصاب من ذلك فعوقب في الدنيا فالله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده في الآخرة»<sup>(٣)</sup> وعلى هذا الجمهور، وقال بعضهم: إنها زاجرات فقط وعليه العقاب في الآخرة. والنفس إلى الأول أميل فإنه هو الأليق بالكرم الإلهي<sup>(٤)</sup>.

فقد ثبت إسلام تبع بهذا الحديث، وقال قتادة: إن كعباً يقول في تبع الرجل الصالح وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: (لا تسبوا تبعاً قد كان رجلاً صالحاً)، والله أعلم<sup>(٥)</sup>. ونرى أن الإمام الثعلبي لم يتأكد من صحة الحديث، ولو صح عنده لما كان منسوخاً فهو يقول: لو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلفاً<sup>(٦)</sup>!

ونرى أن الأستاذ سيد قطب توقف أيضاً لدى تفسيره قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾، قال: كيف قال الله تعالى هذا القول لذي القرنين؟ أكان ذلك وحياً إليه أم أنه حكاية حال؟.. قال: كلا القولين ممكن، ولا مانع من فهم النص على هذا الوجه أو ذاك<sup>(٧)</sup>.

(١) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، المحتجى من السنن، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط ٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، (١٤١/٧)، كتاب: (البيعة)، باب: (البيعة على الجهاد)، حديث رقم: (٤١٦١).

(٢) ناصف، منصور علي، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ط ٤، ٣٧/٢.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، (٤/٤٥)، كتاب: (الحدود)، باب: (أن الحدود كفارة لأهلها)، حديث رقم: (١٤٣٩).

(٤) ناصف، مرجع سابق، ٣٨/٣ الهامش.

(٥) التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٠٢، الهامش.

(٦) الثعلبي، عرائس المجالس، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٧) سيد قطب، مرجع سابق، ٢٢٩١/٤.

والأقرب للصواب هو ما ذكر قبل قليل أنه كان عبداً صالحاً، أتاه الله بسطة في الملك والسلطان، وقد رأيت آثاراً متعددة عن السلف الصالح تذكر هذا، فهي تعضد بعضها بعضاً وقد مر أن الأكثر على هذا والله أعلم.

وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي وكثرة الجنود والهيبة والوقار<sup>(١)</sup>.

\* ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: أرادته من مهمات ملكه ومقاصده المعلقة بسلطانه<sup>(٢)</sup>.

\* ﴿سَبَبًا﴾: أي علماً<sup>(٣)</sup>.

وقال العلامة الألوسي: هو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة لا العلم فقط، وإن وقع الاقتصار عليه في بعض الآثار. وفي الكلام مضاف مقدر، أي من أسباب كل شيء، والمراد بذلك الأسباب العادية، واستدل بعض من قال بنبوته بالآية كما بينا ذلك وليس بشيء كما لا يخفى ذلك<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿فَاتَّبَعُ﴾: التقدير فأراد بلوغ المغرب فأتبع<sup>(٥)</sup>.

ومنهم من قرأها بالقطع، ومنهم من قرأها بالوصل، و (اتبع) بالوصل في السير، و (أتبع) بالقطع معناه اللحاق كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾<sup>(٦)</sup> و (أتبع) بالقطع للمُجد المسرع الحثيث الطلب، و (اتبع) بالوصل إنما يتضمن مجرد الانتقال والافتقار<sup>(٧)</sup>.  
والحق في هذا أن تبع واتبع واتبع لغات بمعنى واحد، وهو بمعنى السير<sup>(٨)</sup>.

(١) الألوسي، مرجع سابق، ٣٠/١٦.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/١٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٨٦/٥.

(٤) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/١٦.

(٥) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/١٦.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٠.

(٧) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/١٦.

(٨) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٠٨/٣.

\* ﴿سَبَّأً﴾: أي منزلاً وطريقاً<sup>(١)</sup> يوصله إليه<sup>(٢)</sup>، وأصل السبب الحبل، فاستعين لكل ما يتوصل به إلى شيء<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: يقول الأستاذ سيد قطب: ومغرب الشمس هو المكان الذي يرى الرائي أن الشمس تغرب عنده وراء الأفق، وهو يختلف بالنسبة للمواقع فبعض المواقع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار. وفي بعض المواقع يرى أنها تغرب في الرمال إذا كان في صحراء مكشوفة على مد البصر<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿وَجَدَهَا﴾: أي الشمس.

\* ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي ذات حمأة. وهي الطين الأسود من حممت البئر تحماً حمأً إذا كثرت حمأتها<sup>(٥)</sup> أي رائي الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه<sup>(٦)</sup>.

والمراد وجدها تغرب في نظر العين كذلك، إذ لم ير هناك إلا الماء لأنها كذلك حقيقة وهذا كما أن راكب البحر يراها كأنها تطلع من البحر وتغيب فيه إذا لم ير الشط. والذي في أرض ملساء يراها أيضاً كأنها تطلع من الأرض وتغيب فيها، ولا يرد على هذا أنه عبر بـ (وجد)، والوجدان يدل على الوجود، لما أن وجد بمعنى رأى<sup>(٧)</sup>.

ثم أن المراد بالعين الحمئة إما عين في البحر أو البحر نفسه وتسميته عيناً مما لا بأس به خصوصاً وهو بالنسبة لعظمة الله تعالى كقطرة وإن عظم عندنا<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن كثير، القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٨٧/٥.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/١٦.

(٣) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٠٨/٣.

(٤) سيد قطب، مرجع سابق، ٢٢٩١/٤.

(٥) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/٢.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٨٧/٥.

(٧) الألوسي، مرجع سابق، ٣٢/١٦، «و لم يقل أحد بأن الشمس تغيب في مكان معين من الأرض، وإلا فقد علم أن الأرض كرة والسماء محيط بها والشمس بها في الفلك، وجلس قوم في قرب الشمس غير موجود، والشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض» إسماعيل حقي، مرجع سابق، ٥١٤/٢.

(٨) الألوسي، مرجع سابق، ٣٢/٢، إلا أن الإمام ابن حزم الظاهري يختلف في هذا الرأي، انظر قوله ورأيه هذا في ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت: دار المعرفة)، ١٠١/٢ - ١٠٢.

\* ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾: أي عند تلك العين على الساحل المتصل بها<sup>(١)</sup>.

\* ﴿قَوْمًا﴾: أي أمة من الأمم، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم<sup>(٢)</sup>. لباسهم على ما قيل جلود السباع وطعامهم ما لفظ البحر<sup>(٣)</sup>.

﴿قُلْنَا﴾: اختلف العلماء هنا فهل يعني هذا «القول» أنه كان وحيا أم إلهاما أم عن طريق نبي؟ وقد حققنا هذا بالتفصيل وقد وصلنا إلى أنه ملك صالح والله تعالى أعلم.

﴿يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ﴾: بالقتل من أول الأمر<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: أي أمراً إذا حسن على حذف المضاف وذلك بالدعوة إلى الحق والإرشاد إلى ما فيه الفوز بالدرجات. وقدم التعذيب لأنه الذي يستحقونه في الحال لكفرهم، وفي التعبير بـ ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ دون إِمَّا أَنْ تدعوهم مثلاً، إيماء إلى ترجيح الشق الثاني<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام الطبري: المراد من اتخاذ الحسن الأسر؛ فيكون قد خير القوم بين القتل والأسر والمعنى: إما أن تعذب بالقتل، وإما أن تحسن إليهم بإبقاء الروح والأسر<sup>(٦)</sup> واتخاذ الحسن بالأسر، لأنه بالنظر إلى القتل إحسان<sup>(٧)</sup>.

ويجوز حمل: ﴿وَإِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ﴾ على التوزيع دون التغيير، والمعنى على ما قيل: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان، فالأول لمن بقي على حاله، والثاني لمن تاب فتأمل<sup>(٨)</sup>.

(١) الشريبي، مرجع سابق، ٣٢٩/٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٨٩/٥.

(٣) الألوسي، مرجع سابق، ٣٣/٦، وقد ورد قول أبي زيد السهيلي وابن جريج أنهم قوم من نسل نمود كانوا يسكنون (جابر سا) انظر الألوسي، مرجع سابق، ٣٣/١٦ - ٣٤ وهذا خطأ. فإن (جابر سا) مدينة بأقصى الشرق والتي في أقصى المغرب هي (جابلي) أو (جابرص) ولما بايع الحسن معاوية رضي الله عنهما صلحا بين المسلمين خطب (... أيها الناس إنكم لو نظرتم ما بين جابر سا وجابلق الحموي، مرجع سابق، ٩٠ - ٩١.

(٤) الألوسي، مرجع سابق، ٣٤/١٦.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق، ٣٥/١٦.

(٧) النسفي، مرجع سابق، ١٤٥/٣.

(٨) الألوسي، مرجع سابق، ٣٥/١٦.

\* **﴿قَالَ﴾**: ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعد أن تلقى أمره تعالى (١).

\* **﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾**: نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم (٢) واستمر على كفره وشركه بربه (٣). وذكر الإمام الرازي أن المراد بالظلم هو الإقامة على الكفر لأنه ذكر في مقابلته **﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾** (٤).

\* **﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾**: قال قتادة: بالقتل (٥)، وأتى بنون العظمة على عادة الملوك وإسناد التعذيب إليه لأنه السبب الأمر (٦).

\* **﴿يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾**: في الآخرة وفي قوله **﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾** دون إليك دلالة على أن الخطاب السابق لم يكن بطريق الوحي إليه، وإن مقاولته كانت مع النبي أو خواصه (٧).  
\* **﴿فِيُعَذِّبُهُ﴾**: فيها.

\* **﴿عَذَابًا نُّكَرًا﴾**: أي منكرًا فظيعاً، وهو العذاب في نار جهنم (٨)، وفيه إثبات المعاد والجزاء (٩).

\* **﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ﴾**: أي تابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له (١٠).

**﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**: عملاً حسبما يقتضيه الإيمان.

\* **﴿فَلَهُ﴾**: في الدارين.

(١) الألويسي، مرجع سابق، ٣٤ / ١٦.

(٢) الألويسي، مرجع سابق، ٣٤ / ١٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٨٩ / ٥.

(٤) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٨٩ / ٢١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٨٩ / ٥.

(٦) الألويسي، مرجع سابق، ٣٤ / ١٦.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

(٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٩٠ / ٥.

(١٠) المرجع السابق.

\* ﴿جَزَاءَ الْحُسْنَى﴾: أي فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى أو الجنة جزاء.

\* ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾: قال الإمام النسفي: بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك<sup>(١)</sup>. قال أبو حيان في تفسيره: وما أحسن مجيء هذه الجملة لما ذكر ما يستحقه من ظلم بما يلحقه آخراً يوم القيامة، وهو تعذيب الله إياه العذاب النكر، لأن الترتيب الواقع هو كذا. ولما ذكر ما يستحقه من آمن وعمل صالحاً، وذكر جزاء الله له في الآخرة وهو الحسنى أي الجنة، لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حملة على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا، ثم تبع ذلك بإحسانه له في الدنيا: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، أي لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه، أي قولاً ذا يسر وسهولة، كما قال قولاً ميسوراً. ولما ذكر ما أعده الله له من الحسنى جزاء، لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل، بل اقتصر على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه قولاً وفعلاً<sup>(٢)</sup>.

\* ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي طريقاً راجعاً من مغرب الشمس موصلاً إلى مشرقها<sup>(٣)</sup>، وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله - عز وجل -، فإن أطاعوه، وإلا أذلمهم وأرغم آنافهم، واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه على أهل الإقليم المتأخم لهم<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: يقول الأستاذ سيد قطب: وما قيل عن مغرب الشمس يقال من مطلعها، فالمقصود هو مطلعها في الأفق الشرقي في عين الرائي. والقرآن لم يحدد المكان ولكنه وصف طبيعته وحال القوم الذي وجدهم ذو القرنين هناك<sup>(٥)</sup>.

\* ﴿وَجَدَهَا﴾: أي الشمس.

(١) النسفي، مرجع سابق، ١٤٥/٣.

(٢) أبو حيان، مرجع سابق، ١٦٠/٦ بتصرف.

(٣) الألوسي، مرجع سابق، ٣٥ / ١٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٩٠ / ٥.

(٥) سيد قطب، مرجع سابق، ٢٢٩٢ / ٤.



\* ﴿تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾: من اللباس والبناء، يعني ليس لهم لباس يتسترون به من حر الشمس، ولا بناء يستظلون به<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية: والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم، وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم، ولو كانت لهم أسراب لكان ستراً كثيفاً<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الألويسي: ظاهر الآية -لوقوع النكرة فيها في سياق النفي- يقتضي أنهم ليس لهم ما يستترهم أصلاً، وذلك يناهني أن يكون لهم سرب ونحوه. وأجيب بأن ألفاظ العموم لا تتناول الصورة النادرة فالمراد نفي الساتر المتعارف. والسرب ونحوه ليس منه<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿كَذَلِكَ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي أمر ذي القرنين ذلك، والمشار إليه ما وصف به قبل، من بلوغ المغرب والمشرق وما فعله، وفائدة ذلك تعظيمه وتعظيم أمره، أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من الجنود والآلات وأسباب الملك<sup>(٥)</sup>.

\* ﴿خُبْرًا﴾: علماً تعلق بظواهره وخفائيه، ويفيد هذا على الأول زيادة تعظيم الأمر وأنه وراء ما وصف بكثير، مما لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير. وهو على الأخير تأويل لما قاسى في السير إلى أن بلغ، فيكون المعنى: وقد أحطنا بما لاقاه وحصل له في أثناء سيره خبراً. أو تعظيم للسبب الموصل إليه في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ﴾ أي أحطنا بما لديه من الأسباب الموصلة إلى هذا الموضع الشاسع مما لم نؤت غيره<sup>(٦)</sup>.

\* ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب، آخذاً من مطلع الشمس إلى الشمال<sup>(٧)</sup>.

(١) إسماعيل حقي، مرجع سابق، ٥١٥ / ٢.

(٢) ابن عطية، مرجع سابق، ١٦١ / ٦.

(٣) الألويسي، مرجع سابق، ٣٦ / ١٦.

(٤) الألويسي، مرجع سابق، ٣٥ / ١٦.

(٥) الألويسي، مرجع سابق، ٣٦ / ١٦.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر الألويسي، مرجع سابق، ٣٧ / ١٦.

\* ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: أي الجبلين. قال في القاموس: السد: الجبل والحاجز وإطلاق السد عليه لأنه سد فجاً من الأرض<sup>(١)</sup>. والسد بالفتح ما كان من عمل الخلق وبالضم ما كان من خلق الله، لأن فعل بمعنى مفعول، أي هو مما فعله الله وخلقته<sup>(٢)</sup>.

\* ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾: أي السدين، قال ابن كثير: هما جبلان متناوحيان فيعيشون فيهم فساداً ويهلكون الحرث والنسل<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿قَوْمًا﴾: أمة من الناس<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: من أقوال أتباع ذي القرنين، أو من أقوال من عداهم لغرابة لغتهم وبعدها عن لغات غيرهم وعدم مناسبتها لها، مع قلة فطنتهم، إذ لو تقاربت فهموها، ولو كثرت فطنتهم فهموا ما يراد من القول بالقرائن فتعلموه<sup>(٥)</sup>.

\* ﴿قَالُوا﴾: أي بواسطة مترجمهم. فإسناد القول إليهم مجاز ولعل هذا المترجم كان من قوم بقرب بلادهم، أو يكون منهم بالذات على أن يكون فهم ذي القرنين كلامهم وإفهامه إياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الأسباب<sup>(٦)</sup>. والذين قالوا له أمة من الإنس صالحة<sup>(٧)</sup>.

\* ﴿يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: اسمان أعجميان، منع صرفهما العلمية والعجمة. وقرأهما الجمهور بغير همز، وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وبه جزم وهب بن منبه وغيره، واعتمده كثير من المتأخرين<sup>(٨)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، ٥٧٩ / ١ وإسماعيل حقي، مرجع سابق، ٥١٧ / ٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ١٩١ / ٥.

(٤) زعم بعضهم أن القوم من الجان وهو زعم باطل لا بعيد كما قال أبو حيان/الألوسي، مرجع سابق، ٣٨ / ١٦.

(٥) الألوسي، مرجع سابق، ٣٨ / ١٦.

(٦) المرجع السابق.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٥٥ / ١١.

(٨) الألوسي، مرجع سابق، ٣٨ / ١٦.

\* ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي في أرضنا بالقتل والتخريب وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وقيل يأخذ الأقوات كلها، روى أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه<sup>(١)</sup>.

\* ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: هذا الاستفهام من باب حسن الأدب مع ذي القرنين<sup>(٢)</sup> وقال ابن جريج<sup>(٣)</sup> عن عطاء<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس «في معنى خرجا»: أجراً عظيماً. يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينهم وبينهم سداً<sup>(٥)</sup>.

\* ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: حاجزا يمنعهم من الوصول إلينا<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام القرطبي: في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه، بل يوجعون ضرباً، ويجسسون أو يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه<sup>(٧)</sup>.

ولم يكن ليأجوج ومأجوج طريق يخرجون منها إلى أرض العمارة إلا هذه الفتحة مسكنهم وراء هذين الجبلين، وأرضهم متسعة جداً<sup>(٨)</sup>. فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير.

\* ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: أي: الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه<sup>(٩)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٣/٣١٢.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي ثقة فقيه وكان يدلس ويرسل من السادسة مات سنة خمسين (ومئة) أو بعدها وقد جاز السبعين وقيل جاز المائة ولم يشته. (ابن حجر، التقريب، ص ٥١٤، ترجمة رقم ٤٢٢١).

(٤) هو عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه. (ابن حجر، التقريب، ص ٥٦١، ترجمة رقم ٤٦٢٣).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥/١٩٢.

(٦) الألوسي، مرجع سابق، ١٦/٣٩.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١١/٥٩.

(٨) سليمان الجمل، مرجع سابق، ٣/٤٩.

(٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥/١٩٢.

\* **﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾**: أي بما يتقوى به على المقصود من الآلات كزبر الحديد، أو من الناس، أو الأعم منها، والفاء لتفريع الأمر بالإعانة على خير ما مكنه الله تعالى فيه من ما لهم أو على عدم قبوله خراجهم<sup>(١)</sup>.

\* **﴿أَجْعَلْ﴾**: جواب الأمر.

\* **﴿يُكْمِ وَيُكْمِ رَكْمًا﴾**: أي حرا حسيئا وحبابا متينا، وهو أكرم من المدو وثق وعليه يكون قد وعظهم بالإسفل فوق ما يرجونه، وهو الذي يشك للملك<sup>(٢)</sup>.

\* **﴿أَتُونِي﴾**: أي أعطوني وناولوني، ومعنى **﴿أَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ﴾** أتوني بها، فلما ألقيت الياء زيدت ألفاً، وعلى هذا فانتصاب (زبر) بترع الخافض<sup>(٣)</sup>.

\* **﴿زُبْرَ الْحَدِيدِ﴾**: جمع زبرة، وهي القطعة. قال الخليل: الزبرة من الحديد القطعة الضخمة<sup>(٤)</sup>، وأصل الزبر الاجتماع، ومنه زبرت الكتاب: جمعت حروفه، وزبرة الأسد لما اجتمع على كاهله من الشعر. وطلب إيتاء الزبر لا ينافي أنه لم يقبل منهم شيئاً لأن المراد به الإيتاء المأمور به الإيتاء بالثمن أو مجرد المناولة والإيصال وإن كان ما أتوه له لا إعطاء ما هو لهم؛ فهو معونة مطلوبة، وعلى تسليم كون الإيتاء بمعنى الإعطاء لا المناولة. يقال: إن إعطاء الآلة للعمل لا يلزمه تملكها، ولو تملكها لا يعد ذلك جعلاً، فإنه إعطاء المال لا إعطاء مثل هذا<sup>(٥)</sup>.

\* **﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾**: في الكلام حذف. أي فأتوه إياه فأخذ بيني شيئاً فشيئاً حتى إذا جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساوياً لهما في العلو<sup>(٦)</sup>.

والصدفان: جانبا الجبل. قال الأزهري: يقال لجانبي الجبل صدفان إذا تحاذيا لتصادفهما أي: تلاقيهما. وكذا قال أبو عبيدة الهروي وقد يقال لكل بناء عظيم مرتفع صدف<sup>(٧)</sup>.

(١) الألويسي، مرجع سابق، ١٦ / ٤٠.

(٢) الألويسي، مرجع سابق، ١٦ / ٤٠.

(٣) الشوكاني، مرجع سابق، ٣ / ٣١٢ باختصار.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الألويسي، مرجع سابق، ١٦ / ٤٠.

(٦) المرجع السابق.

(٧) الشوكاني، مرجع سابق، ٣ / ٣١٢ - ٣١٣.

\* ﴿قَالَ﴾: لِلْعَمَلَةِ.

\* ﴿انْفُخُوا﴾: أَي انْفُخُوا بِالْكَبِيرَانِ فِي زَبْرِ الْحَدِيدِ الْمَوْضُوعَةِ بَيْنَ الصَّدْفَيْنِ، ففَعَلُوا<sup>(١)</sup>.

\* ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾: أَي جَعَلَ الْمَنْفُوحَ فِيهِ.

\* ﴿نَارًا﴾: أَي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا، وَإِسْنَادُ الْجَعْلِ إِلَى ذِي الْقَرْنَيْنِ مَجَازٌ لِكُونِهِ الْأَمْرَ بِالنَّفْخِ. قِيلَ: كَانَ يَأْمُرُ بِوَضْعِ طَاقَةِ مِنَ الزَّبْرِ وَالْحِجَارَةِ ثُمَّ يُوْقَدُ عَلَيْهَا الْحَطْبَ وَالْفَحْمَ بِالْمَنْفَاحِ حَتَّى تَحْمِيَ. وَالْحَدِيدُ إِذَا أُوقِدَ عَلَيْهَا صَارَ كَالنَّارِ<sup>(٢)</sup>.

\* ﴿قَالَ﴾: لِلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ أَمْرَ النِّحَاسِ مِنَ الْإِذَابَةِ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ: لِأَوْلَئِكَ النَّافِخِينَ. قَالَ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ نَفَخُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى صَارَ كَالنَّارِ وَتَمَّ مَا أَرَادَهُ مِنْهُمْ أَوْلًا<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿آتُونِي﴾: مِنَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ أَمْرَ النِّحَاسِ<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾: أَي آتُونِي قَطْرًا أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا. فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>. وَالْقَطْرُ: النِّحَاسُ الْمَذَابُ. وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ، وَقِيلَ: الرِّصَاصُ الْمَذَابُ. وَقِيلَ: الْحَدِيدُ الْمَذَابُ وَلَيْسَ بِذَلِكَ<sup>(٦)</sup>. وَقَدْ اسْتُخْدِمَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ حَدِيثًا فِي تَقْوِيَةِ الْحَدِيدِ؛ فَوُجِدَ أَنَّ إِضَافَةَ نِسْبَةِ مِنَ النِّحَاسِ إِلَيْهِ تَضَاعَفَ مَقَاوِمَتُهُ وَصَلَابَتُهُ. وَكَانَ هَذَا الَّذِي هَدَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ ذَا الْقَرْنَيْنِ، وَسَجَلَهُ فِي كِتَابِهِ الْخَالِدِ سَبَقًا لِلْعِلْمِ الْبَشَرِيِّ الْحَدِيثِ بِقُرُونٍ لَا يَعْلَمُ عَدَدُهَا إِلَّا اللَّهُ<sup>(٧)</sup>.

\* ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾: بِحَذْفِ تَاءِ الْإِفْتِعَالِ تَخْفِيفًا وَحَذْرًا عَنِ تَلَاقِي الْمُنْتَقَرِبِينَ فِي الْمَخْرَجِ وَهُمَا الطَّاءُ وَالتَّاءُ<sup>(٨)</sup>. وَالْفَاءُ فَصِيحَةٌ: أَي ففَعَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ إِتْيَاءِ الْقَطْرِ، أَوْ الْإِتْيَانِ،

(١) الألويسي، مرجع سابق، ٤١ / ١٦.

(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٣١٣ / ٣.

(٣) الألويسي، مرجع سابق، ٤١ / ١٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) سيد قطب، مرجع سابق، ٢٢٩٣ / ٤.

(٨) الألويسي، مرجع سابق، ٤١ / ١٦.

فأفرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا، فجاء يأجوج ومأجوج وقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما استطاعوا<sup>(١)</sup>.

\* ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه أي: فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلو على ذلك الردم لارتفاعه وملاسته<sup>(٢)</sup>.

\* ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: لصلابته وثخائنه وقيل: وكان عرضه خمسين ذراعاً، وكان أساسه قد بلغ الماء، وقد جعل فيه الصخر والنحاس المذاب. وكانت زبر الحديد فوق الأرض. ولا يخفى أن إفراغ القطر عليها بعد أن أثرت فيها حرارة النار حتى صارت كالنار مع ما ذكروا من أن امتداد السد في الأرض مائة فرسخ، لا يتم إلا بأمر إلهي خارج عن العادة كصرف تأثير حرارة النار العظيم من أبدان المباشرين للأعمال. وإلا فمثل تلك الحرارة عادة مما لا يقدر حيوان على أن يحوم حولها. ومثل ذلك النفخ في هاتيك الزبر العظيمة الكثيرة حتى تكون ناراً. ويجوز أن يكون كل من الأمرين بواسطة آلات غريبة، أو أعمال أوتياها هو أو أحد ممن معه لا يكاد أحد يعرفها اليوم. وللحكماء المتقدمين بل والمتأخرين أعمال عجيبة يتوصلون إليها بآلات غريبة تكاد تخرج عن طور العقل، وهذا مما لا شبهة فيه.

فليكن ما وقع لي القرنين من تلك القليل. وقيل: كل بنوهم من الخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحل من ذلك في تحولها حيث لم يق هناك فتوتاً<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿قَالَ﴾: أي ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

\* ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى السد، وقيل إلى تمكنه من بنائه<sup>(٥)</sup>.

\* ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّي﴾: أي أثر من آثار رحمته جل وعلا لهؤلاء المتجاوزين للسد ولن خلفهم ممن يخشى عليهم معرفتهم لو لم يكن ذلك السد<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٣/٣١٣.

(٣) الألوسي، مرجع سابق، ١٦/٤١ - ٤٢.

(٤) المرجع السابق، ١٦/٤٢.

(٥) المرجع السابق.

\* ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: اختلف المفسرون في ذلك الوعد متى هو؟ فهل المقصود هو يوم القيامة، أم أنه الوقت الذي قدر فيه ليأجوج ومأجوج الخروج قبل يوم القيامة؟  
\* ﴿جَعَلَهُ﴾: أي جعل السد المشار إليه رغم متانته ورسانته.

\* ﴿دَكَاً﴾: في الكلام حذف؛ أي وهو يستمر إلى آخر الزمان فإذا جاء وعد ربي جعله دكا<sup>(٢)</sup>؛ أي ساواه بالأرض. تقول العرب: (ناقة دكاء) إذا كان ظهرها مستويا لا سنام لها قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّا﴾<sup>(٣)</sup> أي مساويا بالأرض<sup>(٤)</sup>. ومن قرأ (دكا) بالمد أراد التشبيه بالناقة الدكاء، أي: مثل دكاء؛ لأن السد منكر فلا يوصف بدكاء. وقرأ الباقون «دكا» بالتنوين على أنه مصدر ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الحال. أي مدكوكا<sup>(٥)</sup>.

\* ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾: أي وعده سبحانه المعهود، أو كل ما وعد -عز وجل- به فيدخل فيه ذلك دخولاً أولياً<sup>(٦)</sup>.

\* ﴿حَقًّا﴾: ثابتاً لا محالة واقعاً البتة. وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية وتأكيد مضمونها، وهو آخر ما حكى من قصته<sup>(٧)</sup>.

ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم. ولكنه ذكر الله فشكره. ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا مجرد مستويا<sup>(٨)</sup>.

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٣/٣١٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥/١٩٥.

(٥) الشوكاني، مرجع سابق، ٣/٣١٣.

(٦) الألوسي، مرجع سابق، ١٦/٤٣.

(٧) المرجع السابق.

(٨) سيد قطب، مرجع سابق، ٤/٢٢٩٣.

كان ذو القرنين النموذج الأمثل للحاكم الصالح، يمكنه الله في الأرض، ويسر له الأسباب، فيجتاح الأرض شرقاً وغرباً، ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي. واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه، إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدراً عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان، وإحقاق الحق. ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته وأنه راجع إلى الله<sup>(١)</sup>.

والقرآن الكريم يحكي بآياته الخالدة، وفي أعجز أسلوب، أمر هذا الرجل الصالح العادل كنموذج أمثل للملك الصالح المصلح؛ ليخلد بذلك ذكراه؛ وليكون درساً لكل من أراد أن يحكم بحق، ويعلم الناس، ويهديهم إلى الطريق الصحيح، ويساعدهم إلى ما فيه خيرهم وفلاحهم ومن خلال الآيات نستطيع أن نقول إن هناك ثلاث صفات بارزة في ذلك الملك العادل وهي ركيزة كل حاكم يريد الحق والإصلاح وهي:

١- الإيمان. ٢- العدل. ٣- العمل.

وأما لصفات لا بد منها، حتى يستقر أمر الملك، ويأمنوا البشر بحق على أنفسهم، وأموالهم وأعراضهم، وأديانهم، وعقولهم، وهي الكليات الخمس التي أمر الإسلام بحفظها.

**لِيَأْمَنَ لَأَبَدٍ مِّنْهُ، حَتَّىٰ يَمِيتُنِي الْمَأْكُومَ، وَأُحْرَمَ مِنْ وَجْهِ اللَّهِ، الَّتِي لَا تَشْطَطُ فِيهِ وَلَا تَخْلَفُ.**

**وحتى لا ينحل هو أفي الحكم، فيظلم، ويتبطر، ويتحكم في رقب النمل وأمتهم**

والعدل لا بد منه لأنه الفيصل في الحق، والأمان في الأرض، والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم في ظل ملك عادل، والعمل والتعاون أيضاً. حتى ينتشر العمران، وتعم الحضارة ويعيش الناس في ثوب من السعادة والهناء، إن هذا ما ينادي به الإسلام. فالحق واحد في كل زمان ومكان، ولكن! أين هي حضارة الإسلام اليوم؟ وأين هم المسلمون من بناء هذه الحضارة؟ أليس عليهم أن يبنوا حضارة الإيمان، والعلم، والعدل، والإصلاح.

(١) المرجع السابق.



عليهم أن يقيموا مُلك راشد ليكونوا بذلك قادة الدنيا، ويخلصوا الناس من أسر المادة الطاغية، وكذلك الإلحاد والهمجية والإجرام؟ بلى. هذا ما يجب أن يكون.

فدو القرنين كان النموذج الأمثل للملك الراشد الذي يجب أن نستقي منه كيف تعود الأمة الإسلامية إلى مجدها التليد<sup>(١)</sup>.

---

(١) يرجع إلى: يوسف، محمد خير رمضان، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، ط٢، (دمشق: دار القلم، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

## المبحث الثالث: المُلْكُ فاسد مفسد

لِلْمَلِكِ الصُّلْدُ الصُّدْهُو مَا ابْتَلَيْتَ بِهِ لِأُمَّةٍ لِإِسْلَامِيَّتِي هَذِهِ الصُّورُ وَلِطَلْقِ الْقُرْآنِ  
عَلَيْنَا قِصَّةُ تَمَثُّلِ الْمَلِكِ الصُّلْدِ الصُّدْهُو بِجَوَانِبِهِ وَهِيَ قِصَّةُ فِرْعَوْنَ عَلَيْهِ الْعِتَّةُ مَعَ مُوسَى  
عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْجَلِي الَّذِي آتَدَلَّتْهُ الْمَلِكُ فُلْحِي وَتَجَرَّوْطِ نِعْمَةً لِلْمَلِكِ لِيُعْطَاهُ إِلَيْهَا.

و«فرعون» كلمة أعجمية، ليست مشتقة، قال الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات:  
«و فرعون: اسم أعجمي وقد اعتبر عرامته ف قيل: تفرعن فلان: إذا تعاطي فعل فرعون،  
كما يقال: أبلس. ومنه قيل للطغاة: الفراعة والأبالسة»<sup>(١)</sup>.

وقل عنه السمين الجلي: «فرعون: لم أصحى. قيل: كل من ملك مصر فهو فرعون  
كما أن كل من ملك الوم فهو قيسر، ومن ملك القوس فهو كسري، وكل من ملك الونك  
فهو جليلوس، وكل من ملك الخشب فهو نجاشي وكل من ملك حبر فهو هيج، وقد تصرف  
العرب فيه، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا: تفرعن فلان: إذا فعل فعل فرعون وقالوا: هم  
الفراعة العتاة»<sup>(٢)</sup>.

ووردت كلمة فرعون أربعاً وسبعين مرة في القرآن، أحياناً كانت تأتي كلمة  
«فرعون» لقباً على حاكم مصر، وأحياناً كانت تضاف لها كلمة «ال» أو «قوم» فتقول  
آل فرعون، وقوم فرعون<sup>(٣)</sup>، وقصة موسى عليه السلام بصفة عامة هي أكثر قصص  
القرآن وروداً في القرآن وهو يعرضها في كل مرة من جانب يتناسب وموضوع السورة  
التي تعرض فيها وفي هذا المبحث سأتناول بالتفصيل قصة موسى عليه السلام مع فرعون  
من خلال تتبع آيات القرآن التي وردت تتحدث عن هذا الحاكم الظالم الذي بلغ من عتوه  
وتمرده وكفره أنه كان يقول لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

(٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد التونجي، ط ١، (بيروت: عالم الكتب،  
١٤١٤-١٩٩٣م)، ٣/ ٢٦١.

(٣) عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، (مؤسسة مناهل العرفان مصورة عن الطبعة المصرية)، ص  
٥١٥-٥١٦.

(٤) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

أما في سورة القصص فقد جاءت قصة موسى بكثير من التفصيل والإشارات عن ميلاده إلى إبلاغه رسالة ربه لتؤدي الغرض من سياقها.

وقد جاءت هذه الآية ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾<sup>(١)</sup> بمثابة مفتاح الدخول إلى قصة موسى وفرعون لما فيها من شق العبر بعظيم تصرف الله في خلقه، فيقول تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والعيرب (النبأ) في الآية الشريفة لإفادة أنه خبر خوشن وأهمية وجاء الضم (تتلوا) بالضم مع مرادة لومن التلوي، والقرآن كله لصفة التلوي للخطب لأنه يلى من الله لعباده في كل زملة، وعلى كل العباد أن يتقوا، و(تتلوا) تلوع فيما نوحى إليك<sup>(٣)</sup>. و(ومن) للتبصير أي تتلوا عليك في هذه السورة بعض قصة موسى وفرعون، تلوها عليك (بالحق) أي محقق<sup>(٤)</sup> في ذكرها للجرة والعظة وصدق نوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو النبأ الثابت للصدق المطلق للواقع ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي تلوعك نبأهم لأجل قوم يؤمنون فكانت العظة من الآوة النبأ على النبي صلى الله عليه وسلم هي أن يتضع بذلك قوم يؤمنون لا يخلون قلوبهم بأفعال العباد. وهذه الآية صوة لكل مؤمن إلى لا كفاء بالظل للعرض من الضم في القرآن والوقف أمله بتدو وتحليل واحتيل.

وابتدأت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين، فلولا تجر فرعون وجنوده ما حل به وبقومه الهلاك، ولما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٥)</sup> أي تكبر وبغى وجاوز الحد في الظلم، ولبس ثوب التأله وصار عالياً مسيطراً جباراً، وصورت هذه الآية عظمة وعلو فرعون في الدنيا لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو أكبر العبر. والعلو هو الارتفاع الذي تشهد الأبالص، وجاءت هنا بمعنى الكبير كالذي في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

(١) سورة القصص، الآية: ٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣.

(٣) الأزهرى، مرجع سابق، مادة "تلا"، (١/٤٤٦).

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ٣/١٥٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤.

الأَرْضِ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: فرقا ذات نزعات تتشيع كل فرقة إليه، وتعددي الفرقة الأخرى، ل يتم له ضرب بعضهم ببعض، كما قال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ ﴿٢﴾ وقال: ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٣﴾.

كانت وسيلة فرعون في السيطرة على أهل مصر هذا التفريق وتقسيم أهل البلد الواحد شيعا وجماعات، فيعطي إحداها امتيازات ويتخذ منها قادة وحكاماً، ويجعل الأخرى أهلها منقادين مستضعفين ومقهورين فكان ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ ﴿٤﴾، والمراد بالفعل (يستضعف) العمل على جعلهم ضعفاء من خلال اضطهادهم وتسخيرهم في مصالحه العمرانية والزراعية وغير ذلك، ويعني — (طائفة) بني إسرائيل؛ لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه، فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب عليهما السلام، و ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ عند ولادتهم كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم وبذلك يضعف قوتهم، ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ ويبقى النساء على قيد الحياة للاتفاف منهن بالخدمة والتسخير، إهانة لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يوجد هذا الغلام الذي سيقضي على فرعون وملكه وذلك لأن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل في ليلة كذا يذهب ملكك على يده ﴿٥﴾ ويعلل الله علوه في الأرض وأفعاله هذه الشنيعة ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ تأكيد لما كان عليه فرعون من تجر وطغيان والإفساد يتولد عنه أعمال وصفات حجة من احتقار الناس، والاستخفاف بحقوقهم وسوء معاشرتهم، وبث العداوة فيهم، وسوء ظنه بهم وأن يبتز منافعهم لنفسه وللخدمة أغراضه ويجعلهم شيعا على مبدأ «فرق تسد»، ويذهب الزمان في مكائد بعضهم بعضاً لعدم وجود المساواة والعدل بينهم في المعاملة والحقوق ويصل به الإفساد الخبيث والاعتزاز بالملك إلى حد

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٤.

(٥) يرجع إلى: ابن عاشور، مرجع سابق، ١/٤٩٢-٤٩٣، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١/٣٨١-٣٨٢-

٣٨٣-٣٨٤، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٦/٣٢٠-٣٢١-٣٢٢. وأبوحيان، مرجع سابق، ٧/٩٩-

١٠٠-١٠١. والبيضاوي، مرجع سابق، ١/٢٨٢. والفخر الرازي، مرجع سابق، ١/٣٤٧٩-٣٤٨٠. وإسماعيل حقي، مرجع

سابق، ٦/٢٧٧، التفسير الوسيط، ١٠/٣٧٥-٣٧٦.

القتل، فيقتل مواليدهم الذكور ويبقي إناثهم أحياء إهانة لهم واحتقاراً، ويكون له النفوذ والسلطة في الأرض.

في هذا الجو من الظلم والظلمات شاء الله أن يمن على بني إسرائيل ويبطل طغيان فرعون، فإن الله رحيم بعباده، وينصر المستضعفين المظلومين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فقال تعالى: ﴿وَتَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> بإنقاذهم من الظلم ومن الطاغية فرعون وملئه الذين يسومونهم سوء العذاب والنكال وقطع نسلهم من الذكور.

هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد، يقول: ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي أئمة وقادة لا عبيدا وتابعين، وأن يقتدي بهم غيرهم، ويدعون الناس إلى الخير، ويورثهم الأرض المباركة -مصر والشام- ويجعل السلطة لهم، ويجعلهم أمة حرة مالكة أمر نفسها وقال: ﴿وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> والتمكين لهم في الأرض تثبيت لهم فيما ملكوه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>، ويرسخ أقدامهم في ملكهم آمنين، ويحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما وما يتخذون الحيلة دونه، وهم لا يشعرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل يكون له شأن.

﴿وَهَامَانَ﴾ هو الوزير الأول لفرعون مصر في ذلك العصر، والمعين الأول له على ارتكاب جرائمه واعتدائه وظلمه وطغيانه، مع الإصرار على الكفر عنادا واستكبارا. (وجنودهما) هم الجماعة من الناس التي تجتمع على أمر تتبعه، فلذلك يطلق على العسكر لأن عملهم واحد وهو خدمة أميرهم وطاعته<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

(٣) سورة القصص، الآية: ٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٥) يرجع إلى: طنطاوي، مرجع سابق، ١٠/٣٧٦-٣٧٧، ووهبة الزحيلي، مرجع سابق، ٢٠/٥٥-٥٨، وإسماعيل حقي، مرجع

سابق، ٦/٢٧٧-٢٧٨، والفخر الرازي، مرجع سابق، ٤/١٩٢-١٩٣، والبيضاوي، مرجع سابق، ١/٢٨٣-٢٨٤، وأبي

حيان، مرجع سابق، ٧/٩٩.

وفي ظل تلك الأوضاع القاسية، ولد موسى عليه السلام، والشفرة مشرعة على عنقه، في الوقت الذي باشر فيه فرعون بذبح الذكور من مواليد الإسرائيليين على أثر رؤيا رآها في منامه كما ذكرها النويري: (إن فرعون رأى شابا دخل عليه ويده عصا فضربه بها على رأسه ورأى الأرض قد انفجرت وأدخل في جوفها)<sup>(١)</sup>، وذكر الثعالبي في عرائس المجالس أن عبد الله بن مسعود قد ذكر الرؤيا بشكل مخالف: (إن فرعون رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون الكهنة والسحرة فسألهم عن رؤياه فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك، وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه)<sup>(٢)</sup>، غير أن الثوراة والقرآن ورواية ذكرت عن ابن عباس تشير إلى أن فرعون لم يشاهد رؤيا، وأن المفسرين نقلوا هذه الروايات عن التلمود والروايات الإسرائيلية<sup>(٣)</sup>.

وهكذا تعلن السورة الكريمة في مطلعها، أن الله تعالى هو مالك الملك وأن ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى لا بد أن يتم أمام أعين فرعون وجنوده، مهما احتاطوا ومهما احترسوا، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ثم فصل سبحانه الحديث عن موسى عليه السلام فذكر ما ألهمه عز وجل لأمه عند ولادته، وما قالت امرأة فرعون له عند التقاط آل فرعون لموسى، وما كانت عليه أم موسى من حيرة وقلق، وما قالته لأخته، وكيف رد الله تعالى بفضله وكرمه موسى إلى أمه، ونشأت موسى عليه السلام في قصر فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً يدخل الهم في قلوبهم، وذلك عقاباً لهم على ظلمهم وطغيانهم وتجبرهم في الأرض بغير حق، ثم بلغ أشده وأصبح رجلاً قوياً ناضجاً عقلياً وعضوياً، ثم قتله القبطي عن غير عمد وندمه على فعلته وافتضح أمره وخروجه من المدينة وورده ماء مدين، وما حدث هناك وأمر استتجاره وزواجه

(١) النويري، مرجع سابق، ١٣/١٧٨.

(٢) الثعالبي، عرائس المجالس، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٣) دائرة المعارف اليهودية، مقالها عن موسى ص ١٢٣ - ١٢٤.

وإتمامه الأجل المتفق عليه وخروجه وتلقيه الرسالة وأمر العصا وأمر اليد<sup>(١)</sup> إلى أن قال الحق تبارك وتعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن فهي الرسالة إلى فرعون وملئه، ولن يذهب يواجه فرعون أعزل بغير دليل، بل معه حجتان قاطعتان من ربه: وهي قلب العصا حية مخيفة، وقلب اليد السمراء بيضاء تبرق كالبرق، تثبتان لفرعون وملئه وأتباعهم أن موسى مرسل من رب العالمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قد تمكن الكفر من نفوسهم حتى كان كالجبله فيهم.

علم موسى -عليه السلام- أنه مكلف أن يواجه فرعون وملئه بهذين البرهانين، فطلب من ربه أن يؤمنه من أعدائه؛ خشية أن يقتلوه عقاباً على قتله المصري قبل خروجه من مصر إلى مدين ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾<sup>(٤)</sup> قالها لا ليعتذر أو ليتنصل من التبليغ، بل خوفاً من القبض عليه بتهمة القتل قبل أن يؤدي رسالة ربه والغرض المبعوث من أجله، ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾<sup>(٥)</sup> وعين هارون ولم يسأل غيره لما يعلم من أمانته وإخلاصه لله، وفصاحة لسانه، فطلب من الله -عز وجل- أن يجعله نبياً ورسولاً معه، يكون له معيناً وناصرًا، وسبباً مرجحاً في تصديق القوم له، فالرسولان معاً أقوى في نظر الناس من رسول واحد، وعلل طلب تأييده بأخيه قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾<sup>(٦)</sup>، فهذه المخافة الثانية وهي التكذيب، والأولى المخافة من القتل.

فأجابه الله تعالى إلى طلبه بقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾<sup>(٧)</sup> والشدة هي النجدة وثبات القلب<sup>(٨)</sup>، فجعل الأخ هنا بمتزلة الرباط الذي يُشَدُّ به، وهو كناية عن تقويته بأخيه

(١) لم أفضل في هذا الأمر لعدم الإطالة ولأنه بعيد عن موضوع المُلْك الفاسد.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣٣.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٦) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٧) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٨) الأزهري، مرجع سابق، (٢/ ١٨٤٢).

بأن يؤيده بفصاحته، ثم زاده الله البشارة والاطمئنان حين قال تعالى له: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن عاشور: السلطان هو التسلط على القلوب والنفوس والمهابة في قلوب الأعداء والرعب، كما ألقى على موسى محبة حين التقطه آل فرعون<sup>(٢)</sup>، ولا تنالكما كف طاغية ولا جبار ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾<sup>(٣)</sup> بسوء أو أذى، وفي نهاية دعوتكما إلى فرعون وملئه وأتباعهم ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهكذا حمل موسى الرسالة، وعاد إلى مصر نبياً ورسولاً مع أخيه هارون ليواجه بها فرعون وملئه بآيات الله البينات، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

والآيات تشمل خوارق العادات المشاهدة مثل الآيات التسع وتشمل المعجزات الخفية كصرف قوم فرعون عن الإقدام على أذاهما مع ما لديهم من القوة وما هم عليه من العداوة بحيث لولا الصرفة من الله لأهلكوا موسى وأخاه<sup>(٦)</sup>. وجاءهم بها آية بعد آية في مواقع مختلفة قالوا عند كل آية<sup>(٧)</sup>: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى﴾<sup>(٨)</sup> والمفتري: المكذوب ومعنى كونها سحراً مكذوباً أنه مكذوب ادعاء أنه من عند الله وإخفاء كونه سحراً<sup>(٩)</sup> فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا إنه سحر مفتري وأردوا معارضته بالحيلة والجاه فما صعده معهم ذلك<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة القصص، الآية: ٣٥.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١٧/٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣٥.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٦.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١٨/٢٠.

(٧) المرجع السابق، ١١٩/٢٠.

(٨) سورة القصص، الآية: ٣٦.

(٩) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١٩/٢٠.

(١٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٣٣٧/٦.



وأضافوا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي: ما سمعنا بهذا الذي جئتنا به يا موسى، من الدعوة إلى عبادة الله وحده ومن إخبارك لنا بأنك نبي. ما سمعنا بشيء من هذا كائنا أو واقعاً في عهد آبائنا الأولين وقولهم هذا يدل على إعراضهم عن الحق، وعكوفهم على ما ألقوه بدون تفكير أو تدبر<sup>(٢)</sup>. إنما يمارون بهذا القول كما يماري أصحاب الباطل.

وهنا رد موسى -عليه السلام- رداً منطقياً حكيماً وهو واثق مطمئن إلى عاقبة المواجهة معهم، وفي الوقت ذاته موضح ناصح ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾<sup>(٣)</sup> أي: ربي الذي خلقتني وخلقكم، أعلم مني ومنكم بمن جاء بالهدى والحق من عنده، وسيحكم بيني وبينكم بحكمه العادل. ولم يصرح موسى -عليه السلام- بأنه يريد نفسه، بالإتيان بالهداية لهم من عند الله تعالى ليكفكف من عنادهم وغرورهم وليرخي لهم حبل المناقشة، حتى يخرس ألسنتهم عن طريق المعجزات التي أيدى الله تعالى بها<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ معطوف على ما قبله. أي: وربّي أعلم مني ومنكم بمن تكون له النهاية الحسنة، والعاقبة الحميدة<sup>(٥)</sup>. وعبر في جانب ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ بفعل المضى وفي جانب ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ بالمضارع لأن الجيء بالهدى المحقق والمزعوم أمر قد تحقق ومضى سواء كان الجائي به موسى أم آباؤهم الأولون وعلمائهم. وأما كيان عاقبة الدار لمن فمرجو لما يظهر بعد<sup>(٦)</sup>. وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٧)</sup> أي المشركون بالله -عز وجل- وهذا تذييل قصد به بيان سنة من سننه تعالى التي لا تختلف أي أنه -تبارك وتعالى- قد اقتضت سننه أن لا يفوز الظالمون بمطلوب بل الذين يفوزون بالعاقبة الحميدة هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة القصص، الآية: ٣٦.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٧/١٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٧.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٧/١٠.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٧/١٠.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٠/٢٠.

(٧) سورة القصص، الآية: ٣٧.

(٨) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٨/١٠.

ولكن هذا الرد المهذب الحكيم من موسى -عليه السلام- لم يعجب فرعون المتطاول المغرور<sup>(١)</sup>. الذي خاف على قومه من دعوة موسى -عليه السلام-، فأراد أن يثبتهم على عقيدة ألهيته فأخذ في إلقاء الدعاوي الكاذبة التي حكاها القرآن عنه في قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٢)</sup> أي: قال فرعون لقومه على سبيل الكذب والفجور يا أيها الأشراف من أتباعي إني ما علمت لكم من إله غيري.

وقوله هذا يدل على ما بلغه من طغيان وغور. فكأنه يقول لهم: إني لم أعلم بأن هناك إلهاً لكم سواي، وما لا أعلمه لا وجود له<sup>(٣)</sup>. فظهر لهم أن حجة موسى لم يصدق بها، وأنه طك من نسب لألثة غير منزع له أصل، يعتمد في ذلك على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من أن روح لإله كلتي آبله وأطاحه وانتقلت إليه، وتجب عليهم طاعته والخضوع له، ولا يدع لبس أن يفكر أو يسلط أن يبر، فيمحوه دون الحظ ولا تعقيب.

ثم تظاهر بعد ذلك بأنه جاء في دعواه أمام قومه بأنه لا إله لهم سواه، وأنه حريص على معرفة الحقيقة<sup>(٤)</sup> والبحث عن إله موسى وهو يلهو ويسخر، فقال لوزير همامان: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أُطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾<sup>(٥)</sup> فقد حسب فرعون أن مملكة هذا الرب السماء وهذا تصور مختل؛ ففرع على نفي إله غيره وعلى توهم أن الرب المزعوم مقره السماء أن أمر (هامان) وزيره أن يبني له صرحا يبلغ به عنان السماء ليرى الإله الذي زعمه موسى حتى إذا لم يجده رجع إلى قومه؛ فأثبت لهم عدم وجود إله في السماء إثبات معاينة<sup>(٦)</sup>، والرد بالظن في قوله: ﴿وَأَنِّي لَأَتْلُو مِنْ لِكْتَابٍ﴾<sup>(٧)</sup> اليقين أي: ويني لمتيقن أن موسى من الكذابين في حواره أن هناك إلهاً غيري في هذا الكون، وهكذا استغف فرعون بقول قومه الخاطئين الجبناء، فأفهمهم أنه لا إله لهم سواه.

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٨/١٠.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٨/١٠.

(٥) القصص، الآية: ٣٨.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٢/٢٠.

(٧) سورة القصص: ٣٨.

وأن موسى كذب فيما لعله<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير: وذلك لأن فرعون في هذا الموضع الذي لم يوفى الدنيا بناءً على متهوئها ألدجنا أن يظهر لوعيته، تكذيب موسى فيما قلله عن أن هناك للمأخبر فرعون. ولهذا قال: ﴿رَبِّيَ لَأُظْهِرَنَّ لَكَ كَيْفَ عَلَّمَنِي فِي قَوْلِهِ أَن تَحْمُرَ بِأَخِيهِ<sup>(٢)</sup>﴾.

وفي هذا الضغث من الجدل الفرعوني دلالة على سذاجة تفكيره، وتفكير ملته وضعف آرائهم حيث يجعلهم يقبلون هذه الخديعة الساذجة.

ثم بين سبحانه الأسباب التي حملت فرعون على هذا القول الساقط الكاذب فقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ<sup>(٣)</sup>﴾. والاستكبار أشد من الكبر، أي تكبر تكبرا شديداً إذ طمع في الوصول إلى الرب العظيم وصل الغالب أو القرين<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ حالة لازمة لعاملها إذ لا يكون الاستكبار إلا بغير الحق<sup>(٥)</sup>. وظنوا واعتقدوا أنهم إلينا لا يرجعون لمحاسبتهم ومعاقبتهم يوم القيامة<sup>(٦)</sup>.

وتوهوا أن الحياة قاصرة على هذه الحياة الدنيا.

فماذا كانت نتيجة ذلك التطاول والغرور، والتكذيب بالبعث والحساب؟ لقد كانت نتيجته كما قال تعالى بعد ذلك: ﴿فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ<sup>(٧)</sup>﴾.

والنبد: الطرح والإهمال للشيء لحقارته وتفاهته<sup>(٨)</sup> أي: فأخذنا فرعون وجنوده بالعقاب الأليم أخذاً سريعاً حاسماً فألقينا بهم في البحر، كما يلقي بالنواة أو الحصاة التي لا قيمة لها، ولا اعتداد بها.

﴿فَانظُرْ﴾ أيها العاقل نظر تدبر واعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ لقد كانت عاقبتهم الإغراق الذي أزهق أرواحهم واستأصل باطلهم<sup>(٩)</sup>؛ أي إعتبر بسوء عاقبتهم لأجل

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠/٤٠٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٦/٢٤٨.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠/٤٠٩.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٠/١٢٤.

(٥) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٠/١٢٤.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠/٤٠٩.

(٧) سورة القصص، الآية: ٤٠.

(٨) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠/٤٠٩.

ظلمهم أنفسهم بالكفر وظلمهم الرسول بالاستكبار عن سماع دعوته، وهذا موضع العبرة في سوق القصة ليعتبر بها المشركون؛ فيقيسوا حال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بحال دعوة موسى -عليه السلام- وقيسوا حالهم بحال فرعون وقومه<sup>(٢)</sup>، إنها عاقبة مشهودة ومعروضة للعالمين، وفيها عبرة للمعتبرين ونذير للمكذبين.

وهكذا يكون نهاية الظلم، ومصير الإصرار على العناد والكفر، سوء العاقبة وإلى جهنم وبئس المصير، ثم ذكر تعالى ما يوجب مضاعفة عذابهم فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: فرعون وقومه ﴿أُمَّةً﴾ في الكفر والفسوق والعصيان بسبب أنهم ﴿يَدْعُونَ﴾ غيرهم إلى ما يوصل ﴿إِلَى النَّارِ﴾ وسعيها والاحتراق بها<sup>(٣)</sup>. والأئمة: جمع إمام وهو من يُقتدى به في عمل من خير أو شر<sup>(٤)</sup>؛ ومعنى جعلهم أئمة يدعون إلى النار أي للعمل الذي يوقع في النار من الاستكبار في الأرض بغير الحق وتكذيب الرسل وإنكار وجود الإله، ولم يكتفوا بضلال أنفسهم، بل قاموا بإضلال غيرهم وقادوا الأتباع والأنصار إلى النار، فاستحقوا جزاءين: جزاء الضلال والإضلال فبئس الإمامة وبئس ما يدعون ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> أي: لا يجدون من ينصرهم يوم القيامة، بأن يدفع عنهم العذاب بأية صورة من الصور<sup>(٦)</sup> ومناسبة عطف ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ هي أن الدعاء يقتضي جنداً وأتباعاً يعتزون بهم في الدنيا ولكنهم لا يجادلون عنهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَّرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾<sup>(٧)</sup>. فاجتمع لهم خزي الدنيا وذل الآخرة، ثم قال: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾<sup>(٨)</sup> التي قضوا حياتهم فيها في الكفر والضلال، أتبعناهم فيها ﴿لَعْنَةً﴾ أي: طردا وإبعادا عن رحمتنا<sup>(٩)</sup>. فجعل اللعنة ملازمة لهم في علم

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٩/١٠.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٥/٢٠.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٩/١٠.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٦/٢٠.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٩/١٠.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٦/٢٠.

(٩) سورة القصص، الآية: ٤٢.

(١٠) طنطاوي، مرجع سابق، ٤٠٩/١٠.

الله تعالى فقد رهم هلاكاً لا رحمة فيه، فعبر عن تلك الملازمة بالإتباع على وجه الاستعارة لأن التابع لا يفارق متبوعه، وكانت عاقبة تلك اللعنة إلقاءهم في اليم. ويجوز أن يراد باللعنة لعن الناس إياهم، يعني أن أهل الإيمان يلعنونهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، المقبوح: هو المطرود المبعد عن كل خير<sup>(٣)</sup> وقيل المقبوح: المشوه الخلقة<sup>(٤)</sup>، أي: وهم يوم القيامة أيضاً من المبعدين عن رحمتنا بسبب كفرهم وفسوقهم. والتعبير بقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ يتناسب كل التناسب مع ما كانوا عليه في الدنيا من تطاول وغرور واستعلاء فهؤلاء الذين كانوا في الدنيا كذلك، وصاروا في الآخرة محل الازدراء وقبح الهيئة والاشتمزاز من كل عباد الله المخلصين<sup>(٥)</sup>.

**وأما في سورة الأعراف:** فقد استغرقت قصة موسى -عليه السلام- أكبر مساحة وأكبر قدر، وفيها من الإيضاح والبيان ما لم يذكر في غيرها من القصص، لأن معجزات موسى -عليه السلام- كانت أقوى من معجزات الأنبياء السابقين، وجهل فرعون وقومه الذين أرسل إليهم كان أعظم وأفحش من جهل سائر الأقوام وتعرض هذه السورة معركة موسى -عليه السلام- في مواجهة فرعون وملئه، إنها معركة الحق والباطل، معركة الهدى والضلال، تعرضها في مشاهد ومواقف موجهة لأولئك الأحياء من كفار قريش الذين كان القرآن يخوض معهم معركة التكذيب، ويطلبون من رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم الخوارق لتصديقه وإلى أمثالهم ممن يتخذون نفس مواقفهم على مدار التاريخ، لذا لا ينبغي أن ننخدع بالتفاوت الظاهر أمامنا بين الحق والباطل، فإن تاريخ الحق بأكمله شهد على أنه يبدأ بأقلية ضعيفة تقاوم بغير عدد ولا عتاد ذلك الباطل، ثم تكون الغلبة لهم في النهاية.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٦/٢٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٢.

(٣) التفسير الوسيط جـ ١٠ ص ٤٠٩.

(٤) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٠٩/٤.

(٥) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢٦/٢٠.

والقرآن عرض قصص الأمم السابقة كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، ثم ينتقل من أخبار الرسالات السابقة إلى قصة موسى -عليه السلام- وفرعون فيقول: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾<sup>(١)</sup> معطوف على ما قبله من قصص الأنبياء الذين تحدث عنهم السورة<sup>(٢)</sup> وقد دلت ﴿ثُمَّ﴾ على المهلة لأن موسى -عليه السلام- بعث بعد شعيب بزمن طويل<sup>(٣)</sup>. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ والظلم: وضع الشيء في غير موضعه<sup>(٤)</sup> أي: فكفروا بهذه الآيات تكبراً وجحوداً، فكان عليهم وزر ذلك وقد عدى الظلم هنا بالباء مع أنه يتعدى بنفسه لتضمنه معنى الكفر<sup>(٥)</sup>. فالظلم في حقها كان في عدم تصديقها، ومحاولة رفضها باعتبارها سحراً ودجلاً، وهي في ذاتها دليلاً قاطعاً على أنها من عند الله، وظلموا كل من له حق في الانتفاع بالآيات، والملاً: الجماعة من عليّة القوم، وهم وزراء فرعون وسادة أهل مصر من الكهنة وقواد الجنود، وإنما خص فرعون وملاه لأنهم أهل الحل والعقد الذين يأذنون في سراح بني إسرائيل<sup>(٦)</sup>، ولم يقل سبحانه إلى فرعون وقومه، لأن الملك ورجال الدولة هم الذين كانوا مستعبدين لبني إسرائيل، ويدهم أمرهم، وليس لسائر المصريين من الأمر شيء، ولأنهم كانوا مستعبدين أيضاً ولكن الظلم على بني إسرائيل الغرباء كان أشد<sup>(٧)</sup> فمنعوا الناس من التصديق بالآيات، وآذوا الذين آمنوا بموسى لما رأوا الآيات ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٨)</sup> والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو المخاطب غير المعين، وهو كل من يتأتى منه النظر والاعتبار عند سماع هذه الآيات، والمراد بالمفسدين: فرعون وملاه، الذين أصيبوا بسوء العاقبة لكفرهم وفسادهم والكفر أعظم الفساد لأنه فساد القلب وينشأ عنه فساد الأعمال، وفي الحديث

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٣.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٣/٥.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٤/٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٢٢/٤.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٤/٥.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٥/٩.

(٧) الألوسي، مرجع سابق، ١٧/٩.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٠٣.

«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>(٢).

وهكذا نرى السورة الكريمة ترينا في أول آية من هذه القصة الغرض الذي سيقت من أجله وهو التدبر في عواقب المكذبين، والتخويف من المصير الذي ساروا إليه، وتنهي الناس في كل زمان ومكان عن السير على منوالهم<sup>(٣)</sup>.

ثم بين القرآن بعد هذا التنبيه الإجمالي مآل المفسدين، أخذت السورة تحكي لنا ما دار بين موسى عليه السلام وبين ذلك الملك الطاغية فرعون بصورة مفصلة فقالت: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>(٥) والظاهر أن خطاب موسى لفرعون بقوله (يا فرعون) خطاب إكرام لأنه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان بحسب متعارف أمته، وصوغ حكاية كلام موسى بصيغة التأكيد بحرف (أن) لأن المخاطب مظنة الإنكار أو التردد في صحة الخبر، واختيار صفة (رب العالمين) في الإعلام بالمرسل إبطال الاعتقاد فرعون أنه رب مصر وأهلها فإنه قال لهم ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ فلما وصف موسى الله تعالى بأنه رب العالمين شمل فرعون وأهل مملكته؛ فتبطل دعوى فرعون أنه إله مصر بطريق اللزوم<sup>(٦)</sup>.

لقد وقف فرعون من دعوى رسالة التوحيد موقف المكذب، لذلك قال موسى عليه السلام ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾<sup>(٧)</sup> فبين أنه بمقتضى هذه الرسالة لا يقول إلا كلمة الحق. قرأ نافع بالياء (علي) فهي ياء المتكلم دخل عليها حرف (على) كقوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾<sup>(٨)</sup> والمعنى أنه حق وجب على القول الحق أن أكون

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص ٨٤، الحديث رقم (٥٢).

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٦-٣٧.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٤/٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠٤.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٤/٥.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٧ و ٣٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٠٤.

(٨) سورة الصافات، الآية: ٣١.

أنا قائله<sup>(١)</sup>: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ولا أستطيع أن أكذب على ربي وقرأ جمهور القراء: (حقيق على أن لا أقول) أن (على) هنا بمعنى الباء<sup>(٣)</sup>، أي أنا مثبت بعصمة من ربي ﴿أَنْ لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾<sup>(٤)</sup>.

كانت مهمة موسى عليه السلام لدى فرعون تقوم على أمرين أولهما: دعوة التوحيد ورد الربوبية والحاكمية كلها لرب العالمين، والثاني: تخليص بني إسرائيل من برائن ظلمه وطغيانه لذلك قال له: ﴿قَدْ جِئْتُمْ بَيْنَنَا مِن رَّبِّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> أي: قد جئتم بحجة من الله أعطايها دليلاً على صدقي فيما جئتم به. وفي قوله ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إشعار بأن ما جاء به من حجج وبراهين لم تكن من صنعه. وإنما هو من عند رب العالمين، الذي بيده ملكوت كل شيء<sup>(٦)</sup> فطلب موسى عليه السلام من فرعون إطلاق بني إسرائيل من أسرهم ويعتقهم من رقه وقهره واستعباده قال ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٧)</sup>، والإرسال: الإطلاق والتخلية وتقييده بـ (معي) لأن المقصود من إخراجهم من مصر أن يكونوا مع الرسول ليرشدهم ويدبر شئوهم.

لم يقتنع فرعون ببرهان العقل، وانتقل إلى طلب خوارق العادة ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٨)</sup> وعبر بأن في قوله: ﴿إِن كُنتَ﴾ المفيدة للشك للإيدان بأنه ليس معتقدا في صدق موسى عليه السلام<sup>(٩)</sup>.

وهنا يحكي لنا القرآن ما أسرع بفعله موسى للرد على فرعون فقال: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(١٠)</sup> (١) والإلقاء: هو الرمي على الأرض أو في الماء أو نحو ذلك أي:

(١) البيضاوي، مرجع سابق، ٢١/٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠٤.

(٣) عبد اللطيف الخطيب، مرجع سابق، ١١٣/٣-١١٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٠٥.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٥/٩.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٠٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٠٦.

(٩) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٥/٥.

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٠٧.



فرمى عصاه من يده. و(إذا) للمفاجأة وهي حدوث الحادث من غير ترقب<sup>(٢)</sup> حية عظيمة واضحة وحقيقية تتحرك وتسير من مكان إلى مكان ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾<sup>(٣)</sup> والترع: أزال اتصال شيء عن شيء، ومنه نزع ثوبه، والمعنى هنا أنه أخرج يده من جيب قميصه<sup>(٤)</sup> ﴿فَإِذَا هِيَ بَيَاضٌ لِلنَّاظِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> أي صارت بيضاء، أي بياضاً من النور. ودل على هذا البياض قوله: ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ أي بياضاً يراه الناظرين رؤية تعجب من بياضها.

وبذلك يكون موسى عليه السلام قد أتى بالبينة التي تدعو فرعون وملاه إلى الإيمان به فهل آمنوا؟ كلا إنهم ما آمنوا بل استمروا في ضلالهم بل قالوا: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)(٧)</sup> فهم أدركوا أن دعوى موسى عليه السلام تسلب ملك فرعون ومملكهم المستمد منه على الرغم مما رأوا أمام أعينهم ولكي يصرفوا الناس الذين رأوا المعجزات عن الإيمان به قالوا إن هذا ساحر لإثارة الناس على موسى. وقالوا هذا الكلام على وجه الشورى مع فرعون<sup>(٨)</sup>. فقالوا: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾<sup>(٩)</sup>

وتشاوروا فيما بينهم في شأن موسى مؤكداً أنه ساحر عليم، ويريد أن يخرجهم من أرضهم ثم ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾<sup>(١٠)</sup>، والإرجاء هو التأخير<sup>(١١)</sup> قال الملأ من قوم فرعون حين استشارهم في أمر موسى: آخر أمره وأمر أخيه ولا تتعجل بالقضاء عليهم، وأرسل في مدائن ملكك رجالاً أو جماعات يجمعون إليك

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ٥/ ٣٤٥.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٩/ ٤٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠٨.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ٩/ ٤٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٠٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٠٩.

(٧) طنطاوي، مرجع سابق، ٥/ ٣٤٦.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، ٩/ ٤٢.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١١٠.

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١١١.

(١١) الأزهرى، مرجع سابق، ٢/ ١٣٦٢.

السحرة المهرة لكي يقفوا في وجه هذا الساحر العليم ويكشفوا عن سحره ويطلوه بسحر مثله أو أشد وكان السحر في عهد فرعون من الأعمال الغالبة التي يحسنها كثير من أهل مملكته<sup>(١)</sup>، فطمعوا أن يوجد في سحرة مصر من يدفع آيات موسى فتكون الحجة عليه ظاهرة للناس، وذلك في مكان جامع تشهده الجماهير.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾<sup>(٢)</sup> من المدائن فحضروا عند قصره ليعرض عليهم المهمة التي حشرهم من أجلها، وكان هؤلاء السحرة واثقين من مقدرتهم على السحر والتصرف في الأعيان والعيون، وعرضوا لفرعون بالأجر ينالونه جزاء قيامهم بالسحر ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾<sup>(٣)</sup> إشعاراً بجدارتهم، فوعدهم بالأجر الجزيل و ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾<sup>(٤)</sup> من فرعون زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد.

قال القاسمي: تدل الآية على معجزة عظيمة لموسى، وتدل على جهل فرعون وقومه حيث لم يعلموا أن قلب العصا حية تسعى لا يقدر عليه إلا الله وتدل على أن من عادة البشر أن من رأى أمراً عظيماً أن يعارضه، فلذلك دعا فرعون السحرة وتدل على أنهم أنكروا أمره محافظة على الملك والمال، لذلك قالوا ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ فيدل على أن من أقوى الدواعي إلى ترك الدين المحافظة على المال والجاه كما هي عادة الناس في هذا الزمان<sup>(٥)</sup>.

كان الجمع حافلاً في يوم الزينة، وهو أعظم أعيادهم، فراود السحرة موسى عليه السلام ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾<sup>(٦)</sup> هل يلتون سحرهم أو يلتقى هو سحره أولاً؟ إظهاراً منهم للجلادة، ولثقتهم بمقدرتهم، وإهم الغالبون، فأجاب موسى:

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٤٧/٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١١٤.

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ٢٨٣٣/٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١١٤.

﴿قَالَ أَتُقُوا﴾<sup>(١)</sup> لأن المتأخر يكون أدري بما تقتضيه الحال، وهو يريد أن يرى الناس صنعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من زيفهم جاءهم الحق الواضح، فيكون أوقع في النفوس. وكان عتادهم العصا والحبال ﴿فَلَمَّا أَتَوْا سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> بأن خيلوا إليهم ما الحقيقة بخلافه<sup>(٣)</sup>، وبهذا الخداع البصري أوقعوا الرعب في قلوب الناس، فأخذوا يرون ثعابين وحيات كثيرة ملأت المكان؛ لذلك وصفه الله تعالى ﴿بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ابتهج فرعون وجنوده، وأيقنوا أن السحرة قد نجحوا، وهال موسى أمر تلك الحيات، وأوجس في نفسه خيفة فأمره ربه أن يلقي عصاه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup> تحولت عصاه إلى حية أخذت تزحف هنا وهناك وتبتلع حيات السحرة، وتسمية سحرهم إفكاً دليل على أن سحرهم لا حقيقة له، وأنه مجرد تخيلات وتمويهات.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ظهر الحق وأصبح صدق موسى واقعاً مشهوداً، وقد عطف عليها بقوله ﴿فَعُلبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾<sup>(٧)</sup> لم يغلب السحرة فقط، بل غلب فرعون وجماعته، وأصبح كل من هو ضد موسى في صغار أي مذلة ظهور عجزهم، ومذلة خيبة رجائهم ما أملوه من الأجر والقرب عند فرعون<sup>(٨)</sup>.

علم السحرة أن السحر لا يفعل مثل ذلك، وإنما هي القوة الإلهية صنعت هذا ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٩)</sup> عند معاينة المعجزة سجداً لربهم، لأن الحق بهرهم وحملهم على السجود، فإنهم كانوا أعلم الناس بالسحر فلا يخفى عليهم ما هو خارج عن الأعمال

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

(٣) البيضاوي، مرجع سابق، ٢٢ / ٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١١٩.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥١ / ٩.

(٩) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥١ / ٩.

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٢٠.

السحرية، فعلموا أنه تأييد من الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام، وأيقنوا أن ما دعاهم إليه موسى الحق، فلذلك سجدوا، وبنى فعل الإلقاء للمجهول وتقديره: وألقوا أنفسهم على الأرض تعظيماً لرب العالمين<sup>(١)</sup> و ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أعلنوا إيمانهم بالله لئلا يظن الناس أنهم سجدوا لفرعون، إذ كانت عادة القبط السجود لفرعون<sup>(٣)</sup>؛ ولكن فرعون وملاه لم يرقهم ما شاهدوا من إيمان السحرة، ولم يدركوا لانطماس بصيرتهم فعل الإيمان في القلوب، فأخذ يتوعددهم بالموت الأليم ويحكي القرآن ذلك ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِه قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: أنكر على السحرة إيمانهم، آمنتم برب موسى وهارون قبل أن آمركم أنا بذلك؟ فهو لغروره وجهله ظن أن الإيمان بالحق يحتاج إلى استئذان<sup>(٥)</sup>.

لقد خاف فرعون على عرشه المهدد ومملكه المهزوز، ولكي يصرف الناس عن الإيمان برب العالمين كما فعل السحرة، أضاف إلى ذلك اتهامهم بأن هذا مكر ومؤامرة مع موسى قبل الخروج إلى المكان المختار فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾<sup>(٦)</sup> وغرضه من وراء ذلك إفهام قبط مصر أن إيمان السحرة كان عن تواطؤ مع موسى؛ لإخراجهم من أوطانهم، فعليهم -أي القبط- أن يستمسكوا بدينهم وان يعلنوا عداوتهم لموسى وللسحرة ولبنى إسرائيل<sup>(٧)</sup>.

ثم اتبع هذا الاتهام الباطل بالوعيد الشديد فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨)</sup> فأجمل في الوعيد لإدخال الرعب، ثم بينه فقال: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾<sup>(٩)</sup> يقطع من كل شق عضواً مغايراً للآخر، كاليد من الجانب الأيمن، والرجل من الجانب الأيسر، ثم

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٢ / ٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢١.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٢ / ٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥١ / ٥ بتصرف.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٧) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥١ / ٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٢٤.

ارتقى في الوعيد إلى نوع آخر من العذاب فقال: ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي يصلبهم على جذوع النخل، ليجعلهم نكالا يندعر بهم الناس ولهذا قال: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ليدل أن الصلب ينالهم كلهم<sup>(٢)</sup>، فماذا كان الرد ممن يتلقون هذا الوعيد؟ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أنهم إلى الله صائرون، قال الزمخشري: وإنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون نُنْقَلُ إِلَىٰ اللَّهِ فِيحْكَم بَيْنَنَا وَإِنَّا لَا مَحَالَةَ مَيْتُونَ مُنْقَلِبُونَ إِلَىٰ اللَّهِ فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تَفْعَلَ بِنَا إِلَّا مَا لَا بَدَ لَنَا مِنْهُ<sup>(٤)</sup>.

ثم قالوا له على سبيل الاستهزاء والسخرية: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾<sup>(٥)(٦)</sup> أي: وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله الذي هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان<sup>(٧)</sup> الذي أحدث في بضع لحظات انقلاباً في خلق السحرة وسلوكهم.

وبذلك يكون السحرة قد ضربوا للناس في كل زمان ومكان أروع الأمثال في التضحية من أجل العقيدة، وفي الوقوف أمام الطغيان بثبات وعزة، وفي الصبر على المكاره والآلام، وفي التعالي عن كل مغريات الدنيا، وطلبوا من ربهم الصبر على فتنة فرعون، والوفاء على الإسلام فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

أدرك فرعون وملؤه أن إيمان السحرة برب العالمين، رب موسى وهارون يمثل خطراً على حكمهم وملكهم بعد الهزيمة والخذلان، وكبر عليهم أن يذهب موسى ناجياً والذين آمنوا معه، فإذا الملاء يتناجون بالشر والإثم، ويثيرون غضب فرعون خشية ذهاب ملكهم ويخوفونه عاقبة التهاون في أمرهم من ضياع الهيبة والملك ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٤.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٥/٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٥.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ٨٢/٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥٢/٥.

(٧) الزمخشري، مرجع سابق، ٨٢/٢.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.

أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ أي أترك موسى وقومه أحرارا في أرضك، ليفسدوا فيها بإدخال الناس في دينهم، أو جعلهم تحت سلطانهم ورياستهم<sup>(٢)</sup>.

والاستفهام في قوله: ﴿أَنْذَرُ مُوسَى﴾ مستعمل في الإغراء بإهلاك موسى وقومه، والإنكار على الإبطاء بإتلافهم<sup>(٣)</sup>؛ وكانت استجابة فرعون الطاغية للتعريض فورية، فجدد تنكيهه بني إسرائيل وهو قتل أولادهم، وتشديد قبضة السلطة عليهم، ليظلموا مقهورين أذلاء خائفين خاضعين له ﴿قَالَ سَتَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومضى فرعون ينفذ هذا الوعيد.

ولم يخفل موسى عليه السلام بهذا التهديد بل أوصى قومه بالصبر، ولوح لهم بالنصر ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup> وقال موسى عليه السلام لقومه على سبيل التشجيع والتثبيت وألا يعجلوا حتى يأذن الله بالنصر وأن النصر قادم لا محالة وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها، وأن الله الذي وهبه ذلك الملك قادر على نزعها منه، لأن الأرض ملك لله، وقصد موسى من هذا الكلام صرف اليأس عنهم وتثبيتهم.

ومن العجيب أن ما يقول فرعون من خلال القصة إلى الآن هو منطق الطغاة المستكبرين دائماً. فهم يلجئون إلى قوتهم المادية ليحموا بها آثامهم، وشهواتهم، وملكهم القائم على الظلم والبطش والمنافع الشخصية وما قاله الملائكة لفرعون هو منطق حاشية السوء الذي يفرزه المملك الفاسد فهو فاسد في نفسه مفسد لغيره، وما قاله موسى عليه السلام هو موقف المؤمنين الحق ولكن النفس البشرية تخاف عادة من تهديد صاحب السلطة، فخاف بنو إسرائيل؛ لأنهم كانوا قبل مجيء موسى مستضعفين في يد فرعون، كما بينا من سياق القصة فلما بعث موسى عليه السلام قوى رجاءهم في زوال تلك المتاعب، فلما

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥٣/٥.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٨/٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

سمعوا إعادة تهديد فرعون عظم خوفهم وحزهم ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾<sup>(١)</sup> على سبيل الشكاية، واستشارة موسى ليدعو ربه أن يفرج كربهم<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا الرد السفيه من قوم موسى عليه السلام، نراه يرد عليهم بما يليق به ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>؛ فتكونون الذين يرثون ملك الأرض، والذين تكون لهم العاقبة، وهذا الاستخلاف للامتحان ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> والمعنى التحذير من أن يعملوا ما لا يرضى الله تعالى والتحريض على الاستكثار من الطاعة ليستحقوا وصف المتقين، تذكيرا لهم بأن الله تعالى عليم بما يعملونه<sup>(٥)</sup>.

مضي موسى عليه السلام عِدَّة سنين يدعو إلى الله، ويعيد محاولته مع فرعون أن يطلق بني إسرائيل، وفرعون وملئه في سكرة الملُّك، فيذيقه الله تعالى ألواناً من العذاب، قبل حلول عذاب الاستئصال للتحذير وتنبهه من بعده من السامعين ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾<sup>(٦)</sup> والأخذ هنا في معنى القهر والغلبة<sup>(٧)</sup>.

والسنين يعني الجذب وهذا معروف في اللغة، يقال: أصابتهم سنة، أي: جذب. وتقديره: جذب سنة، وفي الحديث «... اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف»<sup>(٨)</sup>، والسنة هنا بمعنى الجذب لا بمعنى الحول<sup>(٩)</sup>؛ فنقصت الثمار، وقل إنتاجها، على غير عادتها

(١) سورة الأعراف: ١٢٩.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦١/٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥٥/٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦٢/٩.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٣٠.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦٣/٩.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، ص ٢٥٥، الحديث رقم (٨٠٤) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٩٣/٢.

في أرض مصر التي تفيض بالخصب والعتاء، وهذه المصيبة التي أصاب الله بها فرعون وقومه ليلجئ فرعون وقومه إلى التنبية واليقظة فيتضرعوا إلى الله - عز وجل -.

ولكن بين الحق تبارك وتعالى أن آل فرعون لم يعتبروا بهذا الأخذ والامتحان وإنما ازدادوا تمرداً وكفراً قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾<sup>(١)</sup> والحسنة هي الأمر الذي يأتي من ورائه الخير، فإذا جاءهم الخصب والرزق وزيادة الثمار قالوا: هذا لنا بما نستحق من العمل والمعرفة والتفوق، وإن أصابتهم سيئة من جذب، وقحط تشاءموا، وقالوا: هذا بسبب ما جاء به موسى من الدين الجديد، وغفلوا عن سيئاتهم وفساد أعمالهم وشرو أنفسهم، وهذا من تمام العماية في الضلالة ولذلك كان التطير من شعار أهل الشرك.

وفي هذه الآيات تنبيه للأمة للنظر فيما يحيط بها من دلائل غضب الله فإن سلب النعمة للمنع عليهم للتنبية لهم على استحقاقهم إعراض الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

ويرد الله عليهم: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَأَّرْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> استئناف مسوق للرد على خرافاتهم وأباطيلهم. وصدر بلفظ «ألا» الذي يفيد التنبية لإبراز كمال العناية بمضمون هذا الخبر.

أي: إنما سبب شؤمهم هو أعمالهم السيئة المكتوبة لهم عند الله، فهي التي ساقط إليهم ما يسوءهم وليس لموسى ولا لمن معه أي تدخل في ذلك. وهو من عند الله وهو حكمه ومشيبته ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)(٥)</sup>، ثم تحكي السورة الكريمة أن آل فرعون قد لجوا في طغيانهم يعمهون فقالت ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)(٧)</sup>، فهم يصرون على التكذيب مهما رأوا من بينات خشية ذهاب ملكهم وسلطانهم، ولأن الحق يخالف هواهم ومصالحتهم، فعاندوا موسى حين تحداهم بها؛ لذا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦٤/٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥٨/٥ بتصرف.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٣٢.

(٧) طنطاوي، مرجع سابق، ٢٥٨/٥.



عاقبهم الله - تبارك وتعالى - على كفرهم وتكذيبهم وجرائمهم، فأرسل ﴿عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾<sup>(١)</sup> والطوفان ما طاف بهم، وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر وسيل، فهو اسم جنس من الطواف، وقد اشتهر في طوفان الماء<sup>(٢)</sup>، وأما ﴿الْجَرَادَ﴾ فأكل زروعهم وثمارهم وأعشابهم، حتى ترك أرضهم سوداء قاحلة، وأما ﴿الْقُمَّلَ﴾ وهو ضرب معروف من الحشرات المؤذية<sup>(٣)</sup>، فدخلت جلد الحيوان والإنسان فامتصت دمه، وأرسلنا عليهم ﴿الضَّفَادِعَ﴾ فدخلت بيوتهم، وامتألت منها أنتيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم فلا يقدرّون على الرقاد بسبب نقيقتها، وأرسل عليهم الدم، قيل: رعاف أصابهم وتفشى فيهم، وقيل: صارت مياه الأنهار مختلطة به؛ فمات السمك فيها. تلك هي النقم التي أنزلها الله تعالى على هؤلاء المجرمين، بسبب فسوقهم عن أمر ربهم، وتكذيبهم لنبيه عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

ثم وضحت الآية في نهايتها موقفهم من هذا الابتلاء وتلك العقوبات فقالت: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ولم يؤمنوا وتكبروا على دين موسى والتصديق بآياته فأجرموا في حق أنفسهم، وقطعوا ما بينهم وبين الأيمان ثم بين سبحانه حالهم عند نزول العقاب بهم فقال: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٦)</sup> وهو ما نزل عليهم من آيات العذاب المتقدمة المذكورة، واللام في (الرجز) للعهد أي العذاب المذكور وهو ما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ إلى قوله ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾<sup>(٨)</sup>، وكان آيات العذاب كلها واحدة، وكان النكت منهم مرة واحدة، ذلك أن التجارب كلها معهم كانت واحدة، وكانت نهايتها واحدة كذلك، لقد كان قوم

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٣.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٢٣/٩.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥٩/٥.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٥٩/٥.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٦٠/٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٣٤.

(٧) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٦٠/٥.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦١/٥.

فرعون على جاهليتهم وإشراكهم، وعلى استخفاف فرعون بهم، يلجئون إلى موسى عليه السلام ليدعوا ربه بما عهد عندهم من النبوة والرسالة والتأييد بالمعجزات وهذا هو الشعور الفطري حتى في النفوس الكافرة في ساعات الخطر والشدة، يتجهون إلى الله بالدعاء أن يكشف عنهم البلاء، ويعدونه بالتوبة والاستقامة، كما قال قوم فرعون: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(١)</sup>، ثم بين سبحانه موقفهم الجحودي فقال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوقُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ أي: فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد مرة إلى الوقت الذي أجل لهم وهو وقت إغراقهم في اليم؛ إذا هم ينقضون عهدهم الذي التزموه ويختنون في قسمهم في كل مرة<sup>(٢)</sup>.

﴿فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمُ طَرْفًا فِي الْيَمِّ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا على العبرة من القصة، وتلك كل المواقع في عطفه لهاء الترتيب والتسبب<sup>(٤)</sup>، أي نتيجة تكذيبهم وعنادهم وطرداهم على الكفر، ولا تقام هو غضب الله على النعي والعقوبة لثبوتية بل أن هلاكهم بالعقوبة في اليم ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَكَفَرُوا بِعَهْدِنَا﴾<sup>(٥)</sup> والباقي (بأنهم) للمسيبة أي أتعرفهم جزاء تكذيبهم بآياتك، والعلة عنها بلا حوصل عن التفكير والظرفي لآياتك صلق موسى<sup>(٦)</sup>.

والقرآن هنا يسوق حادث إغراق فرعون وملئه بصورة مجملة فلا يفصل خطواته كما فصلها في مواطن أخرى، وذلك لأن المقام هنا هو مقام الأخذ الحاسم بعد الإمهال الطويل فلا داعي إذن إلى طول العرض والتفصيل إن الحسم السريع هنا أوقع في النفس، وأرهب للحس، وأزجر للقلب، وأدعى إلى العظة والاعتبار<sup>(٧)</sup>، ثم بين سبحانه مظاهر فضله وكرمه على بني إسرائيل بعد أن بين نهاية فرعون وآله فقال: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾<sup>(٨)</sup> ثم ختمت الآية بقوله تعالى:

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٥.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٦٠/٥ - ٣٦١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٦.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ٧٤/٩ بتصرف.

(٥) ابن عاشور، مرجع سابق، ٧٥/٩ بتصرف.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٦٢/٥.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(١)</sup> من بناء القصور الشاهقة والمنازل القوية، وما كانوا يرفعون من البساتين والصورح المشيدة، كصرح هامان وغيره<sup>(٢)</sup> وهكذا تنهي السورة الكريمة هذا الدرس بذكر ما أصاب الظالمين والغادرين وحال كل من يغتر بملكه وجاهه من دمار وخراب، وما أصاب المستضعفين الصابرين من خير واستخلاف في الأرض.

**وتحكي سورة طه فصلاً آخر من فصول الملك الفاسد المفسد من قصة موسى عليه السلام وفرعون ذلك الطاغية؛ فلما أظهر الحق تبارك وتعالى لموسى عليه السلام الآيتين وهما العصا واليد، وعلم أنه مؤيد من الله تعالى، أمره الله بالأمر العظيم، وهو مواجهة أعظم ملوك الأرض يومئذ بالموعة، وبإصلاح فساد حاله وإنه ليعرف من هو فرعون، فقد تربى في قصره وشهد طغيانه وجبروته، وأمدته الله تبارك وتعالى بمعين من أهله، هارون أخيه بعد أن طلب موسى عليه السلام ذلك، فامتن الله تبارك وتعالى على موسى عليه السلام بأن أجاب طلبه. ثم أمرهما الرب تبارك وتعالى بحمل الرسالة إلى فرعون فقد طغى وبغى وتجبر وعتا عتوا كبيراً واستبد في قومه، واتخذ نفسه إلهاً، وكان طغيانه هذا سبباً في فساد ملئه وشعبه، وانتشار الظلم في الأرض، وأمرهما رب البرية أن يقولوا له قولاً ليناً لطيفاً لعله يعرف الحق ويختار الطريق الصحيح عن اقتناع وفهم، أو يخشى حلول العذاب وسوء المصير وعاقبة الطغيان فيستقيم.**

ولما وصل موسى أرض مصر، وأشرك معه هارون في الرسالة لم يكن لهما هم إلا تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى، وكانت بنو إسرائيل في مملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة، من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء<sup>(٣)</sup>. فكانت رسالتهما إلى فرعون استنقاذ بني إسرائيل ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> واستشهدا على صدقهما بقولهما: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾<sup>(٥)</sup> وهذه الآية والمراد بالآية

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ٣٦٣/٥.

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ٤٣٥/٢.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٧.

هنا: جنسها فتشمل العصا واليد وغيرهما من المعجزات التي أعطاها الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام<sup>(١)</sup>. ورغبا فرعون بقولهما: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعِ الْهُدَى﴾<sup>(٢)</sup> إذ يسلمه الله في الدنيا من عذابه، ويسلمه في الآخرة بدخوله دار السلام والأمن إذا اتبع الهدى الذي أرسل الله تعالى به موسى وهارون عليهما السلام.

ثم يعرض بالتحذير والتهديد على التكذيب قبل حصوله منه، فيقولان له: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾<sup>(٣)</sup> وهذا من أسلوب القول اللين الذي أمرهما الله تعالى به.

بيد أن فرعون لطغيانه وجبروته لا يريد أن يعترف بأن ربا موسى وهارون عليهما السلام هو ربه وخالقه كما قال له قبل ذلك ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾<sup>(٤)</sup> فشرع يسأل موجهاً الكلام إلى موسى عليه السلام لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره، أو أنه لخبثه ومكره تجنب مخاطبة هارون عليه السلام لعلمه أنه أفصح لساناً من موسى عليه السلام<sup>(٥)</sup> فقال: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾<sup>(٦)</sup> وهذا القول يدل على نهاية الغرور والفجور والجحود وشبيه بذلك قوله سبحانه حكاية عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(٧)</sup> ولم يقل: فمن ربي؟ كي لا يعترف بأن له رب، فأجاب موسى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٨)</sup> سبحانه هو الذي أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه في معاشهم، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع بما أعطاهم، كما أعطى كل نوع من أنواع خلقه الصورة التي تناسبه، والشكل الذي يتناسب مع جنسه<sup>(٩)</sup>.

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٠/٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٢/٩.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٢/٩.

(٧) سورة طه، الآية: ٤٩.

(٨) سورة القصص، الآية: ٤٩.

(٩) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٣/٩.

(١٠) سورة طه، الآية: ٥٠.

(١١) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٤/٩.

وهنا يبعد فرعون لي لم يتجد كلام موسى عليه السلام وتعهده ﴿قَالَ فَمَا بَلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (١) و(الب) كلمة تطلق على الملل، قل تعالى: ﴿كُرِعَتْ لَهُمِ سِيَّاهِمُ وَمَنْعَاحُ بِلَهُمُ﴾ (٢) أي: ما حلل القرون لأولى، كهم فوح وعدو ثمود الذين كانوا أنبياءهم (٣).

ويجوز أن يكون المعنى أن فرعون قصد من هذا السؤال إشعال العصبية في قلوب أبنائهم إذا قال موسى إنهم في النار، لكن موسى عليه السلام ﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (٤) رد عليه بما يخرس لسانه ويبتل كيده فعلم حال هذه القرون الأولى محفوظ عند ربي وحده، وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من حالهم، وسيجازيهم بما يستحقون من ثواب أو عقاب (٥).

ثم يعرض موسى عليه السلام آثار تدبير الله في الكون ونعمه على الإنسان فيقول: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ (٦) مسهلة للسير والجلوس ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (٧) شق لكم فيها طرقا بين الجبال والأودية كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٨)، ولما ذكر منة خلق الأرض شفعتها بمنة إخراج النبات منها بما يتزل عليها من السماء من ماء ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (٩).

وبعد أن أشار إلى عظمة خلق الأرض ودلالاتها على وجود الصانع ووحدانيته وهي ممهدة للسير والحرث والزرع والحياة قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ والمعنى: إن في كل ذلك لآيات وعظات وعبر لأصحاب العقول السليمة والأفكار القويمة (١٠).

(١) سورة طه، الآية: ٥١.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١٤/٩.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٥/٩.

(٦) سورة طه، الآية: ٥٣.

(٧) سورة طه، الآية: ٥٣.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(٩) سورة طه، الآية: ٥٣.

(١٠) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٦/٩.

ثم بين سبحانه أن هذه الأرض منها خلق الإنسان، وإليها يعود، ومنها يبعث للحساب يقوم القيامة، فقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾<sup>(١)</sup> بيان للموقف الجحودي الذي وقفه فرعون من الحجج والآيات التي طرحها أمامه موسى عليه السلام<sup>(٢)</sup>. وتأكيد الآيات بأداة التوكيد (كلها) لزيادة التعجيب من عناده<sup>(٣)</sup>.

بل إن الطاغية جعل علة مجيء موسى إليه قصده أن يخرجها وملئه من أرض مصر ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾<sup>(٤)</sup> واتهم موسى بالسحر وأن الآيات التي جاء بها هي من أعمال السحر، ولذلك قال لموسى ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾<sup>(٥)</sup> وكان السحر حينئذ هو القوة المرهبة للناس وقصد فرعون من مقابلة عمل موسى بمثله أن يزيل ما يخالج قومه من تصديق موسى وكونه على الحق، لعل ذلك يفضي بهم إلى الثورة على فرعون وإزالته من حكم مصر، وفرع على ذلك طلب تعيين موعداً بينه وبين موسى ليحضر له فيه القائمين بسحر مثل سحره<sup>(٦)</sup>؛ فقال له فرعون: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾<sup>(٧)</sup>، وهكذا طلب فرعون من موسى عليه السلام تحديد موعد للمنازلة مع السحرة وترك له اختيار ذلك الموعد للتحدي، وشدد عليه عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي، وأن يكون الموعد في مكان نصف من المدينة، لئلا يشق الحضور فيه على أهل أطراف المدينة<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة طه، الآية: ٥٥.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٧/٩.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٤٢/١٦.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٧.

(٥) سورة طه، الآية: ٥٨.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٤٥/١٦.

(٧) سورة طه، الآية: ٥٨.

(٨) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٤٦/١٦.

قَبْلَ مُوسَى تَحْدِي فِرْعَوْنَ وَ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى﴾<sup>(١)</sup> وكان هذا اليوم يوم عيد عظيم عند القبط، واختار موسى هذا الوقت وهذا المكان ليكون أجمع للناس، واختار وقت الصباح الباكر لأنه وقت أكثر مشاهدة وأوضح رؤية.

بادر فرعون بالاستعداد لهذا اليوم، حيث أرسل إلى المدائن لجمع من عرفوا بعلم السحر قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾<sup>(٢)</sup>. وتسجل هذه الآية ثلاثة أعمال لفرعون متواليات: ذهاب فرعون عن المجلس الذي دار بينه وبين موسى، وتدبير أسلوب المناظرة مع موسى من إعداد الحيل لإظهار رغبة السحرة عليه، وتحميسهم ووعدهم بالمكافأة وإقناع الحاضرين بأن موسى عليه السلام ليس على شيء.

ثم حضر الموعد بعد مضي مهلة الاستعداد، ورأى موسى قبل الدخول في المباراة أن يبذل لهم النصيحة وأن يحذرهم عاقبة الكذب والافتراء على الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾<sup>(٣)</sup> فرأى من واجبه تغيير المنكر بلسانه بأقصى ما يستطيع؛ لأن ذلك التغيير هو المناسب لهذا المقام، وكلمة (ويلكم) يجوز أن تعني أحذركم، والمعنى: أن موسى قال للسحرة الذين التقى بهم وجهاً لوجه بعد أن حشدهم فرعون أمامه: الويل والهلاك لكم، لا تفتروا على الله تعالى كذباً، بأن تقفوا في وجهي، وترعموا أن معجزتي هي نوع من السحر، فإنكم لو فعلتم ذلك أهلككم الله تعالى وأبادكم بعذاب عظيم من عنده وقد خاب وخسر من قال على الله تعالى قولاً باطلاً لا حقيقة له.

ويبدو أن هذه النصيحة الصادقة المخلصة كان لها أثرها الطيب في نفوس بعض السحرة بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: وبعد أن سمع السحرة من موسى نصيحته لهم وتهديده إياهم اختلفوا فيما بينهم، ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: وبالغوا في إخفاء ما يسارون به عن موسى وأخيه عليهما السلام<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة طه، الآية: ٥٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٦١.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢٢/٩.

ودعا بعضهم بعضاً للتشاور فيما يصنعون بعد تنازعهم في الرأي، ثم اعتمدوا على الإطماع بالأجر الكبير الذي سينالونه من فرعون و﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾<sup>(١)</sup> وأكدوا كلامهم — (إن) كون موسى وهارون ساحرين حتى يتحقق ذلك عند من يغامر الشك في صحة دعوتكما وإن فوزهما يعني خروج السلطة من أيديكم وانتهاء حياتكم المفضلة، قال الزمخشري: أرادوا أهل طريقتكم المثلى وهم بنو إسرائيل وقيل: الطريقة اسم لوجوه الناس وإشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم<sup>(٢)</sup>، وهذا يوجب مواجهتهما يداً واحدة بلا تردد ولا نزاع ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا﴾<sup>(٣)</sup> أي: ثم اتوا جميعاً مصطفين، حتى يكون أمركم أكثر هيبة في النفوس وأعظم وقعاً على القلوب، وادعى إلى الترابط والثبات وقوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ تذييل مؤكد لما قبله، أي قد أفلح وفاز بالمطلوب في يوم التزال من طلب العلو، وسعى من أجله واستطاع أن يتغلب على خصمه<sup>(٤)</sup>.

وحانت ساعة المبارزة وحدث ما حدث مما فصلنا فيه سابقاً والذي انتهى بإسلام السحرة وما فعل فرعون عندما رأى إيمانهم ووقوف السحرة بعد إيمانهم أمام فرعون وتوعده وتهديده لهم وقفة أهل الإيمان الذين ينظرون إلى الأرض وما عليها أنها متاع زائل.

وأجرى موسى معجزات عديدة خلال عدة سنين مع فرعون وملئه، وكانوا كل مرة يعتبرونها نوعاً من أنواع السحر، ويستكبرون على الإيمان بنبوة موسى وهارون وقد تقدم ذكرها في سورة الأعراف، ثم يأتي الإيحاء لموسى لينتصر الحق على الباطل، والإيمان على التهديد والوعيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾<sup>(٥)</sup> أي: ولقد أوحينا إلى عبدنا موسى — عليه السلام — وقلنا له: سر بعبادي من بني إسرائيل في أول الليل متجها بهم من مصر إلى البحر الأحمر؛ فإذا ما وصلت إليه فاجعل لهم طريقاً في البحر يابسا.

(١) سورة طه، الآية: ٦٣.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، ٤٣٩ / ٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٤.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢٣ / ٩.

(٥) سورة طه، الآية: ٧٧.



وقوله سبحانه: ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾ تذييل قصد به تثبيت فؤاد موسى - عليه السلام- وإدخال الطمأنينة على قلبه؛ فالآية الكريمة اشتملت على كل ما من شأنه أن يغرس الأمان والاطمئنان في قلب موسى ومن معه<sup>(١)</sup>.

ثم بين سبحانه موقف فرعون بعد أن علم بأن موسى قد خرج بقومه من مصر فقال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> أي: بعد أن علم فرعون بخروج موسى وبني إسرائيل من مصر، جمع جنوده وأسرع في طلب موسى ومن معه فكانت نتيجة ذلك، أن أغرق الله تعالى فرعون وجنوده في البحر وأهلكهم عن آخرهم<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب الكشاف: قوله تعالى: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة. أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾<sup>(٥)</sup> أي: وأضل فرعون في حياته قومه عن طريق الحق، وما هداهم إليها وإنما هداهم إلى طريق الغي والباطل، فكانت عاقبتهم جميعاً الاستئصال والدمار<sup>(٦)</sup>.

وأما سورة الشعراء التي غلبت عليها الطابع القصصي بما فيه الإنذار والتكذيب والعذاب الذي يتبع التكذيب، وذلك أن السورة تواجه تكذيب مشرقي قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزاءهم بالندر، وإعراضهم عن آيات الله واستعجالهم بالعذاب الذي يوعدهم، وادعاءهم أن القرآن سحر أو شعر، لذا جاءت آياتها قصار للزجر والردع وشدة التأثير.

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ٩/ ١٣١ و ١٣٢ بتصرف.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٨.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ٩/ ١٣٢.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ٣/ ٧٨.

(٥) سورة طه، الآية: ٧٩.

(٦) طنطاوي مرجع سابق، ٩/ ١٣٣.

وابتدأت بقصة موسى لما كان مشركو مكة قد ألحوا بطلب الآيات المادية، كآيات موسى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾<sup>(١)</sup> فقدم الله تعالى هنا قصته للدلالة على أن الآيات المادية لم يكن لها تأثير على قوم معاندين مكابرين، بينهم وبين معاندي كبراء قريش شبه كبير.

وتكلم القرآن عن بعثة موسى والوحي والتكليف في أول السورة، ثم انتقل إلى محاورة موسى مع فرعون الطاغية في شأن التوحيد، ويعجب فرعون من موسى وهو يواجهه بهذه الدعوة ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك الطلب ﴿أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٣)</sup> فقال: فرعون لموسى -عليه السلام- بعد أن عرفه، وبعد هذا الطلب ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّبْنَا فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْنَا فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> والاستفهام هنا تقريرى<sup>(٥)</sup>، فهل جزاء التربية والتكريم التي لقيتها عندنا وأنت وليد؟ واليوم تأتي لتخرج على المالك الذي نشأت في بيته، ويذكره بحادث مقتل القبطي ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾<sup>(٦)</sup> دون أن يذكرها وعبر عنها بالموصول ﴿الَّتِي﴾ لعلم موسى بها، وفي ذلك تهويل للفعلة يكتن به عن تذكيره بما يوجب توبيخه<sup>(٧)</sup>، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال الزمخشري: من الكافرين بالنعمة ومن كانت عاداته كفران النعمة لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعاً منه، أو من الكافرين لفرعون وآلهته ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَرِكْ وَالْهَتِكْ﴾<sup>(٨)(٩)</sup>.

أجاب موسى -عليه السلام- دون أن يتأثر بكلام فرعون: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾<sup>(١٠)</sup> فتذكيري بها بعد زمن طويل لا جدوى له، وكنت زمنها من الجاهلين قبل

(١) سورة القصص، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٦.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٧.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٨.

(٥) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١١ / ١٩.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٨.

(٧) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١٢ / ١٩.

(٨) الزمخشري، مرجع سابق، ٣ / ١١٠.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.

(١٠) سورة الشعراء، الآية: ٢٠.

أن يوحى إلي ويُنعم الله علي بالرسالة والنبوة ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾<sup>(١)</sup> حين أخبرني رجل فقال لي: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾<sup>(٢)</sup> فوليت هارباً خوفاً من بأسكم ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم أضاف موسى -عليه السلام- إلى هذا الرد الملزم لفرعون رداً آخر أشد إلزاماً وتوبيخاً فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٤)(٥)</sup>.

واستعمل اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ للدلالة على احتقارها بجانب الاستعباد الذي فرضه على بني إسرائيل، حيث جعلهم عبيداً له ولقومه، وإن كان بعض العلماء ذهب إلى أنه قاله على وجه الاعتراف له بالنعمة، ويبدو أن الرأي الأول أقرب إلى الصواب، لأنه هو المناسب لسياق القصة.

لما وجد فرعون أن تهويله على موسى لم يُجد ولم يقلعه عن دعوته، عدلَ ليسأله عن دعوته في تجاهل وهزاء ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وهذا السؤال يدل على طغيان فرعون قبحة الله وتجاوزته كل حد في الفجور، فإن هذا السؤال يحمل في طياته استنكاراً أن يكون هناك إله سواه<sup>(٧)</sup>؛ فأجابه موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾<sup>(٨)</sup> أي رب السماوات والأرض، ورب ما بينهما من أجرام وهواء إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء، فإيمانكم بهذا الخالق العظيم وإخلاصكم العبادة له أولى من كل يقين سواه<sup>(٩)</sup>.

لم يعجب الجواب فرعون، والتفت إلى خاصته ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠ / ٢٣٩.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢٣.

(٧) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠ / ٢٤١.

(٨) سورة الشعراء، الآية: ٢٤.

(٩) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠ / ٢٤١.

(١٠) سورة الشعراء، الآية: ٢٥.

ولكن موسى -عليه السلام- لم يمهلهم حتى يردوا على فرعون بل أكد لهم وحدانية الله تعالى وهيمنتته على هذا الكون ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾<sup>(١)(٢)</sup>.

وما فرعون إلا واحد من عبيده، وليس إله كما يدعي بين قومه وأنه ربه بل ربه ورب آبائهم الأولين هو رب العالمين، احتد فرعون لما ذكر موسى ما يشمل آبائه المقدسين بذكر يخرجهم من صفة الإلهية زاعماً أن هذا يخالف العقل بالضرورة فلا يصدر إلا من محتل الإدراك<sup>(٣)</sup>، فقال على سبيل السخرية بموسى مخاطباً أشراف قومه ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٤)(٥)</sup> وأكد كلامه بحرفي التأكيد ﴿إِنْ﴾ و«اللام» كيلا يتأثروا أو يتأثر بعضهم بصدق موسى فرماه بأنه يخلط في كلامه.

لكن موسى -عليه السلام- لم يلتفت إلى قول فرعون وتابع بيانه فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> واللفظ يدل على الشروق والغروب المشاهد كل يوم مرتين، ويجوز أن يراد بهما مكان شروق الشمس ومكان غروبها في الأفق<sup>(٧)</sup>، وجملة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ حض لهم على التعقل والتدبير، وتحذير لهم من التماذي في الجحود والعناد<sup>(٨)</sup>، ولما هزم فرعون أمام حجة موسى انتقل من أسلوب المحاوراة إلى أسلوب التهديد والوعيد شأن الطغاة عندما يعجزون عن دفع الحجة بالحجة؛ فقال لموسى -عليه السلام-: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٩)</sup> أي: لأجعلنك واحداً من المسجونين في سجني فهذا شأني مع كل من يتمرّد على عبادتي ويخالف أمري<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٦.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ١٠ / ٢٤١.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٩ / ١١٩.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٧.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ٩ / ٢٤١.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢٨.

(٧) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٩ / ١٢٠.

(٨) طنطاوي، مرجع سابق، ٩ / ٢٤٢.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ٢٩.

(١٠) طنطاوي، مرجع سابق، ٩ / ٢٤٢ بتصرف.

ولما طل مقام موسى عليه السلام - يلا مصر، وأقام بها حتى أحب الله وولاه فيه على  
فرعون وملئه، وهم في تلك يكلمون ويحلمون، ولم يبق لهم إلا العذب والذكل فأمر الله  
تعالى موسى عليه السلام - أن يخرج بني إسرائيل ليلا من مصر، وأن يعزي بهم حيث أمر.

علم فرعون بخروج بني إسرائيل دون إذنه فغاضه ذلك الأمر واشتد غضبه ﴿فَأَرْسَلَ  
فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي: فأرسل جنوده ليجمعوا له الناس من المدائن  
المتعددة في مملكته، وبعد أن اكتمل عددهم أخذ في التهوين من شأن موسى ومن معه؛  
فقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي إن هؤلاء الذين خرجوا بدون إذني وإذنيكم،  
لطائفة قليلة من الناس الذين هم بمنزلة العبيد والخدم لي ولكم<sup>(٣)</sup>، والشرخمة: الطائفة الضليلة  
من الغل هكذا فردهم لخصون من أئمة اللغة فإتبعه وصف «قليلون» للتأكيد لضع احتمال  
لنعمتهم في تحير الثنك أو بالنسبة إلى جنود فرعون<sup>(٤)</sup>؛ فيسهل متابعتهم وأسرهم أو قتلهم  
أو إعادتهم إلى العبودية، وقد خالفوا ديننا وارتكبوا أفعالا تُغيظنا وتُضيقُ صدورنا ﴿وَأَنَّهُمْ  
لَنَا لَغَائِظُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور ﴿وَأَنَّا  
لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

فجمع فرعون الجموع الغفيرة، وخرجوا من النعيم إلى الجحيم، وتركوا البساتين  
الحضراء في مصر ومنازلهم الفخمة والمُلْك والجاه، فساروا مسرعين خلف موسى ومن  
معه كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾<sup>(٧)</sup> فلحقوا  
بهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي: في وقت شروق الشمس.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٥٤.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ٩/ ٢٤٩.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٩/ ١٣٠.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٥٥.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٥٦.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٥٧-٥٨.

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقد أيقنوا بالهلاك البحر من أمامهم والعدو من خلفهم، وهنا رد عليهم موسى -عليه السلام- بثقة وثبات، رداً يدل على قوة إيمانه، وثبات يقينه، وثقته التي لا حدود لها في نصر الله تعالى، وفي هدايته إياه إلى طريق الفوز والفلاح ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولم يجل انظر موسى عليه السلام -لصو الله تعالى لي جالساً معاً متصلاً في قوله تعالى: ﴿فَوَحَّيْنَا إِلَى مُوسَى نِظْرًا بِهَذَا الْبَحْرِ فَطَقْنَا فَهَكَذَا كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> فلما موسى عليه السلام ومن معه في الطريق اليلس بين أمواج البحر بقلوة لله تعالى ﴿وَوَرَّكْنَا تَمَّ الْأَحْرِينَ﴾ أي قربنا بطورتنا وحكمتنا لأحريين وهم فوعون وحسوده فحلوا في الطريق خلفهم التي سلكوا بين أمواج البحر فحى لله تعالى موسى ومن معه ﴿وَأُوحِيَنا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ثم أَوْفَا الْأَحْرِينَ<sup>(٥)</sup> وغرق فوعون وجوده.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾<sup>(٦)</sup> مضت في الزمان، تتحدث عنها القرون، قصة ذلك الملك المتجبر الطاغية الذي اغتر بملكه، وما فيها من العجائب والعبث والعظاات والآيات الدالة على قدرة الله تعالى، وكيف كان مصير العناد والمكابرة.

وأما سورة يونس فإنها تبدأ بتمجيد القرآن بأنه كتاب حكيم: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٧)</sup> وتستنكر موقف المشركين في مكة الذين يتعجبون من أن يكون رسول الله رجلاً من الناس، يُنذِرُ الكافرين منهم بعذاب الله ويبشر الذين آمنوا بأن لهم قدم صدق عند ربهم قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ٢٥٢/٩ بتصرف.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٦٥ - ٦٦.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٦٧.

(٧) سورة يونس، الآية: ١.

(٨) سورة يونس، الآية: ٢.

وإذ أدهشهم القرآن بما فيه من إعجاز، زعموا أنه من قبيل السحر، وقالوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(١)</sup>، وموقفهم هذا يشبه موقف فرعون وقومه من دعوة موسى واتهامه بالسحر.

ثم تعرض السورة قصص بعض الرسل مع أقوامهم المكذبين، وتعرض قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وقومه من مرحلة التكذيب والتحدي حتى نهايتها وغرق ذلك الطاغية فرعون وجنوده لتكون لأهل مكة وغيرهم عبرة وعظة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ويرى كثيراً من المفسرين أن المراد بالآيات التي بعث بها موسى - عليه السلام - لفرعون هي الآيات التسع<sup>(٣)</sup>، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٤)</sup> كأنها جملة واحدة يتعارف عليها المكذبون في جميع العصور، وكذلك قال مشركو قريش على تباعد زمانهم ومكانهم، وعلى بعد ما بين معجزات موسى ومعجزات القرآن.

﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالسحر لا يستهدف الحق وهداية الناس، ويتضمن عقيدة، وما كانوا ليفلحوا وكل عملهم تخيل وتزييف، وهنا يكشف فرعون وقومه علة عدم قبول دعوة موسى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾<sup>(٦)</sup> والاستفهام في قوله: ﴿أَجِئْنَا﴾ للإنكار<sup>(٧)</sup>.

لجئنا وطلع هذا البحر لخصر فناعن عمالنا وطم حياتنا التي ورثناها عن آباءنا؟ إن عيبتهم هي التقليد للأعمى، العلة للتكررت في كل عصر، والتي تقوم على معتقدك بطللة مزيفة وأوهام وخرافات، ولم يكفوا بجناحيهم موسى وهارون بل حرص على طلب الدنيا

(١) سورة يونس، الآية: ٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٧٥.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ١١٠ / ٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٧٦.

(٥) سورة يونس، الآية: ٧٧.

(٦) سورة يونس، الآية: ٧٨.

(٧) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٥٠ / ١١.

والوصول إلى الريلة حكاية لقولهم: ﴿وَتَكُونُ كَمَا لُكِّرِبَاءٌ فِي الْفُجْرِ﴾<sup>(١)</sup>، إنهم  
الغف على الملك والطلان في لأخر، والغف على مكلمهم ورهبهم في قلب النل.

وأراد فرعون مقاومة دعوة موسى، فاستعان بالسحرة لمعارضة معجزة موسى -عليه  
السلام-، فأمر بإحضار حُذاق السحرة ليُظهر للناس أن ما أتى به موسى نوع من السحر  
فيصد الناس عن الإيمان به وأتباعه.

ووقعت المباراة بين المعجزة والسحر، وأبطل الله -تبارك وتعالى- كيد السحرة.  
وأعلن السحرة إيمانهم برب موسى وهارون، لأنهم أعرف الناس بفنون السحر فعلموا أن  
هذا ليس بسحر؛ فلم يُرهبهم تهديد فرعون، بينما بقية الحاضرين مازالت فكرة ألوهية  
فرعون مسيطرة على عقولهم، ولذلك لم يعلنوا إيمانهم قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا  
ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> قيل: طائفة من أولاد قوم  
فرعون<sup>(٣)</sup>، وقال الزمخشري: من ذراري بني إسرائيل، وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه،  
خوفاً من فرعون، ومن ضياع مصالحهم عند أصحاب السلطان، وأجانبته طائفة من  
الشباب، وقيل: الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ لفرعون و ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ مؤمن آل فرعون وآسيا امرأته  
وخازنة وامرأة الخازن وماشطته<sup>(٤)</sup>، كل هؤلاء آمنوا بموسى وبما جاء به عن ربه على  
خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم إن أعلنوا إيمانهم بالتعذيب أو يردوهم إلى ما كانوا  
عليه.

﴿وَإِن فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٥)</sup> اعتراض تذييلي يؤكد  
لمضمون ما قبله، ومقرر لطغيان فرعون وعتوه، والمتجبرون والمسرفون يحتاجون في  
مقاومتهم إلى إيمان عميق، وإعتماد على الله تعالى وثيق، وثبات يزيل المخاوف ويطمئن  
القلوب إلى حسن العاقبة، ولذا قال موسى لأتباعه المؤمنين: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ

(١) سورة يونس، الآية: ٧٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٣.

(٣) جلال الدين محمد بن أحمد بن المحلى وجمال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ت: محمد كنعان، ط١،

(بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ)، ص ١٨٦.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ١٩٩ / ٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٨٣.



فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿١﴾<sup>(٢)</sup> أراد بذلك إثارة صدق إيمانهم وإلهاب قلوبهم حين تخوفوا من فرعون وملئه، وجعل عدم إكتراتهم ببطش فرعون علامة على إيمانهم.

فاستجابوا لما حثهم عليه من التوكل، وبادروا بالجواب: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾<sup>(٣)</sup> مشتملة على خصوصية القصر المقتضي تجردهم عن التوكل على غير الله تعالى وأشير إلى مبادرتهم؛ بأن عطفت جملة قولهم ذلك على مقولة موسى بفاء التعقيب؛ للأسلوب الغالب في حكاية جمل الأقوال الجارية في المحاورات أن تكون غير معطوفة؛ فحولف الظاهر لبيان صدق إيمانهم وسرعة الاستجابة<sup>(٤)</sup>، ومن ثم توجهوا بالدعاء إلى الله فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ناظرين في ذلك إلى مصلحة الدين قبل مصلحتهم لأنهم إن تمكن الكفرة من إهلاكهم أو تعذيبهم قويت شوكة أنصار الكفار فيقولون في أنفسهم: لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ما أصابهم فيفتتن بذلك عامة الكفرة ويظنون أن دينهم الحق<sup>(٦)</sup>. ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٧)</sup> فلا نعذب على أيديهم وخلصنا من القوم الكافرين.

وأوحى الله تعالى إلى موسى وهارون عليهما السلام أن يتخذا لبني إسرائيل بيوتا خاصة بهم، بعد أن لج فرعون في طغيانه وفي إنزال العذاب بهم، وهذه البيوت يتزلون بها، ويستقرون فيها، ويعتزلون فرعون وجنوده، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً<sup>(٨)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة يونس، الآية: ٨٤.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ٧/ ١١٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٥.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١/ ٢٦٣ بتصرف.

(٥) سورة يونس، الآية: ٨٥.

(٦) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١/ ٢٦٣.

(٧) سورة يونس، الآية: ٨٦.

(٨) طنطاوي، مرجع سابق، ٧/ ١٢٠.

(٩) سورة يونس، الآية: ٨٧.

قال الزمخشري: مساجد متوجهة نحو الكعبة<sup>(١)</sup>، وقيل: متجهة جهة بيت المقدس، ويؤيد هذا الاحتمال أن قبلة اليهود بيت المقدس<sup>(٢)</sup>، وقيل: أن تكون بيوتكم متقابلة<sup>(٣)</sup>.

وأمرهما مع قومهما أن يصلوا في بيوتهم بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(٤)</sup> لئلا يظهر عليهم الكفرة، فيؤذوهم في دينهم، ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup> بحسن العاقبة، وأنهم منصورون على عدوهم.

ولمَّا يئس موسى -عليه السلام- من فرعون وملئه أن يؤمنوا، ورأى أنهم مصرون على الجحود والعناد دعا عليهم: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا﴾<sup>(٦)</sup> أي: يا ربنا إنك أعطيت فرعون وأشرف قومه وأصحاب الرياسات منهم، الكثير من مظاهر الزينة والرفاهية والنعم، كما أعطيتهم الكثير من الأموال في هذه الحياة الدنيا<sup>(٧)</sup>؛ فكانت سبباً في حبهم الدنيا ونعيمها، وارتكاب الجرائم، فتركوا الدين وانحرفوا وراء الجاه والسلطان واستعبدوا الآخرين ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾<sup>(٨)</sup> اللام لام العاقبة والصورورة<sup>(٩)</sup>، أي: لتكون عاقبة هذا العطاء إضلال عبادك عن سبيلك الموصلة إلى مرضاتك باتباع الحق والعدل والعمل الصالح<sup>(١٠)</sup>، ثم أعاد موسى -عليه السلام- النداء زيادة في التوجه والتضرع: ﴿رَبَّنَا اطْمَسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(١١)</sup> والطمس هو الحو والإزالة<sup>(١٢)</sup>، وطمس الأموال إتلافها وإهلاكها بحيث لا ينتفع بها أصحابها وأما دعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ٢ / ٢٠٠.

(٢) حبيكة، عبد الرحمن بن حسن الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤٢٠-٢٠٠٠م)، ١٠ / ٢٢٠.

(٣) الطبري، مرجع سابق، ١١ / ٢٠٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٨٧.

(٥) سورة يونس، الآية: ٨٧.

(٦) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٧) طنطاوي، مرجع سابق، ٧ / ١٢٢.

(٨) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٩) طنطاوي، مرجع سابق، ٧ / ١٢٢.

(١٠) رشيد رضا، مرجع سابق، ١١ / ٤٧٣.

(١١) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(١٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١ / ٢٧٠.

يروا العذاب الأليم، فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب، ومن أن يكون لها توبة أو إنابة، دعاء بأن يزيد الله قسوة وإغلاقاً حتى يأتيهم العذاب الأليم، كقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾<sup>(١)</sup>.

ولما دعا موسى بهذا الدعاء وكان هارون يؤمن على دعائه، استجاب الله دعاه ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾<sup>(٢)</sup> وافتتاح الجملة بـ (قد) والفعل الماضي (أجيب) يفيد تحقيق حصوله في المستقبل، أي استجبنا دعاءكما كما سألتما من تدمير آل فرعون ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أي استقيما على أمري وأمضيا في دعوتكما الناس إلى الحق واثبتا على ما أنتم عليه من الإيمان بي والطاعة لأمرى<sup>(٤)</sup>.

ولما أجاب الله دعاء موسى وهارون، أمر بني إسرائيل بالخروج من مصر في الوقت المعلوم، فاشتد حنق فرعون عليهم، فركب وراءهم مع جنوده، فلحقوهم وقت شروق الشمس عند ساحل البحر الأحمر، فخاف أصحاب موسى فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ونجى موسى عليه السلام ومن معه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾<sup>(٥)</sup> ولما خرج آخرهم من البحر ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾<sup>(٦)</sup> ودخل البحر وراءهم للإحاطة بهم، ومنعهم من السفر ظلماً وعدواناً، وإكراههم على البقاء بغية تسخيرهم، ولما أصبحوا في وسط البحر، إنطبق عليهم البحر وغشيه من اليم ما غشيههم.

ثم حكا الحق سبحانه ما قاله فرعون عندما نزل به قضاء الله الذي لا يرد فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٧)</sup> أي: عندما انطبق البحر على فرعون، ولفه تحت أمواجه ولججه، حتى عاين الموت وأيقن أنه لا نجاة له منه قال آمنت وصدقت؛ بأنه لا معبود بحق سوى الإله الذي

(١) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٩.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢٥/٧.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٦) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٧) سورة يونس، الآية: ٩١.

أمنت به بنو إسرائيل وأنا من القوم الذين أسلموا نفوسهم لله وحده، وأخلصوها لطاعته<sup>(١)</sup> ويرد الله تعالى عليه ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> حيث لا اختيار ولا فرار، الآن وقد عصيت من قبل واستكبرت، وكنت من الفاسدين المفسدين الضالين المضلين؟! إن أيمانك لا يقبل ذلك وقد دخلت عتبة الدار الآخرة؛ فلقد قال كلمة الإيمان عند الإكراه والاضطرار، وحين لم يبق له إختيار، وكان زمن الامتحان قد انتهى.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾<sup>(٣)</sup>

لقد شاء الله تعالى أن يلفظ البحر جثمانه كما يلفظ جيفة أي حيوان غارق ﴿نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا﴾<sup>(٤)</sup> حتى لا يكون هناك شك أن هذا الفرعون قد غرق، فعرفوا أنه بشر وليس إله. ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾<sup>(٥)</sup> وعبرة يتعظ بها كل إنسان، ويرى كيف انهارت الحضارات بالظلم والطغيان والتكبر في الأرض بغير حق.

وأما سورة هود فقدم لقصة موسى التي وردت موجزة لتسجل نهاية فرعون وملئه، ونهاية الذين ائتمروا بأمره، تبدأ القصة بإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون مزودا بالآيات من عند الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾<sup>(٦)</sup> فتتابعت الآيات من المعجزات الدالة على وحدانية الله إلى فرعون وقومه، فما انتفعوا بها وعصوا أمر الله، وإتبعوا دين فرعون وما يأمرهم به، طائعين له. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾<sup>(٧)</sup> فما شأن فرعون بذي رشد ولا هدي، بل هو محض الغي والضلال وسيسيرون خلفه يوم القيامة ويقودهم إلى جهنم ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢٧/٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٦) سورة هود، الآية: ٩٦-٩٧.

(٧) سورة هود، الآية: ٩٧.

(٨) سورة هود، الآية: ٩٨.

إنه كان يقودهم في الدنيا إلى الضلال، وكما اتبعوه في الدنيا وكان قائدهم كذلك هو يتقدمهم يوم القيامة فيوردهم النار، و﴿الْوَرْدُ﴾ الماء المورود<sup>(١)</sup>، والورد للماء يفرح النفس ويرويهها من الظمأ، ولكن فرعون أوردتهم النار ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ﴾<sup>(٢)</sup> وفي هذا تمكّم شديد لفرعون وقومه، ومن اتبع طريقه ونهجه في الكفر والعناد.

ثم صرح سبحانه بلعنهم في الدارين فقال: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: أن اللعنة والفضيحة لحقت بهم واتبعتهم في الدنيا وفي الأخرى ﴿بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ والرفد العطاء والعون أي بئس العطاء المعطى لهم تلك اللعنة المضاعفة التي لا يستهم في الدنيا والآخرة، وسميت اللعنة رفاً على سبيل التهكم بهم فكأنه سبحانه يقول: هذه اللعنة هي العطاء المعطى من فرعون لأتباعه الذين كانوا خلفه كقطع الأغنام الذي يسير خلف قائده بدون تفكر وتدبر<sup>(٣)</sup>.

أما سورة غافر فتعرض جانب من قصة موسى عليه السلام وفرعون كتسليية للرسول صلى الله عليه وسلم وتذكير للمجادلين في آيات الله من مشركي العرب وغيرهم بعبارة التاريخ قبلهم، وكيف كانت عاقبتهم مع كونهم أشد منهم قوة.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾<sup>(٤)</sup> وخص هؤلاء الطغاة بالذكر لأنهم رؤساء المكذبين بموسى وهم الزعماء البارزون، الذين كانوا يدبرون المكائد ضد موسى عليه السلام فيتبعهم العامة من أقوامهم<sup>(٥)</sup>؛ فأخذوا مثل الذين من قبلهم يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق ويتهموه بأنه ساحر كذاب.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٢/١٥٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٩٨.

(٣) ارجع إلى: طنطاوي، مرجع سابق، ٧/٢٦٨-٢٦٩.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٣-٢٤.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٧٨.

ثم لم يكنوا بهذا القول لي انتقلوا الى مرحلة تئذ وطفى قلوبا كما حكا القرآن عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَلَاءٌ مِنْ عَدِينَا قَالُوا أَتُؤْتُوا نَبِيًّا لَتَنْزِيلِ آيَاتِنَا وَلِتُخَوِّفَ أُنْبِيَائَنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَطَعْنُوكُم بَلَاءُكُمْ﴾ (١) ويقصد فرعون وملاؤه به من تلك تخويف أتباع موسى ومن آمن معه، ولكن كيدهم هذا ليحجمهم ولن يمنع أصل الحق ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ في ذهب ضياع.

ثم بين سبحانه لونا آخر من ألوان فجور فرعون وبغيه فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ (٢). قال الزمخشري: كانوا إذا هم بقتله كفوه وقالوا إذا قتله أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته (٣). وقوله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ تظاهر من فرعون بأنه لا يبالي بما يكون من وراء قتله لموسى، وأنه غير مكترث لا بموسى ولا برب موسى وهذا بيان لما جبل عليه هذا الطاغية من فجور وتكبر واستهزاء بالحق وهكذا الطغاة الماكرون في كل زمان ومكان يضربون الحق بكل سلاح من أسلحتهم الباطلة، ثم يزعمون أمام العامة والبسطاء والمغلوبين على أمرهم؛ أنهم ما فعلوا ذلك إلا من أجل الحرص على مصالحهم الدنيوية والدينية (٤). ولذا قال فرعون يبين لقومه سبب عزمه على قتله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٥). قال الزمخشري: ﴿دِينَكُمْ﴾ عبادة فرعون والأصنام بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَذَرِكْ وَالْهتِكْ﴾ (٦) (٧)، وقيل: الدين هنا يراد به نظام الحكم الذي يقوم على سلطة فرعون وأسرته ذكره الألوسي (٨)، ولهذا ينبغي قتله حفاظاً على السلطة الفرعونية، أو خوفاً من أن يظهر في الأرض الفساد من تمرد الشعب، أو إحداث الشغب والاضطرابات والفتن في بلاد مصر.

(١) سورة غافر، الآية: ٢٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ٣/٣٦٧.

(٤) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٨٠.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.

(٧) الزمخشري، مرجع سابق، ٣/٣٦٧.

(٨) الألوسي، مرجع سابق، ٢٤/٦٢.

عَلَّمَ لِحَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِي رِبِّهِ مُسْتَعِينًا بِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَظَلَمِهِ وَقَالَ لَهُمْ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾  
**عُتُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ مَكْرٍ لَا تُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِجَابِ** <sup>(١)</sup> وَهَذَا قَوْلُ اللَّهِ لِمُوسَى رَجُلًا  
 مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ آمَنَ بِمُوسَى سِرًّا لِيَفْضَحَ عَنْهُ بِالصِّحَّةِ تَلْوَةً وَالتَّخْفِيفِ وَالِافْتِخَاعِ تَلْوَةً أُخْرَى

﴿قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> ظاهر الآية الكريمة يفيد أن هذا الرجل المؤمن كان من حاشية فرعون بدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ولم يكن من بني إسرائيل <sup>(٣)</sup>، يكتُم إيمانه زماناً إلى أن عزم فرعون على قتل موسى فهدب يحمي موسى بحكمته ويقول لهم: إنه ليس من العدل قتل رجل يقول ربي الله.

ثم يتلج مؤمن آل فرعون ضحاه فيقول: ﴿وَرَبِّيَ كَذِبًا فَظَلِمَهُ لَعْنَةُ كَذِبِ إِسْرَائِيلَ صَاحِبًا﴾  
**يُصِيبُكُمْ بِعَسْفٍ لَلَّذِي يَدْعُونَ اللَّهَ لَا يَهْدِي مِنْ هُوَ مَوْجٍ كَذِبًا** <sup>(٤)</sup> قِيلَ كَلَّ كَذِبًا  
 هُوَ يَجْعَلُ تَبَعَةً لِعَلَّتْهُ فَلَمْ تَكُوهِ حَيًّا وَلَا تَحْلُوا قِتْلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ كَذِبُهُ شَيْئًا وَلَا يَنْزِلُ  
 بِكُمْ مِمَّا يَوْعَدُكُمْ بِهِ، فَظَلِمَهُ يَزِيلُ مِنَ اللَّهِ عَقَبَ كَذِبِهِ وَيَجِنُ فَوْضُ صَاحِبًا قَدْ أَتَتْ أَنَّهُ  
 صَاحِبٌ فِيمَا كَلَّ يَوْعَدُهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَالْعَذَابُ لَأَحْرَقُوفِي ذَلِكَ هَلَاكِكُمْ

ثم تابع قوله: ﴿يَا قَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ <sup>(٥)</sup> أي: يا أهلي وعشيرتي، أنتم اليوم لكم الملك غالبين ومنتصرين في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل قوم موسى <sup>(٦)</sup>، فلا تغرنكم عظمتكم وملككم وتعرضوا لبأس الله وعذابه بتكذيبكم موسى؛ فإن حل بنا نقمته لا تغني عنا هذه الجنود لا ترد عنا شيئاً، ويجمل نفسه فيهم وهم يذكرهم ببأس الله، لتكون النصيحة أبلغ في التأثير كونه مشاركاً فيهم.

(١) سورة غافر، الآية: ٢٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٨٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٨٦ بتصرف.

وهنا تجدد القرآن الكريم يخبرنا بأن فرعون بعد أن استمع إلى نصيحة الرجل المؤمن، أخذته العزة بالإثم، وقال ما يقول كل طاغية معجب بنفسه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(١)(٢)</sup> إنه لما يأبه بهذا النصح، وأصر على موقفه فيما يراه بنظره سديداً من قتله موسى فهو يرشدهم بزعمه لحمايتهم وحماية ملكهم مما يحدثه موسى من فتن وقلقل في مصر.

ولكن الرجل المؤمن لم يسكت على هذا التدليس والتمويه الذي نطق به فرعون، بل استرسل في نصحه لقومه فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾<sup>(٣)</sup> والأحزاب هنا: تلك الأمم السابقة التي وقفت موقف العداء والبغضاء من أنبيائهم، وقوله ﴿مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: أخاف عليكم أن يكون حالكم وشأنكم كحال قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كقوم لوط كذبوا أنبياءهم فدمرهم الله تعالى تدميراً، فاحذروا أن تسيروا على نهجهم بأن تقصدوا موسى عليه السلام بالقتل والإيذاء فيترل بكم العذاب مثلما نزل بهم، وما ظلمهم الله بل أخذهم بذنوبهم ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾<sup>(٥)(٦)</sup>.

ثم أخذ هذا المؤمن يخوفهم بيوم القيامة الذي من أسمائه يوم التناد ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾<sup>(٧)</sup> إنه يوم زحام وخصام وتناد ﴿يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾<sup>(٨)</sup> حين تفرون من النار ولا مانعاً ولا عاصماً يعصمكم من عذاب الله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(٩)</sup> فإن الهدى هدى الله، والله يعلم من يستحق الهدى ومن يستحق الضلال.

(١) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٨٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣١.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٢.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٨٧-٢٨٨.

(٧) سورة غافر، الآية: ٣٢.

(٨) سورة غافر، الآية: ٣٣.

(٩) سورة غافر، الآية: ٣٣.



ثم يذكرهم بالماضي حيث جاء أسلافهم نبي الله يوسف فشكوا في رسالته وما جاءهم من الآيات ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾<sup>(١)</sup> وهي المعجزات الدالة على صدقه والآيات المبينات لدين الله ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾<sup>(٢)</sup> فلم تؤمنوا به ولم تعملوا بأحكام شريعته ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾<sup>(٣)</sup> فكفرتم به في حياته، وكفرتم بمن بعده من الرسل بعد موته، مما يدل على توارث التكذيب واستمرار العناد في مواجهة الرسل، والكفر برسالاتهم ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾<sup>(٤)</sup> وذلك إشارة إلى فرعون المسرف في عصيانه المرتاب في دينه والشاك في وعده ووعيده، وإن ضلال المشركين في تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم مثل ضلال قوم فرعون في تكذيبهم موسى عليه السلام ويتابع هذا المؤمن من آل فرعون وصف هؤلاء المسرفين المرتابين ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> فهم يجادلون بغير علم أو خبر يقيني أو دليل إنما هو جدال الباطل الذي لا أساس له، وعلى طريقة التعريض يقول المؤمن: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾<sup>(٦)</sup> المتكبر الذي لا يدعن للحق، ولا يستجيب لدعوة الحق فيطبع الله على قلبه ويطمس بصيرته.

وكان هذا الوصف ينطبق على فرعون في عتوه وتمرده وافتراءه الكذب حتى بلغ به الأمر أن أمر وزيره ببناء قصر عال منيف شاهق من الأجر؛ ليصعد به إلى السماء للاطلاع إلى إله موسى، وأمام هذا الإصرار أعاد الرجل المؤمن النصح ونادى قومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٧)</sup> ناداهم مترفقا بهم ناصحا لهم يريد لهم الخير ويحرص على نجاتهم، وأخذ يرغبهم بالإيمان بالله فهو طريق الهدى والجنة، ثم كرر النداء تلطفاً ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾<sup>(٨)</sup> سريع الزوال، ومصيره إلى الزوال والفناء، والإخلاق

(١) سورة غافر، الآية: ٣٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٤.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣٤.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣٤.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٦) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٧) سورة غافر، الآية: ٣٨.

(٨) سورة غافر، الآية: ٣٩.

إليه هو أصل الشر كله بينما ﴿الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾<sup>(١)</sup> والإقامة التي لا نهاية لها، والناس في الآخرة على حسب أعمالهم ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فجزاء السيئة مثلها كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، وجزاء الحسنة خارج عن الحساب غير مقطوع ولا ممنوع في الجنة، وهو يرزق فيها ما يحب، وهذا من مقتضى فضل الله أن ضاعف الحسنات ولم يضاعف السيئات: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم وازن الرجل المؤمن بين الدعوتين مستكرا فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾<sup>(٥)</sup> وشتان بينهما ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾<sup>(٦)</sup> وكيف أشرك بالله وكل آثاره في الوجود تشهد بوحدانيته وقدرته ومغفرته لعباده من آمن ومن تاب.

ثم أكد كلامه بقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٧)</sup> فالأصنام والأنداد التي تدعونني لعبادتها لا تنفع ولا تجيب داعيها في الدنيا ولا في الآخرة قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾<sup>(٨)</sup> وأن المرد والرجوع إلى الله وحده ﴿وَأَن مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ فيجازي كل إنسان بعمله ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾<sup>(٩)</sup> وهم المنغمسون في الشرك والكفر سيصيرون إلى النار.

(١) سورة غافر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧.

(٥) سورة غافر، الآية: ٤١.

(٦) سورة غافر، الآية: ٤٢.

(٧) سورة غافر، الآية: ٤٣.

(٨) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٩) سورة غافر، الآية: ٤٣.

وختم مؤمن آل فرعون كلامه بقوله: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(١)</sup> أي: فستذكرون يا قوم ما أقول لكم من حق وصدق في وقت لا ينفع فيه الندم وأفوض أمري إلى الله تعالى وحده؛ لكي يعصمني من كل سوء والله تعالى لا يخفى عليه شيء من أقوال العباد وأفعالهم، وسيجازي يوم القيامة كل نفس بما كسبت<sup>(٢)</sup>.

لقد فرض أمره على الله وتوكل علي في حمايته وحفظه من مكر لأعداء وكيدهم ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ السَّيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَخَلَّى بِلِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعِلْمِ﴾<sup>(٣)</sup> ونزل فرعون وقومه سوء العذاب في الدنيا بالعق، وسيطون في الآخرة ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾<sup>(٤)</sup> كما جاني الحديث: «إن أظكم إذ امت عرض عليه مقعده بالعله والعشي إن كل من أكل الجنة فمن أكل الجنة، وإن كل من أكل النار فمن أكل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يطغى الله إليه يوم الصيلة»<sup>(٥)</sup>، ويأمر الله تعالى ملائكة النار أن تنشق فرعون وآله إلى حركت جهنم حيث العذاب يحيط بهم من كل جانب وظك يوم الصيلة.

لقد كان صير فرعون للمستبد وملكه وقومه التي طلوع جهنم يتلقون فيها نكد العذاب وهم يتطحنون ويلامون، ولا جوى من ظك ولا فائدة لأن الله قد حكم بين العباد إنه نموذج للحاكم المتغطرس، المعتر بثروته وملكه، المستبد بشعبه، قد تجاوز حدوده القصوى فانتقم الله منه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

وفي سورة الزخرف حيث استهلته بتقرير نعمة القرآن: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup> تلك الهبة التي وهبها الله تعالى لقريش وكيف أنهم أعرضوا عنها

(١) سورة غافر، الآية: ٤٤.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢/٢٩٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٥.

(٤) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالعدة والعشي، ص ٣٨٥، حديث رقم (١٣٧٩). وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعود منه، ص ١٢٩٠، حديث رقم ٧١٤٠. كلاهما من رواية ابن عمر رضي الله عنه.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٧) سورة الزخرف، الآية: ٤.

واستخفوا بها، وجزاء هذا الإعراض والإستخفاف هددهم القرآن بذكر سنة الله في المكذبين بعد إرسال النبيين ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان استهزاء قريش وزعمائها بالنبي صلى الله عليه وسلم كونه فقيراً، عديم المال والجاه فهم يعترضون على إختيار محمد صلى الله عليه وسلم ليحمل الرسالة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي سياق تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم عما يعترضه من زعماء قريش واعتزازهم بالقيم الزائفة، القائمة على اعتبار المال والجاه، ذكر الله تعالى لهم قصة فرعون، وتباهيه بماله وملكه، واعتراضه على نبوة موسى التي تشبه ما يعترضون، وأن مصيرهم سيكون نفس المصير الذي سطر في التاريخ نموذجاً للعبارة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

يسخرون منها ويهزءون ويسموها سحراً بدل أن يتأملوها ويرجعوا إلى ربهم، والضحك كناية عن الاستخفاف بالآيات والتكذيب، وفي هذا تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقيه من صدود قومه واستهزائهم منه ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهكذا لم تكن الآيات التي ظهرت على يد موسى سبيلاً إلى إيمانهم، كانت تأتيتهم الآيات متتابعة كل آية أكبر من أختها ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾<sup>(٥)</sup> قال الزمخشري: المعنى أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقرار واحدة بعد واحدة<sup>(٦)</sup>، وقال البيضاوي: هي بالغة أقصى درجات الإعجاز<sup>(٧)</sup>، ولكن المعجزات مهما

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦ - ٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤٦ - ٤٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٧.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٨.

(٦) الزمخشري، ٣ / ٤٢١.

(٧) البيضاوي، مرجع سابق، ٥ / ٦١.

بلغت لا تهدي قلوباً غلفاً ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

ثم أخذهم الله قهراً بالعذاب: السنون والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قبل الإستئصال لعلهم يعودون ويرجعون إلى ربهم بالإيمان والتضرع والطاعة، ولكنهم مع هذا العذاب، ولجوئهم إلى موسى -عليه السلام- كي يرفعه عنهم بدعائه إلى ربه بما عاهد نبيه أن يكرمه بها ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (٢).

جمهور المفسرين على أن قولهم هذا كان على سبيل التعظيم لموسى -عليه السلام- لأنهم كانوا يوقرون السحرة، ويعتبرونهم العلماء؛ فقالوا هذا على سبيل التذلل والتعظيم من شأنه حين أخذوا بالعذاب فأدع لنا ربك بحق عهده إليك بالنبوة، لئن كشف عنا ربك العذاب الذي نزل بنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي أننا لمؤمنون ثابتون على ذلك، متبعون لك في كل ما تأمرنا به أو تنهانا عنه (٣)؛ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (٤) كانت النتيجة أن نقضوا عهودهم واستمروا على كفرهم.

ثم حكى سبحانه جانباً من طغيان فرعون وفجوره، وملتخفاً بقول قومه: ﴿وَنَلَيْ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ خَاصَّةٌ بِي أَلَيْسَ لِي الْمُلْكُ الْوَالِدَةُ لَا يَرْعِي فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يَخَافُ فِي ذَلِكَ مَخَافٌ فَلَا يَسْتَفْهَمُ لِلتَّقْوَى.

ومخلاً عن ذلك فإن هذه لأهل التي توخها مفرجة من التي تحي تحت قلمي، أو من تحت قربي وطك مشاهد الأتون، وتمتلون به على قوة أمي، وسعة ملكي، وعظم شطي (٥).

ثم استعلى فرعون على موسى -عليه السلام- وقال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (١) و(أم) هنا هي المنقطعة المقدره بمعنى بل التي هي للإضراب، أي:

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٩.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ١٣/ ٨٧ بتصرف.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٠.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٦) طنطاوي، مرجع سابق، ١٣/ ٨٨ بتصرف.

بل أنا خير من هذا الذي هو فقير وليس صاحب ملك أو سطوة أو مال وفي الوقت نفسه ﴿لَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ كلامه لعقدة في لسانه<sup>(٢)</sup>. ثم أضاف إلى ذلك كما حكى القرآن عنه: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال الزمخشري: وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك عليه، لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سؤروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب<sup>(٤)</sup>.

ولاشك أن هذه الأقوال التي تفوه بها فرعون، تدل على شدة طغيانه وعلى عظم غروره وعلى استغلاله الضخم لغفلة قومه وسفاهتهم وضعفهم<sup>(٥)</sup>. وهنا يذكر القرآن حقيقة فرعون مع قومه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾<sup>(٦)</sup> لقد إتخذ كل أنواع الحيل والدجل والخداع ليستبد في قومه، ووجد فيهم من الغفلة والذلة وخواء القلب من الإيمان ما جرأه على قول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(٧)</sup> وأصبح يسوق هؤلاء الحمقى إلى حيث يريد، وأصبح الشعب عبيداً له طائعين لا يناقشونه ولا يسألونه، لذا استحقوا بهوانهم هذا وسكوتهم أن يصفهم القرآن بـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، ثم يقول الله تعالى: ﴿ظَلَمَّا لَسَقْنَا مِنْ لَفْظٍ لَّمْ يَأْتِ بِهَا لُغْتٌ لَّغِيْبَةٌ﴾<sup>(٩)</sup>، ﴿تَقَمَّ مَعَهُمْ فَتَرَقَّوْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> فرعون وملائه وجمعه في البحر ليلتلب ما تفلح به وهو قوله: ﴿وَهَذِهِ الْأَهْلُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾<sup>(١١)</sup> فأجرها للعلي الطير من فوقه. وملائقي من آتاهم؟.

يقول تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾<sup>(١٢)</sup> والسلف بفتح السين وفتح اللام في قراءة الجمهور: جمع سالف. والسالف الذي يسبق غيره في الوجود أو في عمل أو

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

(٢) طنطاوي، مرجع سابق، ١٣ / ٨٨ بتصرف.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٥٣.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ٣ / ٤٢٣.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ١٣ / ٨٩.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

(٧) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٨) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

(٩) الزمخشري، مرجع سابق، ٣ / ٤٢٣.

(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

(١١) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(١٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

مكان، ولما ذكر الانتقام كان المراد بالسلف هنا السالف في الانتقام، أي أن من بعدهم سيلتقون مثل ما لقوا<sup>(١)</sup>. فيتبعهم كل ظالم يسلك طريقهم ويمضي على آثارهم، ويعمل بعملهم في استحقاق العذاب ﴿وَمَثَلًا﴾ يُمثل به ليقاس عليهم أمثالهم في الكفر والعناد، فيقال: مثلكم مثل قوم فرعون فيكونوا عبرة وعظة ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ لمن يأتي بعدهم.

**هذه هي قصر فراعون، وهي قصر فرك كل الفراعنة التي حكوا مصر في ملك الفراعنة.**  
كان فرعون مصاباً بمرض نفسي، يصيب القادة والحكماء في كل عصر ومصر، عندما يتعدون عن الله، ولا يدينون بدين الحق.

إن هؤلاء يرون أنفسهم حكاماً مسئولين، آمرين وناهين، ويرون الآخرين أذلاء مستسلمين، فينسون أنهم بشر كباقي البشر، وأن حكمهم للآخرين فرصة لخدمتهم وتقديم الخير لهم، إن «الفرعونية» ظاهرة مرضية خطيرة، تصيب أصحابها في كل زمان ومكان. وإن «فرعون» نموذج مكرر في تاريخ البشرية، يتمثل في كل حاكم يحكم قومه كما حكم فرعون المصريين بمنأى عن دين الله. وما أكثر الفراعين في القديم والحديث الذين يغتروا بما أعطاهم الله تعالى من الملك فيفسدون البلاد والعباد<sup>(٢)</sup>.

فرعون هذا نموذج للملك الفاسد المفسد فهو فاسد في نفسه وأفسد ملكه وشعبه بطغيانه وتجبره في الارض بغير حق فاستحقوا العذاب في الدنيا والآخرة.

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٦/٢٥٣.

(٢) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، ٢٦٥/٢.

## الفصل الرابع: مهمات المُلْك وآثاره، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مهمات المُلْك الراشد وآثاره وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مهمات الملك الراشد.

المطلب الثاني: آثاره الطيبة.

المبحث الثاني: آثار الملك الفاسد وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: فوات كل ما يترتب على الملك الراشد.

المطلب الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله.

المطلب الثالث: التكذيب بآيات الله تعالى وافتراء الكذب على الله تعالى.

المطلب الرابع: الصد عن سبيل الله ومنع ذكر الله.

المطلب الخامس: تزييف الحقائق ووضع الأشياء في غير موضعها.

المطلب السادس: الاختلاف والتفرق.

المطلب السابع: زوال النعم وهلاك ما كانوا به يغترون.

المطلب الثامن: الهلاك بإنزال العذاب عليهم في الدنيا والآخرة.

المطلب التاسع: عدم الفلاح في الدنيا والآخرة.

المطلب العاشر: حصول العداوة بين أركان المُلْك وأتباعهم في الآخرة.



## المبحث الأول: مهمات المُلك الراشد وآثاره

### المطلب الأول: مهمات الملك الراشد

#### المسألة الأولى: المهمة الأساسية:

المُلك الراشد وسيلة لا غاية، وسيلة لتحقيق مهمات معينة يستطيع الملك بما له من صلاحيات خاصة أن يحقق ويبلغ ما يعجز عن بلوغه آحاد البشر.

وجماع هذه المهمات هو نشر دعوة الحق وإقامة أمر الله - عز وجل - في الأرض، وهذا هو الهدف والمقصد الأساسي للمُلك الراشد، وقد أوضح الله - عز وجل - هذا الهدف في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

والتمكين: التوثيق، وأصله إقرار الشيء في مكان وهو مستعمل هنا في التسلط والتملك، والأرض للجنس، أي تسليطهم على شيء من الأرض فيكون ذلك شأنهم فيما هو من ملكهم وما بسطت فيه أيديهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، ومن تسلط عليهم بالجبوت وأقام فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصل له مُلك مؤقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشئومة، وعاقبته مذمومة<sup>(٣)</sup>.

فهذا هو الجامع لمهمات المُلك جميعاً قال ابن تيمية - رحمه الله -: "والمقصود والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً ميبناً ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) ابن عاشور: مرجع سابق، ١٧/٢٨٠.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط: ١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ١/٥٣٩.

(٤) ابن تيمية، مرجع سابق، (٢٨/٢٦٢).

وهذه المهمة الأساسية تتمثل في أمرين كبيرين هما إقامة الدين وسياسة الدنيا به.

## أولاً: إقامة الدين:

والمراد به الدين الحق وهو الإسلام، وهو دين الأنبياء جميعاً وهو الأمر الأول والأهم وتتمثل إقامة الدين في أمرين:

### ١ - حفظ الدين وحراسته:

والمراد بحفظ الدين وحراسته هو حراسة العقيدة الإسلامية في صدور المؤمنين بها في كل عصر ومصر، وحفظ تصور المؤمنين لهذا الدين صافياً سالماً من الغش، وإبقاء حقائقه ومعانيه كما أنزله الله - عز وجل -، قال تعالى: ﴿بَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>(١)</sup> أي استخلفناك على الملك في الأرض؛ فاحكم بين الناس بالحق الذي هو حكم الله تعالى ولا تتبع الهوى في قضائك فيضلك اتباع الهوى عن طريقه المستقيم لذلك يكون حفظ الدين بهذا المعنى متمثلاً في:

### نشره والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان:

فمن أهم مهام الملك نشر هذا الدين والدعوة إليه في داخل الأمة، وفي المجتمعات الأخرى التي لا تدين به، وتبيين حقائق هذا الدين ناصعة نقي، والدعوة إلى الله هي أشرف المقامات وأعلاها، لأنها وظيفة الرسل عليهم السلام وأتباعهم، وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة وحيث إن الملك هو النائب عن مجموع ملكه، فإن هذا الواجب يكون في حقه أكد؛ لأن له القدرة والسلطان أكثر من غيره من أفراد المسلمين، فعلى الدولة ممثلة في شخصه أن تقوم بتنفيذ هذا الهدف الجليل في داخل البلاد وخارجها.

والدعوة إلى الدين الحق تكون بطريقتين: باللسان والسنان؛ "فللدعاء إلى الدين الحق مسلكان: أحدهما: الحجة وإيضاح المحجة. والثاني: الاقتهار بغير السيف، وإيراد الجاحدين الجاهرين مناهل الخوف وذلك لأن دين الحق لم يأت لقوم دون قوم، أو لمجتمع

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

دون مجتمع أو لزمان دون آخر"<sup>(١)</sup>، ولعل قصة سليمان -عليه السلام- مع الهدهد وملكة سبأ هي أروع مثال على ذلك في ما نحن بصدده وقد فصلناه من قبل وسنأخذ منها ما يفيدنا فيما نحن في معرض الحديث عنه؛ فموقف سليمان -عليه السلام- من كلام الهدهد حينما أخبره أن القوم يعبدون غير الله كما بينا سابقا يوضح أن الهدف الأساسي والواجب الأول للملك هو حفظ الدين ونشره والدعوة إليه فلقد استخدم سليمان -عليه السلام- وسائل الدعوة في ذلك.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فسليمان ملك عظيم، وجيشه قوي، وجنوده كثير، وهو لا يقبل أن يوجد من تصله يده وهو كافر دون أن يدعوهم إلى الدين القويم، وتوحيد رب العالمين، وعبادة الله الواحد القهار فأرسل الهدهد الذي أتى بالخبر إلى ملكة سبأ وقومها في مهمة دعوية، وسفارة إيمانية، فأعد كتاباً وحمله للهدهد وأمره أن يذهب به إلى مملكة سبأ، وأن يلقيه إليهم؛ فرأت الملكة الكتاب وفتحته لتعلم ما فيه، فإذا به كتاب موجه من سليمان -عليه السلام- يدعوها وقومها إلى نبد عبادة الشمس، والدخول في الإسلام قال فيه: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال البيضاوي: "وهذا كلام في غاية الوجازة، مع كمال الدلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحاً أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأمته الفضائل"<sup>(٤)</sup>.

ثم حدث ما حدث من استشارتها الملائم من قومها، ووصول رأيهم إلى إرسال هدية لسليمان -عليه السلام- ويحكي القرآن لنا رد فعل سليمان -عليه السلام-: ﴿فَلَمَّا جَاءَ

(١) أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله، غياث الأمم والنبياث الظلم، تحقيق: فؤاد عبد المعتم ومصطفى حلمي، (دار الدعوة، ١٩٧٩م)، ١/١٤٤.

(٢) سورة النمل، الآية: (٢٧، ٢٨).

(٣) سورة النمل، الآية: ٣١.

(٤) البيضاوي، مرجع سابق، (٤/٢٦٦).

سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ \*  
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١﴾.

وهنا ينتقل سليمان -عليه السلام- إلى المرحلة الثانية من الدعوة إلى دين الله تعالى فلما علم سليمان غرض الملكة، بين لهم أنه رجل عقيدة ومبدأ ومحال أن يراهن على عقيدته بشيء؛ ثم أطلق تهديده القوي الصاعق، وإنذاره الأخير لهم إن لم يدخلوا في الإسلام، أنه سيغزو بلادهم بجيش لا طاقة لهم دفعه ومواجهته، وسيخرجهم من أرض العز مهانين مذلين.

فعرفت الملكة ومعها قومها أن سليمان -عليه السلام- ليس ملكاً متجبراً، ولا حاكماً دنيوياً، وأدركوا أنه لا مناص من الدخول في طاعته والخضوع لأمره.

وحصل ما حصل فيما فصلناه سابقاً من الإتيان بالعرش وتنكيهه ودخولها الصرح وما حدث لها عندما رآته ثم إسلامها، وهذه القصة توضح أن على الملك الراشد أن يعمل بشئى الوسائل على نشر الشريعة وتبليغها لمن لم تصل إليه.

قال السبكي: "فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، فإن الله تعالى لم يولِّه على المسلمين ليكون رئيساً أكلاً شارباً مستريحاً، بل لينصر الدين، ويعلي الكلمة، فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون بنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا برسوله" (٢).

فكل ملك راشد يؤمن بالله ورسوله ويدين دين الحق، لا ينتهي عمله بأن ييذل المستطاع لإفراغ حياته في قالب الإسلام ولا تبرأ ذمته من ذلك فحسب؛ بل يلزمه بمقتضى ذلك الإيمان أن يستنفذ جميع قواه ومساعيه في انتزاع زمام الأمر من أيدي الكافرين والفجرة الظالمين حتى يتسلمه رجال ذوو صلاح ممن يتقون الله ويرجون حسابه، ويقوم في الأرض ذلك النظام الحق المرضي عند الله الذي به صلاح أمور الدنيا وقوام شئونها.

(١) سورة النمل، الآية: (٣٦-٣٧).

(٢) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار وأبو زيد شلبي، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣-١٩٩٣م)، ص ١٦.

## دفع الشبه والبدع والأباطيل ومحاربتها:

ومن مهمات المُلْك الراشد أيضاً العمل بشتى الوسائل على أن يكون الدين مصوناً عن كل ما يسيء إليه؛ سواء في هذا ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية أو غيرها. فعلى المُلْك الراشد محاربة البدع ودحض الشبه والمفتريات والأباطيل التي يروجها أعداء الإسلام، وعليه محاربة الأفكار الهدامة بشتى الوسائل وتبيين ما فيها من أباطيل، حتى يبقى الناس في سلامة وأمن في دينهم وأفكارهم وإن من أخطر الأمور أن يتبنى الملوك هذه البدع والأفكار، ففرعون موسى كما بينا تبني الكفر وروج له ودافع عنه بكل ما أوتي من ملك وقوة ومال وسلطة، وفي ذلك من فساد دين العباد ما فيه.

يقول ابن الأزرق: "ركون المبتدع إلى الولاية من أعظم ما يخل بهذا الحفظ -أي حفظ الدين- لأمرين: أحدهما: لما فيه من الإخافة لمن أبي من الإستجابة له سجنًا وضرباً وقتلاً...".

الثاني: ما ينشأ عن ذلك من كثرة المعجبين للدعوة، لأن سوق أكثر النفوس لما يراد منها بوازع السلطان أمكن مما هو بمجرد الباعث الديني... وعند ذلك فيجب على ولاية الأمور إبعاد هذا الصنف المشعوم وإسلامهم لإجراء الأحكام عليهم مخافة الفتنة بهم أولاً وإدخال الضرر في الدين ثانياً"<sup>(١)</sup>.

ووسائل دفاع ذلك كثيرة، منها التعليم لها، وإقامة الحجّة عليهم، كما فعل علي رضي الله عنه مع الخوارج حينما بعث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لمناظرهم فرجع منهم خلق كثير، ومنها تعزيز المتعنت منهم وتغريبه وهجره، كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ الذي أخذ يسأل عن متشابه القرآن فضربه عمر وقال: احمלוه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيباً، ثم ليقل إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه"<sup>(٢)</sup>.

(١) بدائع السلك في طبائع الملك (٢/ ١٣١).

(٢) الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ١، (مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩ هـ)، ص ٧٣.

ومنها القتل كما قاتل علي رضي الله عنه الخوارج والواقع أن الوسيلة تختلف باختلاف البدعة والداعي إليها والظروف المحيطة بأصحابها<sup>(١)</sup>.

فصيانة الأفكار بشئ الوسائل على أن يكون الدين مصوناً من غش البدع والأفكار الهدامة من مهمات الملك الراشد، ومن مسئوليات الملك نشر الدين وتوعية المجتمع وتنقيفهم بأمور دينهم حتى يكونوا في حصن منيع من الأفكار الهدامة، وعليه ألا يدع لها مجالاً للوصول إلى أفكارهم وأن يحاربهم بكل وسيلة تجدي.

### حماية البيضة<sup>(٢)</sup>:

من مهمت الملك الرئد أيضاً توفير الأمن في محل الصكي سواء كان دحلماً أو حلجياً حتى يكون الغل في أمن وسلام على دينهم وأولادهم وعقولهم وأموالهم.

فدو القرنين عندما وصل بين السدين واشتكى له القوم من يأجوج ومأجوج أنهم يفسدون في الأرض بالقتل والتعذيب، وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وطلبوا ببناء حاجز بينهم وبين أولئك القوم، قام ببناء السد وذلك لحمايتهم من أولئك المفسدين وذلك لأنه لم يكن ليأجوج ومأجوج طريق يخرجون منها إلى أرض العمارة إلا هذه الفتحة.

يقول أبو بكر بن العربي: على الملك فرض أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وإصلاح ثغرهم من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي يجمعها خزنتهم تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق، وأنفذتها المؤن، واستوفتها العوارض، لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لها، وذلك بثلاثة شروط:

الأول: ألا يستأثر بشيء عليهم، الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة منهم فيعينهم، الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على مقدار منازلهم.

فإذا فئيت بعد هذا ذخائر الخزانة، وبقيت صفراً، فأطلعت الحوادث أمراً بذلوا أنفسهم قبل أموالهم، فإذا لم يغن ذلك، فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير وتصرف وحسن تدبير<sup>(١)</sup>.

(١) اللميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م)، ص ٨٢-٨٣.

(٢) البيضة: أصل القوم ومجتمعهم، وبيضة القوم: ساحتهم (ابن منظور، لسان العرب، مادة "بيض" ٧/١٢٦).

قال الماوردي في تعدادہ لمسئوليات الإمام: حماية البيضة والذب عن الحريم لتتصرف الناس في المعاش وينشروا في الأسفار آمنين عن تغرير بنفس أو مال<sup>(٢)</sup>.

٢- تنفيذہ: وذلك يكون بالأمر التالیه:

### إقامة الشرائع والحدود وتنفيذ الأحكام:

من لوازم حراسة الدين أيضاً تنفيذ أحكامه التي شرعها الله تعالى، وأمر بتنفيذها، وحيث إن إقامتها من اختصاصات الملوك أو من ينوبون عنهم من القضاة الشرعيين ونحوهم، حيث لا يستطيع آحاد الناس إقامتها إلا إن كانت هناك الفتن والإحن؛ لذلك فهي من مهمات الملك الراشد المختص بها، وذلك يتضح في قصة ذي القرنين حين قال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾<sup>(٣)</sup>، يقول سيد قطب -رحمه الله-: وهذا هو دستور الحاكم الصالح. فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم في مملكته، والمعتد الظالم يجب أن يلقي العذاب والإيذاء، وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسناً أو مكاناً كريماً وعوناً وتيسيراً، ويجد المعتدي في جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة، عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج<sup>(٤)</sup>.

وهذه العقوبات يجب أن تقام على الشريف والوضيع، والقوي والضعيف لا يحل تعطيلها لا بشفاعة ولا بهدية ولا بغيرها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الأتمودج الأمثل في ذلك حين قال صلى الله عليه وسلم: «أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، لا

(١) ابن العربي، مرجع سابق، ٣/ ١٣٢٦.

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، ت: أحمد جاد، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧-٥١-٢٠٠٦م)، ص ١٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٧ - ٨٨.

(٤) سيد قطب، مرجع سابق ج٤ ص ٢٢٦١ باختصار.

تأخذكم في الله لومة لائم»<sup>(١)</sup>. وقال صلى الله عليه وسلم: «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره»<sup>(٢)</sup>.

وإن من أعظم المنكرات في هذا الشأن أن يترك الوالي إنكار المنكر أو إقامة الحد بمال يأخذه قال ابن تيمية: "وولي الأمر إذا ترك إنكار المنكرات وإقامة الحدود عليها بمال يأخذه كان بمنزلة مقدم الحرامية الذي يقاسم المحاربن على الأخيذة، وبمنزلة القواد الذي يأخذ ما يأخذه ليجمع بين اثنين على فاحشة، وكان حاله شبيهاً بحال عجوز السوء امرأة لوط"<sup>(٣)</sup>.

### حمل الناس عليه بالترغيب والترهيب:

ومن مهمات المُلْك الراشد في تنفيذ الدين حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك، ومعاقبة المخالفين كما ظهر سابقاً. لأن بعض الناس لا يصلح إلا بالقوة، كما أن بعضهم لا يصلحه إلا اللين والتسامح. قال الشوكاني -رحمه الله-: فإن من الناس من يصلح بالهوان ويفسد بالإكرام كما هو معلوم لكل من يعرف أحوال الناس واختلاف طبقاتهم<sup>(٤)</sup>.

ولكن هذا الأسلوب لا يمكن تطبيقه إلا بعد إزالة عوامل الإفساد والمنكرات في المجتمع وهو من وسائل حفظ الدين وتنفيذه، ومن مهمات المُلْك، فلا يمكن الادعاء بحفظ الدين

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، ص ٤٥٨-٤٥٩، رقم الحديث ٢٥٤٠ إسناده حسن وأخرجه عبد الله في زوائد المسند: ٣٣٠/٥ عن المفلوج به مطولاً، وأورده الضياء في المختارة، وفيه علة قاذحة، وهي عن عنة عبيدة بن الأسود لأنه مدلس، مذكور في المرتبة الثالثة من طبقات المدلسين لابن حجر، وله شاهد عند البيهقي: ١٠٣/٩-١٠٤، وفيه منصور الخولاني، ولم أجد له ترجمة، وشيخه غيلان بن أنس وثقه ابن حبان، وللحديث شواهد كثيرة.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب القضاء، باب في الرجل يعين علي خصومة من غير أن يعلم أمرها، ص ٧٢٤، حديث رقم ٣٥٩٧. إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٧٠/٢)، حديث رقم ٥٣٨٥، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وصححه أحمد شاكر. انظر تخريجه للمسند (٧/٢٠٤) حديث رقم: ٥٣٨٥، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ٢٧/٢، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤٣٦/١، حديث رقم: ٤٣٧.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، السياسة الشرعية، (دار المعرفة)، ص: ٧٣.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي، قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها، تقدم وتحقيق د: إبراهيم هلال، (مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٣٧هـ)، ص ٢٥٩.



وجبر الناس عليه، مع ترك المفسد والمنكرات بلا إزالة ولا إبعاد مع توافر القدرة على ذلك كما أنه ينبغي تيسير طرق الخير أمام العامة، والترغيب فيه بكل ممكن.

### ثانياً: سياسة الدنيا به:

والمراد به الحكم في شئون هذه الحياة بما أنزل الله أو سياسة الدنيا به. وقد تكلمنا فيما سبق في «حراسة الدين» من العقوبات، وهي لا شك من الحكم بما أنزل الله، ولكنها ليست وحدها المراد بالحكم بما أنزل الله بل المراد به: إدارة وتدبير جميع شئون الحياة.

فمن أهم مهمات الملك الراشد ذلك؛ فلما تقرر كما بينا سابقاً وحدانية الله في الخلق والإيجاد ووحدانيته في الملك، تتقرر كذلك وحدانيته في التصرف في خلقه وملكه كنتيجة طبيعية لهما، وقد تولى القرآن الكريم تقرير وحدانية الله في التصرف فيما تقرر من قبل أنه خلقه وملكه، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِثُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا \* سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، قال الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله: «إن كلاً من الألوهية والسلطة تستلزم الأخرى وأنه لا فرق بينهما من حيث المعنى والروح؛ فالذي لا سلطة له لا يملك أن يكون إلهاً ولا ينبغي أن يتخذ إلهاً، وأما من يملك السلطة فهو الذي يجوز أن يكون إلهاً وهو وحده ينبغي أن يتخذ إلهاً. ذلك بأن جميع حاجات المرء التي تتعلق بالله والتي يضطر المرء لأجلها أن يتخذ أحداً إلهاً له لا يمكن قضاء شيء منها من دون وجود السلطة، ولذلك لا معنى لألوهية من لا سلطة له؛ فإن ذلك أيضاً مخالف للحقيقة، ومن النفخ في الرماد أن يرجع إليه المرء ويرجو منه شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنبياء الآية: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٤٢-٤٣).

(٣) سورة السجدة: الآية ٥.

(٤) المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، تحقيق: محمد عاصم الحداد، (دار العروبة، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)، ص ٢٩.

فهذا الكون بما فيه من مجرات ونجوم وكواكب وأفلاك تسير ضمن سنن إلهية أودعها الله فيه، فهو لا يملك أن يتقدم عليها أو يتأخر ولا يملك أن يعدل فيها أو يغير.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ \* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالله هو المتفرد في حكم هذا الكون من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، لا ينازعه في ذلك أحد ولا يشاركه، والقرآن يصدع بهذه الحقيقة، حقيقة سلطان الله على الوجود وسيطرته عليه وأن لا حكم فيه لأحد سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

والإنسان مخلوق لله ومملوك له، وهو تحت تصرفه مفتقر إليه، خاضع وخانع لهذا النظام الذي تخضع له السماء والأرض، خلقه الله تعالى ليؤدي رسالة معينة على ظهر هذه الأرض وهي رسالة الاستخلاف على مقتضى مراد الله في فترة زمنية محددة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٧)</sup>.

وحقّ يتمكن الإنسان من القيام بتلك الرسالة المرسومة له أعطاه قدرًا من الحرية يتحقق به غاية الاختيار، ولم يتركه هملًا يتخبط في بيداء الجهالات والضلالات والأهواء والشهوات بل أرسل إليه رسلا اختارهم الله من بين بني الإنسان بعد أن أهلهم لهذه المهمة وأنزل معهم شريعة كاملة شاملة، لتحكم حياة الإنسان وتوجهها الوجهة الصحيحة.

(١) سورة فصلت: الآية ١١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٨ - ٤٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٤١.

(٧) سورة البقرة: الآية ٣٠.

أما عندما يتولى الإنسان بنفسه تسيير دفة الحياة بغير هدى من الله الخالق المالك العالم بكل دقائق مخلوقاته وكبيرها؛ فإن معنى ذلك أنه الشقاء والدمار المحقق الذي ينتظر الجنس البشري ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾<sup>(١)</sup> والعقل البشري يوجب بالنظر إلى المصلحة أن تكون شريعة الله هي الحاكمة لحياة البشر؛ لكونها صادرة ممن له الخلق والأمر، وممن أحاط بكل شيء علماً. ولذا فإن من مهمات الملك الراشد الحكم في شئون الحياة بما أنزل الله وسياسة الدنيا به.

### المسألة الثانية: المهام الأخرى:

وهناك مهمات ناتجة عن هذه الحقيقة الكلية منها:

#### المهمة الأولى: إقامة ميزان العدل ورفع الظلم:

وهذا من أهم المهام وأسمى المطالب التي أمر القرآن بتطبيقها، والعدل أشرف أوصاف الملوك وأقوم لمملكته، وقد ندب الله - عز وجل - الخلق إليه وحثهم عليه وتطابقت على وجوب العدل آيات الكتاب الحكيم منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال صاحب التحرير والتنوير: والعدل إعطاء الحق إلى صاحبه. وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات<sup>(٣)</sup>.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> ومنها قوله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) بن عاشور، مرجع سابق، ٢٥٤/١٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

بل قد أوجب الله العدل حتى مع الأعداء قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ  
أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أي لا  
يحملنكم بغضهم على ترك العدل.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا  
يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا»<sup>(٢)</sup>.

وحديث السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم «إمام عادل»<sup>(٣)</sup> إلى  
غير ذلك من الأحاديث.

وفي مقابل ذلك ندد الإسلام بالظلم والظالمين وتوعدهم، والآيات والأحاديث في هذا  
كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»<sup>(٤)</sup>.  
وقد جعل الله الظلم من أسباب هلاك الأمم كما بينا في قصة فرعون. فما من دولة يتفشى  
فيها الظلم إلا ويبدأ فيها الانهيار، وحلت عليها عقوبة الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا  
أَخَذَ الْقَرْيَٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا  
بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، وإن لم تقم بعديل لم تقم، وإن  
كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة»<sup>(٦)</sup>.

والعدل الحق لا يكون إلا بتطبيق أحكام الشريعة التي تضمنت العدل كل العدل في  
إعطاء الحقوق لأصحابها وتنظيم العلاقات بين الناس تنظيماً عادلاً، وإن من أكبر الظلم  
وأخطره أن يتعدى ملك من الملوك أو حاكم من الحكام على حق من حقوق الله تعالى

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) أخرجه مسلم في ك: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، ص ٨٧١، حديث رقم: ٤٦٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في ك: المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش، ص ١٦٥٨، حديث رقم ٦٨٠٦، ومسلم  
في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ص ٤٥٩، حديث رقم ٢٣٧٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى...)، ص ١١٧١، حديث  
رقم ٤٦٨٦، ومسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، ص ١١٨٠، حديث رقم ٦٥٢٤.

(٥) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الحسبة، تحقيق: علي بن نايف الشحود، ط ٢، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص ٩٤.

فيقوم بالتشريع للأمة التي يرعاها، وفي هذا يكون ظالماً لنفسه بأن عرضها لغضب الله وسخطه وتعدي حدوده وطغى على حق من حقوق الله - عز وجل - لا يجوز إلا له، كما قال فرعون عليه اللعنة: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك يكون ظالماً للرعية التي تحت يده حيث حرمهم من عدل الله وشرعه، وحملهم من الآثام والأوزار بسبب إجبارهم على التحاكم لغير شرع الله تعالى.

شريعة الله على في قصها تلخر بالعدل فلما علمها فقل الله عز وجل :-  
 ﴿وَمِمَّا كَلِمَةٌ بِتَصَدَّقًا وَعَلَىٰ لِأَمَلٍ لِكَلِمَةٍ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> والمعنى  
 لها صدق في لأجل، وعلى في لأولم والوحي، فأجلها كلها صدقة وأجلها  
 كلها عدل.

وأما أمرها بالعدل ونهيها عن الجور، فقد جاءت في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ  
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يأمر بالعدل وهو القسط  
 والموازنة ويندب إلى الإحسان، كقوله تعالى: ﴿إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ  
 وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ  
 فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾<sup>(٦)</sup> إلى  
 غير ذلك من الآيات الدالة على شريعة العدل والندب والفضل<sup>(٧)</sup>.

ولقد رسم لنا ذو القرنين أسمى الصور وأرفعها في إقامة العدل في الرعية حين قال:  
 ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

(١) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٢) الأنعام، الآية: ١١٥.

(٣) النحل، الآية: ٩٠.

(٤) النحل، الآية: ١٢٦.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٦) المائدة، الآية: ٤٥.

(٧) ابن كثير، مرجع سابق، (٤/ ٥٩٥).

صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا»<sup>(١)</sup> فهذا هو دستور الملك الراشد، فالمؤمن الصالح يجد الكرامة والعزة والجزاء الحسن عند الملك في مملكته، والمعتد الظالم يلقي العذاب والجزاء المناسب حتى يسود العدل في البلاد.

فالعدل من أهم مهمات الملك الراشد من خلال تطبيقها تزدهر الأمم وتتقدم والبعده عنه يتسبب في الفساد في الأرض وهلاك الأمم.

### المهمة الثانية: الشورى:

يعتبر مبدأ الشورى من أهم المبادئ الأساسية في قيام الملك الراشد وتسيير الحكم بعد ذلك، وهو من المبادئ المقررة في كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم أنفسهم به من أول لحظة وجدوا أنفسهم فيها بحاجة إلى نصب خليفة، يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر حراسة الدين وسياسة الدنيا به<sup>(٢)</sup> وراعي هذا الأصل الخلفاء الراشدون جميعاً وعرفت فترتهم تلك التي كانت أبرز سماتها الشورى بفترة الخلافة الراشدة.

يقول الإمام محمود شلتوت<sup>(٣)</sup>: «أما الشورى فهي أساس الحكم الصالح وهي السبيل إلى تبين الحق ومعرفة الآراء الناضجة. أمر بها القرآن وجعلها عنصراً من العناصر التي تقوم عليها الدولة الإسلامية»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٧-٨٨.

(٢) انظر: ابن العربي، مرجع سابق، (٤/١٦٥٦٤)، وابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق، (٤/٤٨٨).

(٣) هو محمود شلتوت (١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣ م): فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد. وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته. وكان خطيباً موهوباً جهير الصوت. له ٢٦ مؤلفات مطبوعة، منها (التفسير) أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، و (حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي) و (القرآن والمرأة) رسالة، و (القرآن والقتال) و (هذا هو الإسلام) و (عصر الخلود في الإسلام) و (الإسلام والتكافل الاجتماعي) و (فقه السنة) الأول منه، و (أحاديث الصباح في المديح) و (فصول شرعية اجتماعية) و (حكم الشريعة الإسلامية في تنظيم النسل) محاضرة، و (الدعوة المحمدية) رسالة، و (فقه القرآن والسنة) الجزء الأول، و (الفتاوى) و (توجيهات الإسلام) و (الإسلام عقيدة وشرعية) و (الإسلام والوجود الدولي). (الزركلي، الأعلام، ٧/١٧٣).

(٤) شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشرعية، (القاهرة: دار الشروق)، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

والشورى عبارة عن عرض وجهات النظر المختلفة، وإظهار الآراء المخبوءة عند أصحابها، وتقليب لها بالدراسة والتحليل، وبذل الجهد في استخراج أصحها وأصلحها، ثم جنى أحسنها وأوجهها.

وذلك مثل ما فعلته ملكة سبأ عندما قرأت كتاب سليمان عليه السلام وكانت امرأة عاقلة، علمت أن الأمر جد خطير، فلم تشأ أن تنفرد في اتخاذ القرار، بل دعت إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس شورى المملكة، وحضروا وانعقد المجلس ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

والملك الراشد مطالب بتحقيق هذا المبدأ، كمطالبته بغيره من المهمات الأخرى التي جاء بها الكتاب والسنة، كإقامة العدل وما إلى ذلك من ضروب التشريع الرباني.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالله تبارك وتعالى يذكر لنا في هذه الآية الكريمة أبرز الصفات التي تتصف بها أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه<sup>(٣)</sup>، واحتل ذكر صفة الشورى المكان الوسيط بين تلك الصفات<sup>(٤)</sup>.

إن هذا أسلوب من أساليب القرآن الكريم في تقريره لأهم المبادئ والقيم والأحكام والمثل الإسلامية العليا التي لا تجد الأمة الإسلامية بدا من الالتزام بها والقيام عليها.

وقد جاء ذكر الشورى في موطن آخر من كتاب الله تبارك وتعالى قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النمل، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٨ - ٣٩.

(٣) البيضاوي، مرجع سابق، (٢/١٩٣).

(٤) انظر: متولي، عبد الحميد، مبادئ نظام الحكم الإسلامي، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م)، ص ٢٤٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

قال الإمام الفخر الرازي: هو أمر من الله تبارك وتعالى لنبيه بمشاورة أصحابه في كل أمر لم يأت فيه وحى من الله من أمور الحياة العامة. والأمر لرسول الله هو أمر لأئمة من بعده إلى قيام الساعة، بل إن الأمة من بعده تكون مطالبة بتحقيق أمر الشورى بصريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عطية: الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه<sup>(٢)</sup>.

أمر صلى الله عليه وسلم أن يلين لهم الجانب زيادة على ما جبل عليه من كرائم الأخلاق وحسن الشمائل والصفات فهو الرحمة المهداة، ثم أمر أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في الأمر، فإمتثل صلى الله عليه وسلم هذه الأوامر كلها أتم إمتثال، فكان يشاورهم في الأمور الخاصة والعامة، في الحرب والسلم، في التخطيط والتدبير وشاور الكبار والصغار، الخاصة والعامة حتى يكون ممثلاً لأمر ربه، وأسوة لأئمة من بعده، وحتى يتيح لهم حرية الرأي المثمر، وحتى يظهر أهل الرأي النير، وتتنافس القرائح في الاجتهاد وتحصيل الصواب، فيقتدى به من بعده من أئمة ممن هداه الله، كل ذلك وغيره من أهداف الشورى وثمراتها، ولنأخذ أمثلة من مشاوراته صلى الله عليه وسلم في ميادين عامة وخاصة.

ففي الحرب مثلاً جاء عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان...<sup>(٣)</sup>، يريد إقباله بالعبير من الشام.

ولما بلغه خروج قريش استشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانياً فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم<sup>(٤)</sup>. قال الإمام النووي: «وفيه

(١) الرازي، مرجع سابق، (٩/٦٧).

(٢) ابن عطية، مرجع سابق، (٣/٣٩٧).

(٣) صحيح مسلم (٨٤٤)، كتاب: (الجهاد)، باب: (غزوة بدر)، حديث: (٤٥٩٧).

(٤) النووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، (المطبعة المصرية ومكنتها)، كتاب: (الجهاد)، باب:

(غزوة بدر)، ١٢/١٢٤.

(٥) المرجع السابق ١٢/١٢٤.



استشارة الأصحاب وأهل الرأي والخبرة»<sup>(١)</sup>، واستشارهم في اختيار المتزل فقال: أشيروا علي في المتزل<sup>(٢)</sup>، قال السباعي: وفي قبوله صلى الله عليه وسلم إشارة الحباب بن المنذر<sup>(٣)</sup> بالتحول من متزله الذي كان فيه إلى المتزل الذي يناسب المعركة يوم بدر، ما يحطم غرور الدكتاتورين المتسلطين على الشعوب بغير إرادة منها ولا رضي<sup>(٤)</sup>، وهكذا نراه صلى الله عليه وسلم لم يفوت لأصحابه شيئاً من أمر هذه الغزوة ثم يجتهد هو صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في الآراء فيأخذ بما يراه أليق ولروح الشريعة أوفق، والله يسدده ويبين له الأصوب من الصواب.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج»<sup>(٥)</sup> (٦).

والذين رأوا له الخروج إلى أحد هم بعض صلحاء الصحابة الذين لم يشهدوا بدرًا وأحبوا أن ينالوا من الشهادة والأجر ما نال إخوانهم في بدر، ولكن لما علموا أن الرأي هو ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم من عدم الخروج ندموا واستسمحوا النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا إليه المقام، فأبى عليهم حيث فات الأوان وأخذ بالرأي النهائي ووجب العزم والتوكل على الله، ولم نر أحداً ذكر أنهم كانوا هم الأكثرية حتى نقول أخذ برأي الأكثرية أو الأغلبية فيتعين على الحاكم الأخذ بذلك مطلقاً، والحاصل أن الرأي الأصوب والأصلح إذا تحدد تعين الأخذ به سواء كانت الأغلبية في جانبه أو مجانبة له، ولنكتف بهذا القدر من استشاراته صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الحرب والشئون العامة.

(١) المرجع السابق ١٢/١٢٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنبوط، ط ١٤، (مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٧هـ)، ٣/١٧٥.

(٣) هو الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي، الصحابي الجليل رضي الله عنه، مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ٢/١٦٣.

(٤) انظر: السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، (القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥-١٩٨٥م)، ص ١٣.

(٥) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩].

(٦) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ١٣/٣٣٩.

ولنأخذ مثلاً للاستشارة في الشئون الخاصة: جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى: «وشاور علياً وأسامة فيما رمي به أهل الإفك عائشة فسمع منهما»<sup>(١)</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، قالت: «ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يسألهما وهو يستشيرهما في فراق أهله»<sup>(٢)</sup>.

ونظراً لأن هذه مسألة خاصة استشار فيها أولاً أهل الخاصة، واستمع إلى تبرئتهما لأُم المؤمنين الطاهرة المطهرة من هذا الإفك، إلا أن علياً رضي الله عنه همه ما رأى في النبي صلى الله عليه وسلم من الإغتمام بهذا الأمر فقال له ترويحاً عنه وتسلية: «لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وأسأل الجارية تصدقك»<sup>(٣)</sup>، فأخذ صلى الله عليه وسلم بما يراه صالحاً من آرائهما فأخذ من علي قوله: أسأل الجارية يعني بريرة تصدقك فسألها فأصدقتة وبرأت المبرأة الطاهرة، وأخذ بقول أسامة: أهلك ولا نعلم عليهم إلا خيراً، والذي يظهر أنه صلى الله عليه وسلم خص علياً وأسامة بالمشورة في أهله إذ هما كالولدين المطلعين أكثر من غيرهما على شئون أهله وما يجري في بيته صلى الله عليه وسلم.

إلا أنه لإفشاء أهل الإفك لهذه الفرية ولشناعة ما ارتكبه لم يقتصر في الاستشارة فيها على علي وأسامة فقط وإنما خطب في الناس واستشارهم.

فمن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي...»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يوضح الأمور للناس ويستشيرهم ويأخذ بما يراه حتى يتزل وحي فيكون هو المرجع.

---

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ص ١٧٨٠.

(٢) صحيح البخاري، نفس الكتاب والباب والصفحة، حديث رقم ٧٣٦٩.

(٣) صحيح البخاري، نفس الكتاب والباب والصفحة، حديث رقم ٧٣٦٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ص ١٧٨٠، حديث رقم ٧٣٧٠.

هذا ولما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ترك الأمر شورى من بعده فيمن يتولى الخلافة من المسلمين، وإن حصل منه ما يستأنس به لترشيح أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لهذه المهمة وعلى كل حال فقد انعقد الإجماع على انتخاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليكون الخليفة الأول في الإسلام بعد المشاورات والمداومات التي كانت في سقيفة بني ساعدة<sup>(١)</sup>.

ثم كانت البيعة العامة في المسجد حيث قام رضي الله عنه مبيناً منهجه في الحكم، ومعلناً أنه قابل للتوجيه والتقويم. وما ذلك إلا فتحاً لباب الرأي والمشورة والنصح، وفعالاً بدأ رضي الله عنه في المشاورات فاستشارهم في إنفاذ جيش أسامة وكان يرى إنفاذه وتمسك برأيه وأنه لا يحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنفذه. واستشارهم في قتال أهل الردة ومانعي الزكاة وتمسك بالنص وقال: «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»<sup>(٢)</sup>، وكان الرأي فيما رأى رضي الله عنه، ولكنه في الحالات التي لم يأخذ فيها برأي عمر أو غيره من الصحابة لم يقل لهم ليس عندكم الحق في هذا الرأي أو ليس لكم الاعتراض أو أنا لا تلزميني مشورتكم بل كان رضي الله عنه شديد الرأي واعياً للإسلام مدركا للأحكام بيدي رأيه ويبرره بالدليل أو بيان دليله نقلياً كان أو عقلياً فيقتنع المقتنع، ولا يلتفت بعد ذلك إلى المخالف.

قال الإمام البخاري رحمه الله في بيان ما كان عليه أصحابه من بعده في الخلافة الراشدة: « كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية (دراسة مقارنة)، ط ٢، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر)، ص ٧٧-٨٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب لأمر بقتل النمل حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ص ١٨٣-١٨٤ حديث رقم ١١٢٤.

(٣) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ص ١٧٨٠.

وهكذا: لم يلتفت أبو بكر إلى مشورة إذ كان عنده حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الدين وأحكامه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من بدل دينه فاقتلوه»<sup>(١)</sup> يعني من المسلمين، وهكذا كانت المشورة فيما لا نص فيه أمراً متبعاً، وسنة يقتدى بها؛ **فهمج الثوري على هذا طبعني للتصلي لله عليه وسلم في الأمور والمخالفات المستحقة التي لم يرد فيها نص، وسلمه لخليفته لأول والترمه رضي الله عنه من بعده كما رأينا.**

وهذا هو الفاروق رضي الله عنه يتسلمه مع العهد بالخلافة من يد أبي بكر الصديق ويبدأ في تطبيقه من أول وهلة، حيث علم أن الصديق استشار الناس في شأن العهد له بالخلافة من بعده وأنهم مجمعون على اختياره؛ لكن علم أيضاً أن الأمر لا يتم له إلا بمبايعة الناس له فمد لهم يده للمبايعة وبادلهم الآراء فيما يهم الدولة وجيوشها الغازية في فارس والشام فشاورهم في الخروج إلى فارس وقيادة جيش المسلمين؛ فأشار عليه الأكثرون بالخروج وأشار عليه أهل الرأي بالبقاء وإرسال الجيوش ففعل، واستشارهم في اختيار القواد والعمال والقضاة، والصلح، والقدوم على أرض فيها وباء، وغير ذلك من الأمور.<sup>(٢)</sup>

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى: «وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً أو شباباً وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى»<sup>(٣)</sup>، وهذا إشارة منه أي البخاري - رحمه الله - إلى أن قراء الصحابة والتابعين كانوا هم أهل الرأي والفكر السليم، وأن الشباب الناضج له رأي مسموع مع الكهول، وفيه كذلك أن عمر كان لا يتعدى كتاب الله إذا وجد فيه الحكم المطلوب إلى الرأي ومعاذ الله أن يفعل ذلك، إذا فعهد عمر بن الخطاب كما قال

---

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ص ١٧٨٠.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ٣٤٢ / ١٣.

(٣) المرجع السابق.

بعضهم: كان الجوهر الأساسي لنظام الحكم إذ تم فيه إنشاء المجلس الاستشاري الذي ضم كبار القوم من المهاجرين والأنصار<sup>(١)</sup>.

ونراه رضي الله عنه ختم حياته بالشورى وجعل الأمر من بعده شورى بين نفر الستة حيث يختارون من بينهم خليفة للمسلمين بالشورى الانتخابية المحصورة، وتمت الخلافة لعثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه بعد أن لم يترك عبد الرحمن بن عوف ذا رأي من أهل المدينة النبوية أو القواد الحاضرين فيها آنذاك إلا استشارهم حتى رأى إجماعاً على عثمان فبايعه وبايع الناس من بعده في المسجد. وكانت أول قضية نظر فيها عثمان واستشار فيها هي الحكم في عبيد الله بن عمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup> حيث قتل الهرمزان<sup>(٣)</sup> ومن معه ظناً منه أن لهم في قتل أبيه مدخلاً، واستشارهم في بعث الجيوش وإنشاء الأسطول البحري وتوسعة الحرم وفتح إفريقية، وجمع الناس على مصحف واحد. قال علي رضي الله عنه: «ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا»<sup>(٤)</sup>.

أما علي بن أبي طالب الذي كان عمر بن الخطاب يتعوذ من معضلة لا وجود له فيها حيث يقول: اللهم إني أعوذ بك من معضلة لا أبا حسن لها<sup>(٥)</sup>، فإنه لما عرضت عليه الخلافة بعد استشهاد عثمان أبي وقال: لأن أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فأبوا عليه إلا القبول، فقال إذاً في المسجد ولا تكون إلا عن رضى من الناس<sup>(٦)</sup>.

وهكذا أخذ البيعة بالمشورة وظل يستشير أهل الرأي من الصحابة فيما حل بالأمة من فتن وتغيرات يطيش لها الحليم<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: الأنصاري، مرجع سابق، ٨٩-٩٤.

(٢) انظر/ أخباره في: ابن العربي، أبو بكر، مختصر العواصم من القواصم، بتحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، (مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩ هـ)، ص ١٠٦-١٠٨.

(٣) انظر: تعليقات محب الدين الخطيب على القصة المشار إليها في الصفحات أعلاه.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الحق تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: ٣٨]، (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩]، ١٣ / ٣٤٢، والأنصاري، مرجع سابق، ٩٥ - ٩٦.

(٥) انظر: مناقبه رضي الله عنه في: فتح الباري ٧ / ٧٠ - ٧٤.

(٦) الأنصاري، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٧) انظر: ابن العربي، العوالم من القوالم، مرجع سابق، ص ٣٣ وما بعدها، ونقل: ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ٧٧ - ٦٩.

هذا وإن تطبيق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لمبدأ الشورى والتزامه بها ونهج خلفائه وصحابته لنهجه فيها دال على لزومها عندهم، وتعينها على الإمام، طلباً للأصوب والأصلح، وإشراكاً للأمة التي وكلته وأتابته عنها في تسيير شؤونها، ولذا فإنه لم ترو لنا حادثة واحدة مما يدخل في مجال الشورى إلا وعرضوها على بساط البحث والمشاورة، وهذا التاريخ وأخبار القضاة والعمال والولاة مدونة بيد الأمانة والصدق، فلماذا إذا ما نراه في بعض البلاد من الاستبداد والتلاعب بمصالح الأمة ومصيرها؟.

وهذا لا شك يدل على أن الشورى من أهم مهمات المُلْك الراشد وأنها من أهم الصفات التي يمدح بها، ومن حق الأمة التي وكلت عنها هذا الملك أن يشاورها فيما يريد تنفيذه مما يتعلق بشؤونها.

لذا فإن الشورى من أهم المبادئ الأساسية في قيام المُلْك الراشد وتسيير دفة الحكم بعد ذلك وفق نظام راشد عادل.

### المهمة الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضرورة بشرية، لا يستغنى عنها فرد أو مجتمع ينشد الأمن والاستقرار، ويتطلع إلى التقدم والرقي، ويسعى لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية. والأمر والنهي حاجة فطرية، وغريزة مركوزة في نفس كل إنسان، فلا بد له من أمر ونهي ولا بد أن يأمر وينهي، والمجتمعات البشرية من حيث الأمر والنهي لا تخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يتآمروا بالمعروف، ويتناهوا عن المنكر، وهذه هي حال المؤمنين في المجتمع الراشد المسلم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

فهذا هو المجتمع الصالح، الذي غلب عليه الخير، وتمكن فيه المعروف وقوي أمره، واشتد عوده، وصارت له الغلبة والظهور، ولأهله العزة والتمكين.

وإن كان هذا المجتمع قد لا يسلم من بعض المنكرات، بل ولا يخلو من المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

الحالة الثانية: أن يتآمروا بالمنكر، ويتناهوا عن المعروف، وهذه هي حال المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١)</sup>.

الحالة الثالثة: أن يتآمروا ببعض المعروف، وبعض المنكر، ويتناهوا عن بعض المعروف وعن بعض المنكر، فيخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ويفعلوا حقاً وباطلاً، ومعروفاً ومنكراً وخيراً وشرراً، وهذا هو حال العصاة والفاستين والمسرفين على أنفسهم.

ومن هنا يتبين لنا ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للملك الراشد، وأنهما ضرورة بشرية لا غنى عنها لصالح المجتمع وتماسكه وسلامة سيره، وإستقرار أمره، إذ إن ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يؤدي إلى تفويت مصلحته فحسب، بل هو يؤدي إلى عكسه، وهو ظهور الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقوته وغلبته فالحسارة مضاعفة والخطب أعظم، فإما أن يسيطر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيخضع المنكر ويستخفي وإما أن يضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يتلاشى، فيسيطر المنكر ويستعلي لأن النفوس أماراة بالسوء، ميالة إلى الشهوات، تحب الإخلاق إلى الأرض، واتباع أهواء النفس، والتحلل من قيود الشرع، مع ما سلط عليها من كيد الشيطان ووسوسته، ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً شرعياً، كما هو واجب حساً وعقلاً لا يجوز تركه والتخاذل فيه<sup>(٢)</sup>.

وبين الحق تبارك وتعالى أنه سبب خيرية الأمة الإسلامية، وشرط لصحة الانتماء إليها.

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٢) صالح الفوزان، عبد العزيز بن فوزان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، (مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ٥١٤٢٤هـ)، ص:

١٢٨-١٢٩.

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> فجعل هذه الأمة خير الأمم بهذا الشرط: وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، قال الإمام الرازي: ثبت في أصول الفقه إذا ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات<sup>(٢)</sup>.

ولقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات خليله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup> فعد قيامه بهذا الأمر من أول أوصافه صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مدار رسالة الرسل الكرام كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٤)(٥)</sup>.

ثم إن الله تعالى وصف المؤمنين بما وصف به رسوله -صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين- فقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> فجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفاتهم التي استحقوا بها رحمة الله تعالى.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٩٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٤) انظر: السبت، خالد بن عثمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وأدابه، (المنتدى الإسلامي ومجلة بيان)، ص:

٤٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٧١.



وقال تعالى في وصف عباده المؤمنين الممكنين في الأرض: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(١)</sup> فجعل تعالى من صفات من يمكنهم الله في الأرض ويؤتيهم من ملكه أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولذا فإن من أهم مهمات الملك الراشد إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث إن الله جعلها من صفات الذين يمكنهم الله في أرضه.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما صمام الأمان، والضمان الحقيقية لتزكية ذلك الملك بل إن الملك لا يكون راشداً إلا من خلال إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

#### المهمة الرابعة: جمع الكلمة وعدم الفرقة:

كما أن من مهمات الملك الراشد ومقاصده جمع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد الصف ولا يكون هذا إلا تحت قيادة واحدة راشدة، وقد ورد الأمر بذلك في كتاب الله - عز وجل - وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup> وأمرهم بالإتحاد والإلتفاف حول راية واحدة فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٣)</sup> وحرّم التنازع بينهم وبين أنه يفضي إلى الإخفاق والضعف، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ... الْآيَةَ﴾<sup>(٤)</sup> وحذرهم من أن يؤدي بهم الاختلاف إلى الفرقة كما حدث للذين من قبلهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا... الْآيَةَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

إن قوة الدولة وكيانها إنما يكون بإجماع الكلمة ووحدة الصف. الاجتماع ووحدة الصف يساعدان المجتمع على مواجهة التحديات، ويعملان على تحقيق وعي الأمة بفهم ذاتها فهماً صحيحاً.

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

لقد صنع الإسلام للوحدة الإسلامية كل ما يقتضيه التوحيد، وأقام الوحدة على دعائم ثابتة لا يتطرق إليها الخلل ما دام المسلمون متمسكين بدينهم حريصين على طاعة ربهم وحد الإسلام بين المسلمين جميعاً بما أوجب عليهم من الإيمان برب واحد، والخضوع لإله واحد واتباع كتاب واحد، ومشرع واحد، وبما جعل للأمة الإسلامية على تعداد أفرادها من هدف واحد، وتفكير واحد، ومنهج واحد، وبما طبع عليه المسلمين من آداب وأخلاق موحدة وبما جعل للأمة كلها من قبلة واحدة، وسياسة واحدة، وسلوك واحد، وأمر لا يختلف على أصوله اثنان<sup>(١)</sup>؛ فتوحيد الصفوف وجمع الكلمة هي الدعامة الوطيدة لبناء الملك الراشد ودوام دولته ونجاح رسالته.

ومن مقومات جمع الكلمة الأخوة في الإسلام، وجعل الرابطة بينهم رابطة العقيدة العقيدة وحدها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقال -عز وجل- ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...  
الآية﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، التقوي ها هنا يشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)<sup>(٤)</sup>، وقضى على الحواجز الجغرافية والعصبيات الوطنية والقبلية، وقضى على اختلافات اللغة والجنس واللون، وجعل الميزان والمعيار الثابت لقياس الأفضلية هو التقوى والعمل الصالح قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، أما التفاخر بالأحساب والأنساب والعصبيات والأجناس والألوان فقد عده من أعمال الجاهلية قال

(١) عودة، عبد القادر، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص ٦٧.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ص ١١٧٤، حديث رقم ٦٤٨٧.

(٥) سورة الحجرات آية: ١٣.

صلى الله عليه وسلم: «من قتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية، فقتله جاهلية»<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الأحاديث.

هذا هو حكم الملك الراشد في الرعية، حكم الإسلام في المسلمين، جعلهم أمة واحدة وجعل لهم دولة واحدة، وأمرهم أن يجعلوا لهم إماماً واحداً يحكم هذه الدولة، ويجمع شأن الأمة، ويصرف عنها كل أسباب الفرقة.

### المهمة الخامسة: القيام بعمارة الأرض واستغلال خيراتها :

كذلك من مهمات الملك الراشد ومن مظاهر سياسة الدنيا بالدين القيام بعمارة الأرض التي استعمرنا الله فيها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ الآية<sup>(٢)</sup>، ولا يكون ذلك إلا بأن يقوم الملك الراشد بتهيئة جميع ما يحتاجه الناس من مختلف الصناعات والحرف والعلوم، وتوفير سبل البحث العلمي والاختراع وقد جعل الفقهاء ذلك من فروض الكفاية التي يجب وجودها في الأمة.

وفي رد المحتار: من فروض الكفاية الصنائع المحتاج إليها<sup>(٣)</sup> ويترتب على هذا لحوق الإثم بالأمة والأئمة إذا قصرا في تحصيلها، ولذلك جعل الفقهاء من حق الإمام إجبار أصحاب الصناعات الضرورية على القيام بها إذا امتنعوا عن ذلك.

وكذلك من عمارة الأرض أيضاً استثمار خيراتها بما يحقق مصالح الرعية العامة كشق الطرق وإقامة المصانع واستخراج المعادن وتنظيم الري، وإقامة السدود وتحسين وسائل الزراعة التي تزيد المحصول، وإيجاد سبل العمل الشريفة للأمة، إلى غير ذلك من الأمور التي لا حصر لها.

وفي قصة سليمان عليه السلام نلاحظ كيف استفاد من قدرات الجن، فسخرهم للقيام بمجموعة من الأعمال التي ساهمت في ازدهار ملكه وتقويته.

(١) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعوة إلى الكفر، ص ٨٨٣، حديث رقم: ٤٧٦٩.

(٢) سورة هود، آية ٦١.

(٣) ابن عابدين، محمد بن أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، (مصر: دار الطباعة، ١٨٥٥م)، ص ٣.

فكانوا يغوصون في أعماق البحار ويستخرجون من الأسرار والعجائب والكنوز ما لا يعلم مداها إلا الله، فكان يستعملهم في الدخول تحت المياه، والغوص في أعماق البحار والمحيطات، لاستخراج ما فيها من كنوز ودرر ولألىء وجواهر. وكذلك كان يستعملهم في البناء لقد سخر سليمان عليه السلام الجن والشياطين في إقامة المباني العظيمة وتشيد الصروح العجيبة، واستفاد من طاقات الجن وقدراتهم في هذه الأمور؛ فمملكة سليمان عليه السلام كانت مزدهرة في عمراتها، متقدمة في صناعاتها.

فعمارة الأرض واستغلال خيراتها من أهم مهمات الملك الراشد حيث تساعد على تقوية الملك واتساعه وتحقيق الرخاء للرعية.

### المهمة السادسة: تحصين الثغور<sup>(١)</sup>:

يعد تحصين الثغور من مهمات الملك الراشد وذلك يكون بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد، أي حماية الأمن الخارجي بالعدة والاستعداد الدائمين.

وقال إمام الحرمين: وأما اعتناء الإمام بسد الثغور فهو من أهم الأمور وذلك بأن يحصن أساس الحصون والقلاع، ويستظهر لها بدخائر الأطعمة ومستنقعات المياه، واحتفار الخنادق والعتاد وآلات القصد والدفع ويرتب على كل ثغر من الرجال ما يليق به<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ هذا واضحاً جلياً في قصة ذي القرنين وبناء السد الذي منع من خلاله يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض من اختراقه، فحبس أهل الفساد، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، وذلك لحفظ أمن للمملكة.

### المهمة السابعة: استكفاء الأمناء وتقليد العظماء:

---

(١) الثغور: جمع ثغر وهو ما يلي دار الحرب، والثغر: موطن المخافة من خروج البلدان (ابن منظور، مرجع سابق، مادة: "ثغر"، ٤/١٠٣).

(٢) الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، غياث الأمم والبيئات الظلم، ت: فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمي، (القاهرة: دار الدعوة، ١٩٧٩)، ص ١٥٦.

يعد اختيار الأكفاء من مهمات الملك الراشد؛ فسلیمان علیه السلام اختار الهدهد لإرسال الكتاب إلى ملكة سبأ حيث إنه هو من أتى بالأخبار وعرف مداخل المملكة ومخارجها وعلم مساربها ومجاهلها.

وامتثل الهدهد لأمر سليمان وفعل ما أمره به وذلك لأنه الأكفاء والأصلح في ذلك. وعن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث؛ فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال (أين - أراه - السائل عن الساعة؟)، قال: ها أنا يا رسول الله، قال: (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها؟، قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) <sup>(١)</sup>. فاعتبر النبي صلى الله عليه وسلم إسناد الأمر إلى غير أهله من علامات الساعة، ولذا اختيار الأكفاء أحد أهم المهمات الأساسية للملك الراشد.

#### المهمة الثامنة: مباشرة الأمور وتصفح الأحوال:

فمباشرة لأمر وتصفح لأحوال الاهتمام بمسئلة لأمة وحرمة للفق من مهمات للملك الرائد، ويصح هذا في مباشرة سليمان عليه السلام وتقدمه لأحوال الجيش ليلى هل هناك خلل أو تهير وكذلك في مباشرة في القربى لبناء البلد بنفسه مع مسطرة القوم له. فمباشرة الأعمال وتصفح الأحوال من أهم المهمات التي تحافظ على كيان الملك وعلى قوته.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل عما هو مشتغل في حديثه فلم يجبه ثم أحب السائل من ٨٧، حديث رقم ٥٩.

## المطلب الثاني: الآثار الطيبة للملك الراشد

يمكن أن نحمل الآثار الطيبة للملك الراشد فيما يلي:

١- الملك الراشد سبب لنجاة المجتمع وسلامته وأمنه في الدنيا والآخرة فكما أن فرعون كان قائد قومه وإمامهم للعذاب والمهلك في الدنيا والآخرة؛ فكذلك كل ملك راشد سبباً في نجاة المجتمع وسلامته وأمنه في الدنيا والآخرة؛ فذو القرنين بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأقام العدل وحقق الأمن والنجاة لقومه في الدنيا والآخرة.

٢- الملك الراشد مانع للمفسدين من تدمير أخلاق المجتمع وعقائده وذلك لأن أهل الباطل قد استعبدتهم الشهوات، وأسرتهم التزوات والرغبات، وانساقوا وراءها، واجتهدوا في تحصيلها، وبدلوا وسعهم في إشباعها، بالحق وبالباطل، وبشئ الوسائل، وأنواع الحيل، فهم يزينون الباطل، ويقلبون الحقائق، والحقيقة أن كثيراً من الفساق والفاستين لا يكتفون بفسقهم وفسادهم في أنفسهم، بل يسعون جاهدين لنشر الفساد في الأرض، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ووجود الملك الراشد القوي يمنع هؤلاء من الإفساد في الأرض فيأمن المجتمع منهم كما فعل ذو القرنين مع يأجوج ومأجوج من بناء السد وذلك لأنهم كانوا مفسدين في الأرض.

٣- الملك الراشد سبباً لتقوية الإيمان وذلك لأن الملك الراشد من مهمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف أمر بمكارم الأخلاق وبما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والنهي عن المنكر نهي عن منكرات الأخلاق وعمّا يكرهه الله ويأباه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وهذا من شأنه أن يزكي النفوس، ويطهر القلوب، ويزيد من الإيمان والتقوى، وقوة المراقبة لله تعالى فيتكون لدى الإنسان رقابة ذاتية تمنعه من مخالفة أمر ربه -عز وجل-، كما أنه يوجد عنده حصانة أخلاقية تعجزه عن ركوب المنكرات، وفعل الفواحش والجرائم، بل وتجعله يأنف منها ويستبشعها، بل ويسعى لمحاربتها والقضاء عليها وكثير من الجرائم والفواحش بل كلها إلا ما ندر، إنما تصدر عن أناس مرجت عهودهم، وانحطت أخلاقهم، وضعف عندهم الوازع الديني وعم فيهم الجهل، فإذا كان الملك قوياً ومهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمة، أحييت قلوبهم، وأيقظت ضمائرهم وهذبت أخلاقهم، وصحت مفاهيمهم. فمنعتهم من ظلم العباد ومنعت من انتشار الجريمة وتحض على زيادة الإيمان وتقويته.

٤- المُلْكُ الراشد سبب للوحدة والألفة والتكافل الاجتماعي وذلك لأن من خلال المُلْكُ الراشد القائم على العدل والمساواة تنتشر المحبة والمودة، والموالاتة والنصرة، والتواصل والتكامل والنصح للمسلمين، والاهتمام بأمرهم، والتعاون على البر والتقوى والذب عن حرمتهم ومصالحهم، فكل مسلم يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، ويأتي إليه بمثل الذي يجب أن يؤتي به إليه، ويغار على محارم أخيه، ويدافع عن مصالحه، كما لو كانت محارمه ومصالحه الخاصة به؛ فتسود الألفة بين المسلمين ويكونوا يداً واحدة أمام أعدائهم ويكونوا يداً واحدة في تقدم المجتمع وركوبه ركب التقدم وينتشر التواصل والتكافل، والتعاون والتناصر، الذي ينشأ عنه الأمن النفسي والحسي.

٥- المُلْكُ الراشد آمنة من العقوبات الإلهية التي تحل بالمجتمعات الضالة المنحرفة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> فجعل الله تعالى قيام الملك بواجب الإصلاح سبباً لدفع عذاب الله عنهم، وإنجائهم لهم.

فالأمة التي يقع فيها الفساد، فيجد من ينهض لدفعه، هي أمة ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير. فأما الأمم التي ينتشر فيها الظلم والفساد، فلا يجدان من يدفعهما ويقاوم انتشارهما أو يكون فيها من يستنكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحق عليها، كما سنوضح في آثار الملك الفاسد وما حل بفرعون وقومه، وذلك إما بهلاك الاستتصال، وإما بهلاك الانحلال والاختلال، وذلك بنقص الأنفس والثمرات والأموال وذهاب الأمن وزعزعة الاستقرار، وتسلب الظلمة والجحيم وبهذا نعلم أن المُلْكُ الراشد سبب نجاتها وسلامتها في الدنيا والآخرة، وبه يدفع الله عنها العذاب والفتن، ويرد عنها غوائل الأعداء والمتربصين.

٦- الملك الراشد سبب في التقدم والرخاء والازدهار في جميع مناحي الحياة ويعد هذا من أهم آثار المُلْكُ الراشد فالملك الراشد لا يرضى أن يكون في ذيل الأمة ومؤخرة الركب بل يجب أن يكون في مقدمة الركب، يسعى دائماً إلى تقدم أمته وازدهارها وأن تعيش رعيته عيشة كريمة.

وحتى لا يطول بنا المقام اكتفيت بهذه الآثار وأسأل الله تعالى أن يقوض لهذه الأمة مُلْكاً راشداً يعيدها إلى ركب التقدم والرئاسة والسيادة على جميع الأمم.

(١) سورة هود، الآية: ١١٧.

## المبحث الثاني: آثار الملك الفاسد

### المطلب الأول: فوات كل ما يترتب على الملك الراشد

عرفنا فيما سبق المهمات والآثار الطيبة التي تنشأ عن الملك الراشد، فإذا فسد الملك فقد فاتهم كل ما يترتب على الملك الراشد من آثار طيبة وفوائد ومصالح، ونتائج للرعية في العاجل والآجل، بل وحصل لهم أضرار ذلك من أنواع العقوبات التي تهدد أمنهم، وتضر بمصالحهم، وتلحق بهم البلاء والشقاء، وتجرح عليهم الوليات والنكبات.

### المطلب الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله

إن مما ابتدع في الأمة الإسلامية في عصورها الأخيرة التحاكم إلى غير شريعة الله تعالى، حتى صار سمة عامة لكثير من بلاد المسلمين وأصلاً من أصول دساتيرها ولعل هذا أثر من آثار الملك الفاسد الذي سيطر على البلاد الإسلامية في الآونة الأخيرة.

وذلك لأن كل ملك فاسد لا يسوس رعيته بالعدل، وحكم الله قائم على العدل المطلق الذي يطبق على الكبير والصغير، والشريف والوضيع، والأسير والسوقة، والمسلم وغير المسلم والمساواة على إطلاقها، فلا قيود ولا استثناءات، وإنما مساواة تامة بين الأفراد، ومساواة تامة بين الحاكمين والمحكومين، ومساواة تامة في الحقوق والواجبات والمستوليات.

أين هذا من قول فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(١)</sup> وهذا قول كل طاغية جبار، لا يأبه بشيء ويظن أن أقواله وأفعاله معصومة، فكيف يرضى بحكم الله تعالى.

فمن أهم الآثار الفاسدة المترتبة على الحكم الفاسد هو الحكم بغير ما أنزل الله وتنحية شريعة الرحمن.

(١) سورة غافر، الآية: ٢٩.



### المطلب الثالث: التكذيب بآيات الله تعالى وافتراء الكذب على الله تعالى

إن الاغترار بالملك يصل بالملوك وأتباعهم إلى التكذيب بآيات الله تعالى وافتراء الكذب على الله تعالى، ففرعون المتطاول المغرور الذي خاف على قومه من دعوة موسى عليه، وصل به التطاول والغرور أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(١)</sup> وقوله هذا يدل على مدى ما وصل من طغيان وغرور، فادعى الألوهية من دون الله تعالى بل وصل به الطغيان أن قال لوزيره هامان: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى﴾<sup>(٢)</sup> فهو يتظاهر أنه حريص على معرفة الحقيقة والبحث عن إله موسى وهو يلهو ويلعب فقال ما قال، فقد حسب أن مملكة هذا الرب السماء، وهذا تصور مختل وطلب من وزيره أن يبني له صرحا، يبلغ به عنان السماء ليرى الإله الذي زعمه موسى حتى إذا لم يجده رجع إلى قومه فأثبت لهم عدم وجود إله في السماء إثبات معاينه<sup>(٣)</sup>. ثم قال عليه اللعنة: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup> أي أن موسى كاذب في دعواه أن هناك إلهاً غيره في هذا الكون.

لقد وصل فرعون إلى ذلك نتيجة لاغتراره بملكه فادعى الألوهية من دون الله تعالى.

وحيثما أتاه موسى بالآيات من عند الله تعالى استمر في طغيانه وضلاله وأصر على التكذيب بالآيات وقال فرعون وملؤه: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لُتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup> فهم يصرون على التكذيب مهما رأوا من بينات، خشية ذهاب ملكهم وسلطانهم، ولأن الحق يخالف هواهم ومصالحتهم، فعاندوا موسى حين تحداهم بالآيات وقالوا: إنك إن تأتتنا بكل نوع من أنواع الآيات التي تستدل بها لأجل أن تسحرنا بها فتصرفنا عما نحن فيه، فما نحن لك بمصدقين ولا برسالتك تابعين.

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، (١٢٢/٢٠).

(٤) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٨.

فملكه أوصله إلى عدم الاعتراف برب العالمين وادعاء الألوهية من دون الله والتكذيب بالآيات المرسله من عند الله تعالى وهذا حال كل طاغية متجبر أسكره الملك وسيطر على عقله وقلبه فهو يفترى على الله الكذب ويكذب بآيات رب العالمين.

### المطلب الرابع: الصد عن سبيل الله ومنع ذكر الله

الصد عن سبيل الله ومنع ذكر الله تعالى من أخطر الآثار المترتبة على الملك الفاسد وأشدها ضرراً على دين الرعية، ففرعون الذي يعد نموذجاً للملك الفاسد عندما أسلم السحرة و ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وأعلنوا إيمانهم بالله تعالى، قال لهم: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فهو لجهله وغروره ظن أن الحق إذا تبين يحتاج إلى استئذان منه أو من غيره ، ولكي يصد الناس عن الإيمان برب العالمين كما فعل السحرة اتهمهم فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾<sup>(٣)</sup> أي تواطؤوا مع موسى لإخراجهم من أرضهم .

ثم أتبع هذا الاتهام الباطل بالوعيد الشديد فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فأجمل الوعيد ثم بينه فقال: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ﴾<sup>(٥)</sup> ثم ارتقى إلى نوع آخر من العذاب فقال: ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٦)</sup> أي يصلبهم على جذوع النخل فحينما أدرك فرعون أن إيمان السحرة برب العالمين فيه خطر على ملكه بعد الهزيمة والخذلان، توعدهم بهذا العذاب الشديد ليصدهم ويصد غيرهم عن التفكير في الإيمان كما فعل السحرة فهو يصد عن سبيل الله ويمنع ذكر الله تعالى وهذا حال كل الطغاة وذلك لأن الإيمان بالله تعالى هو سبيل النجاة وسبيل الخروج من تسلطهم والتخلص من طغيانهم.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٤.

وقد قال الحق -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

أي: لا أحد أظلم وأشد جرمًا، ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات، واجتهد في خرابها الحسي والمعنوي فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها وتقديرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية والنصاي حين أخرجوا بيت المقدس وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله ومشاقة، فجازاهم الله بأن منعهم دخولها شرعاً وقدرًا، إلا خائفين ذليين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله تعالى، فحال فرعون ومن سار على نهجه الخزي في الدنيا والآخرة، لأنهم يصدون عن سبيل الله تعالى ويمنعون من ذكر الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الخامس: تزييف الحقائق ووضع الأشياء في غير موضعها

للك العدل لا يكفي بغرأ الكذب على الله والتكذيب بآياته وطلد عن سبيل الله ومنع ذكر الله تعالى لي يقوم بتزييف الحقائق ووضع الأشياء في غير موضعها قل تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَنَا مِنْ بَيْنِهِمْ مَوْسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ ظُلْمًا بَهِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> والظلم: وضع الشيء في غير موضعه<sup>(٤)</sup> فالظلم في حقها كل في علم صحتها، ومحو لقرنها باعتبارها سحرًا وحلا وهي في ذمها دلي قطع على أنها من عند الله. وذكر الحق تبارك وتعالى - فرعون وملائكته لأن الكورجل للولتهم التي يقومون بذلك ثم يتبعهم الرعية.

لقد وقف فرعون من دعوى رسالة التوحيد موقف المكذب المعاند وحتى عندما أتى موسى بالبينات التي لا تدع مجال للشك ماذا قال فرعون وملؤه ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

(١) سورة البقرة: ١١٤.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٦٣) بتصرف.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠٣.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٤/٢٢٢).

فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فحينما أدركوا أن دعوى موسى -عليه السلام- تسلب مُلك فرعون، ومُلكهم المستمد منه على الرغم مما رأوا من الآيات أمام أعينهم ولكي يصرفوا الناس عن الإيمان بعد أن رأوا الآيات، غيروا الحقيقة وادعوا أن هذا سحر مفترى وأنه ساحر، وهذه عادة كل ملك ظالم متجبر وعادة حاشيته منهم في سبيل الحفاظ على مُلكهم القائم على الاستبداد والطغيان يطمسون الحقائق ويغيرون كل شيء لذلك.

ومن ذلك قول فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ ففرعون مصلح وموسى مخرب مفسد فهو يصور لشعبه ذلك، ويصور لهم أنه حريص على دين قومه، ويخاف من موسى على دينهم، ويعتبره خطراً على دينهم، يُريد أن يبدله ويغيره وهذا هو الفساد بعينه، فموسى مفسد مخرب مدمر، خطر على الدين والإصلاح والخير، ولذلك لا بد أن يُقتل للحفاظ على الإصلاح والمحافظة على الدين! أي: يجب قتله باسم الدين للمحافظة على الدين!!

ومعنى هذا أن فرعون هو حامي الدين، وموسى هو المحارب للدين!! ودينهم الذي يخشى عليه فرعون التبديل هو القائم على عبادة فرعون وتأليهه، وتعبيد الناس له، والإيمان بكونه إلهاً ورباً، وهذا هو الحق والصالح والخير!!

أما ما ينادي به موسى فإنه خطر على الدين، والذي ينادي به هو توحيد الله، والإيمان به وحده، وعبادته وحده، وتعبيد الناس له وحده، والاعتقاد بأنه وحده هو رب العالمين! هذا هو الخطر والدمار الذي يحمله موسى، وهو بهذه الدعوة يريد أن يبدل دين الناس الصحيح، ويظهر في الأرض الفساد!!

وفي هذا المنطق الفرعوني يبدو موسى -عليه السلام- مفسداً ومخرباً وضالاً ومضالاً، أما فرعون فإنه هو المصلح الخير النافع المهتدي وهذا المنطق المقلوب هو نفسه المنطق الذي يلجأ له كل طاغية متجبر يريد أن يحارب الحق وأهله، فهو يزيّف الحقائق فيقدم نفسه لقومه على أنه هو الصالح المصلح، المؤمن المهتدي. أما حملة الدعوة مخربون، ظلاميون، إرهابيون أصوليون منغلَقون!!

فهذا حال كل مُلك فاسد مفسد وهذا ما يستخدمه الطغاة على مر العصور المنطق الفرعوني المقلوب في حربهم لدين الله تعالى.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٩.

## المطلب السادس: الاختلاف والتفرق

إن الأصل في المُلْك هو أن يجمع بين المحكومين، وأن يؤلف بين قلوبهم، لا أن يفرق بينهم، ويجعلهم شيعاً وأحزاباً متفرقين؛ ولكن من آثار المُلْك الفاسد هو تفريق أفراد الشعب الواحد، وتقسيمهم شيعاً وأحزاباً متفرقة، وذلك ليتحكم بهم، وفق القاعدة الفرعونية التي يطبقها كل حاكم مستبد: "فرق تسد".

قسم فرعون أهل مصر إلى شيع وجماعات وأحزاب مختلفة، متعارضة وحرص على التفريق بينهم، فمنهم المؤيدون له، المقربون عنده كالملا والوزراء والسحرة، ومنهم المعارضون المخالفون له الذين أبعدهم وأقصاهم وأهملهم، ومنهم المعادون له، الذين اضطهدهم وعذبهم كبنى إسرائيل؛ فكانت وسيلته للسيطرة على أهل مصر هذا التفريق وتقسيم أهل البلد الواحد إلى شيع وجماعات، فيعطي إحداها امتيازات ويتخذ منها قادة وحكاما، ويجعل الأخرى أهلها منقادين مستضعفين ومقهورين فكان ﴿يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

الملك الفاسد يحرص على ذلك لكي يستطيع السيطرة على زمام الأمور، ولا يخرج أحد عليه لظلمه وجبروته وهذه عادة الملوك الطغاة على مر العصور، وفرعون كان النموذج الأمثل في ذلك لذا قص لنا القرآن ما كان يفعله بقومه على سبيل العبرة والعظة ولكي نعلم أن من آثار المُلْك الفاسد تفريق أفراد الشعب الواحد وجعلهم مختلفين فيما بينهم، فهذه طريقة فرعونية في الحكم فيها دلالة على فساد المُلْك وفساد المُلْك.

## المطلب السابع: زوال النعم

لِي مِّنْ آتِلِ الْمَلِكِ الصُّلْدِ زَوَالِ الْعَمِّ وَيُضْحِطُّكَ جَلِيْفِي قَوْلِ الْحَيِّ تَبْلِكَ وَتَعْلِي:  
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَ فِرْعَوْنَ بِالسِّبْرِ وَهَضَبٍ مِّنَ النَّوْتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ \* فَيَا جَاهِلِيَّةَ  
لَعْنَةُ قُلُوبِ لَنَا هَلْ وَنُصِيْبُهُمْ سِيْرًا وَمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَلَّا لِيْمَا طَرَّهُمْ عِدَدَ  
اللَّهِ وَكُنِّي أَكْزَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَقُلُوبُهُمَا تَأْتَانِي بِهِ مِنْ آيَةِ لَنَحْرِنَا هِيَ فَهَلْ عَجِبُ لَكَ  
بِمُؤْمِنِينَ \* فَاسْتَأْنَسْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوْفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالْبَعَادِغَ وَاللَّمَّ آيَاتِ هُصِّلَتْ

(١) سورة القصص، الآية: ٤.

فَلْعَكُرُوا وَكَلُوا قَوْمًا جُحِيمًا ﴿١﴾. لقد ابتلى الله قبط فرعون بسنوات لحمل  
والجذب عقابا لهم على تطيعهم لبي ليراقلي، ولكهم لم يتعوا وكذلك نقص الثمرات،  
فعلما تعجب لأطرا وقل لليلة تح وتيس للزروعات، ونقص الثمرات.

وأجرى عليهم الله الماء طوفاناً، بعد سنوات من الجذب ونقص الثمرات ابتلاءً وتعذيباً  
لهم، ثم الجراد ، والقمل والضفادع والدم، فتلك الآيات ما هي إلا ابتلاء وعذاب من الله  
لفرعون وملئه، بسبب بطشهم وفسادهم.

لذلك سماها القرآن ﴿رَجْزًا﴾؛ فزوال النعم من آثار الملك الفاسد، ولذا قال الحق -  
تبارك وتعالى-: ﴿فَأَخْرَجْنَا لَهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (٢) أي أن الله -  
تبارك وتعالى- أزال تلك النعم وأهلك فرعون الذي كانوا به يغترون ونزع ملكه الذي  
كان به يغتر وبسببه طغى وتجر وأفسد في الأرض بغير الحق.

فوال العم وهلاك ما به يغترون أثر من آت الملك الصلدا فالملك الصلدا جيل أنه  
ملك لأخس ومن عليها، وجيل أن ما فيه من نعم لا تول أبداً وجيل أن ملكه لا يبداً أبداً  
فيغتر ملكه فيتجر وجيل، لنا يذوال العم ولللك من آت لإصلدي لأخس بغير الحق

ولذا نتج عن فساد ملك فرعون زوال النعم وما كانوا فيه، وهلك فرعون وقومه وهذا  
حال كل حاكم ظالم، يتجر في الأرض بغير الحق ويسير على نفس النهج الفرعوني.

### المطلب الثامن: الهلاك بإنزال العذاب عليهم في الدنيا والآخرة

إن هلاك الملك الفاسد بإنزال العذاب عليه في الدنيا والآخرة أثر من آثار إفساده  
وطغيانه وتجبره في الأرض بغير الحق، فله آيات في الإنجاء والإهلاك، فالله تعالى أمر موسى  
-عليه السلام- أن يعبر بأتباعه المؤمنين الطريق في قاع البحر، فدخله ودخل معه بنو  
إسرائيل خلفه، وعبروا الطريق الآمن اليبس، وكان فرعون وجنوده ينظرون إليهم، في هذا  
المشهد العجيب المثير وعجب القوم ودهشوا، واعتبروا الأمر سحراً من موسى -عليه  
السلام- وما درى المغفلون أن الأمر أمر الله، وأنها آية عظيمة من آيات الله -عز وجل-.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٠ - ١٣٣.

(٢) سورة الشعراء الآية: ٥٧ - ٥٨.

وأراد الله -عز وجل- أن يدخل فرعون وقومه البحر ليغرقهم قال تعالى: ﴿وَأَزَلُّنَا ثُمَّ  
الْآخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالآخرين فرعون وقومه، الذين وقفوا يرقبون المنظر.

ومعنى أزلنا: قربنا وقَدَّمنا<sup>(٢)</sup> والمعنى: قربنا وأدنينا فرعون وجنوده من البحر،  
وأوقفناهم هناك، قريباً من البحر<sup>(٣)</sup>، تمهيداً للخطوة التالية، فعبر موسى -عليه السلام-  
ومن معه، من فرعون وجنوده، أنجاهم الله تعالى من القتل والتعذيب على أيديهم، كما  
أنجاهم من الغرق في مياه البحر. قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ولما  
وجدوا أنفسهم على الشاطئ الآخر ناجين حمدوا الله وشكروه على هذه النعمة الغامرة.  
وخشي موسى -عليه السلام- أن يدخل فرعون وجنوده البحر، فأراد أن يضرب البحر  
بعصاه، ليعود كما كان؛ ولكن الله نهاه عن ذلك، وأمره أن يترك البحر كما هو، فله  
حكمة من ذلك، وإن الله يريد أن يدخل فرعون وجنوده البحر، ويغيرهم بسلوك الطريق،  
ليغرقهم ويهلكهم قال تعالى: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ولم ترد كلمة  
﴿رَهْوًا﴾ في غير هذا الموضع من القرآن. قال الإمام الراغب الأصفهاني "رهوا": ساكنا.  
وقيل: الطريق، وهو الصحيح، ويطلق الرهاء على الصحراء المستوية. ويُقال لكل حفرة  
مستوية يجتمع فيها الماء رهو...<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام ابن كثير: «وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبنو  
إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه، حتى يعود كما كان، ليصير حائلاً بينهم وبين  
فرعون فلا يصل إليهم فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنا، وبشره بأنهم جند مغرقون  
وأنه لا يخاف دركا ولا يخشى»<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٤.

(٢) انظر: مذكور واخرين، مرجع سابق، (١/٣٩٧).

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، (١٠/٢٥٢).

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٢٤.

(٦) الراغب، مرجع سابق، ص ٣٦٨.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٤/١٤٣).

فأصدر فرعون أمره لجنوده بالدخول للحاق ببني إسرائيل، فنفذوا أمره ودخلوا الطريق ودخل فرعون معهم.

وَمَا كُنْ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ مَسِيرُونَ فِي قَاعِ الْبَحْرِ، أَمَرَ اللَّهُ لِلْمَاءِ أَنْ يُلْقَى عَلَيْهِمْ فَضَدَّ لِلْمَاءِ أَمْرَ اللَّهِ وَمَا هِيَ إِلَّا لِحِطَّةٍ حَتَّى كُلَّ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ جَمَعْنَا لِنَلْعِقَ الْمَاءَ غَرَقُوا فَجَاءَ جَمِيعًا.

وقد سجلت الآيات مشهد غرقهم العجيب المثير، بينما كان بنو إسرائيل ينظرون معجبين مبهورين، شاكرين لله.

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَكْبِرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنِّي لَأَكْفُرُونَ \* فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

تسجل الآيات على فرعون وجنوده استكبارهم في الأرض، وكفرهم بالله، وإنكارهم البعث وترتب على هذه الجرائم عقوبتهم الشديدة، وهي إلقاءهم في اليم.

وتشير الآيات إلى عاقبة قبيحة فرعون لجنوده، وأخطأهم وأهلكهم ودمرهم وما حل بهم!!

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، لقد أغضب فرعون وجنوده رب العالمين بكفرهم وضلالهم، واغترارهم بملكهم وطغيانهم وتجبرهم في الأرض بغير الحق، واستحقوا بذلك العقاب، حيث أوقع الله بهم عذابه وانتقامه وأغرقهم في البحر، وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

وجعلهم الله عبرة متقدمة لمن يأتون بعدهم من المتأخرين، حيث يعرف الآخرون اللاحقون ما أوقع الله بهؤلاء السلف السيئين من العقاب، فيعتبرون ويتعظون.

فأين ادعاء فرعون الألوهية والربوبية؟ وأين عبادة قومه له؟ أين ملكه لمصر؟ فما نفع ملكه السابق لمصر لقد كانت الأتجار تجري من تحته، فجعلها الله تجري من فوقه ومن جانبه ومن تحته.

(١) سورة القصص، الآية: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥ - ٥٦.



ولقد قال الحق -تبارك وتعالى- عن عاقبته في الآخرة: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ \* وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيْبًا مِّنَ النَّارِ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ \* وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ \* قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه هي عاقبة فرعون وقيادته وإمامته في الدنيا وفي الآخرة، عاقبة سوء له ولقومه الذين تابعوه، وهي نفسها عاقبة كل طاغية مستبد ظالم في أي زمان ومكان، عاقبة سوء له في الدنيا والآخرة، وعاقبة سوء لقومه وأتباعه الذين يتابعونه في الدنيا والآخرة.

### المطلب التاسع: عدم الفلاح في الدنيا والآخرة

عدم الفلاح في الدنيا والآخرة نتيجة عادلة وأثر من آثار الملك الفاسد فمن طغى وتجبر في الدنيا، وظن أن الملك ملكه يعطي ويمنع ويعز ويذل، تكون عاقبته عدم الفلاح في الدنيا والآخرة؛ ففرعون وجنوده أطبق الله عليهم البحر، فهلك هو وجنوده وماتوا غرقا، وذهبوا إلى عذاب الله.

أما فرعون فإنه قبل أن يموت أعلن إيمانه وهو إيمان "المضطر" الذي لا يقبل من صاحبه قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فبعد أن غمره موج البحر، وأحاط به الغرق، وأيقن أنه لا نجاة له من هذا الغرق، في هذه اللحظة عرف فرعون أنه زال عنه كل مظاهر القوة والجاه والسلطان، والادعاء والغطرسة، أين قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي

(١) سورة غافر، الآية: ٤٥-٥٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٠.

مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١﴾، الآن عرف أنه لا إله إلا الله وأيقن أنه ليس إلهاً، ولهذا أعلن إيمانه بالله، وإسلامه لله وحده لا شريك له.

لما أعلن فرعون من تحت الماء إيمانه وإسلامه، ردَّ عليه المَلَك قائلاً: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢)، وهذه الجملة سخرية من فرعون، وتأنيب له، وإخباره أن إسلامه وإيمانه جاء متأخراً، فلماذا لم يؤمن من قبل، في وقت الاختيار والقناعة والتفكير.

وهكذا انتهت حياة فرعون المستبد الطاغية المتأله، غريقاً في البحر، خرجت روحه من جسده وهو تحت الماء، وقبض الله أرواح آله وجنوده الغرقى من حوله، ولم ينفعه علوه في الأرض، ولم ينصره قومه وملؤه، ولم يدفع عنه أحد العذاب، وكان موته غرقاً دلالة على ضعفه وعجزه وكذبه في ادعائه الألوهية والربوبية.

وبعد خروج روحه من بدنه، وتحويله إلى جثة هامدة، أنجاه الله ببدنه، وألقاه على شاطئ البحر، وجعله للناس آية، يشاهدونها ويتذكرونها ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٣) آية على أنه لا إله إلا الله، آية على قوة الله وقدرته، وأخذه وبطشه وانتقامه سبحانه، وقد عقب آيات القرآن على هلاك فرعون وجنوده قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْ جُنُودِهِ فَبَدَّلْنَاهُمْ فِي آيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٦٥ - ٦٨.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٠ - ٤٢.

إن فرعون وجنوده أئمة يؤمنون الناس، وقادة يقودونهم، ودعاة يدعونهم إلى النار ويقودونهم في الطريق إليها، وفرعون هو إمام الأئمة، وقائد القادة، يسير أمام الجميع، أمام قومه وجنوده وملئه، يقودهم ويقدمهم إلى جهنم، وهم أتباع له يسرون خلفه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ \* يَقَدِّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ \* وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾<sup>(١)</sup> تقرر الآيات أن فرعون ليس راشداً، وأن أمره ليس رشيداً والدليل على ذلك قيادته وإمامته لقومه كانت شؤماً عليهم، فهو في الدنيا كان يقدمهم فأوردتهم البحر، فماتوا فيه غرقاً، وهو في الآخرة يقدمهم فيوردتهم نار جهنم يدخل قبلهم فيها، ويدخلون هم خلفه، وقد لعن الله فرعون وقومه في الدنيا، ولعنهم في الآخرة، وجعل لعنته لهم رفاً يرفدهم به بعد دخولهم النار، وبئست اللعنة رفاً يرفدهم به، وعطاء يعطيهم إياه، هذه هي نتيجة متابعة فرعون وطاعته والاستجابة لأمره المنكر والمؤمنين للنيا والآخر.

وهي نساء عاقبة كل ملك فلد مستبظالم في أي زمن ومكان عاقبة منكر وهزيمة في النيا والآخر، وعاقبة منكر وهزيمة لقومه وأتباعه الذين يتبعون في النيا والآخر.

### المطلب العاشر: حصول العداوة بين أركان الملك الفاسد وأتباعهم في الآخرة

قد عرضت لنا آيات سورة غافر، بعض ما سيكون بين فرعون الملك الفاسد المفسد وملئه من جهة، وبين أتباعهم المستضعفين من جهة أخرى، من لوم وعتاب وندم واتهام وعداوة، في الآخرة ليكون هذا نموذجاً ومثلاً لكل من يأتي بعدهم لمن يسير على نهجهم وطريقتهم، فما يحدث بينهم ما هو إلا أثر من آثار الملك الفاسد، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ \* وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ \* وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ

(١) سورة هود، الآية: ٩٦ - ٩٩.

جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ \* قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١﴾.

والتحاج: الاحتجاج من جانبين فأكثر، أي إقامة كل فريق حجته وهو يقتضي وقوع  
خلاف بين المتحاجين إذ الحجة تأيد لدعوى لدفع الشك في صحتها.

والضعفاء: عامة الناس الذين لا تصرف لهم في أمور الأمة. والذين استكبروا: سادة  
القوم أي الذين تكبروا كبراً شديداً<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي إنا كنا في الدنيا تابعين لكم، ومنقادين لهواكم ومسخرين  
لخدمتكم والاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ للطلب  
المصحوب بالرجاء والاستجداء<sup>(٣)</sup>. وهو مستعمل في الحث واللوم على خذلانهم وترك  
الاهتمام بما هم فيه من عذاب<sup>(٤)</sup>، أي: هذا هو حالنا أمامكم، وقد كنا في الدنيا منقادين  
لكم انقياد العبد لسيده فادفعوا عنا شيئاً من العذاب المهين الذي نزل بنا، فطالما دافعنا  
عنكم في الدنيا وسرنا وراءكم بدون تفكير أو معارضة.

﴿مُعْتُونَ﴾ أي: فهل أنتم تدفعون عنا جزءاً من العذاب الذي نحن فيه وهنا يرد  
المستكبرون على الضعفاء قائلاً: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي: إنا نحن وأنتم جميعاً في جهنم،  
فكيف ندفع عنكم شيئاً من العذاب، وإنا لو كانت عندنا القدرة على دفع شيء من  
العذاب لدفعناه عن أنفسنا<sup>(٥)</sup>.

وهذا مصدق لقول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا  
وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ \* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوا وَنَحْنُ كَارِهِينَ ﴿١٢٢﴾

(١) سورة غافر، الآية: ٤٥ - ٥٠.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٤ / ١٦١.

(٣) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢ / ٢٩٧.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٤ / ١٦٢.

(٥) طنطاوي، مرجع سابق، ١٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨.

كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ  
النَّارِ ﴿١﴾.

فحصول العداوة بين أتباع المُلْك الفاسد والمتبوعين في الآخرة أثر من آثار فساد  
المُلْك ونتيجة حتمية لطغيانهم وجبروتهم وإفسادهم في الأرض بغير الحق والتكذيب  
بآيات الله تعالى والصد عن سبيل الله ومنع ذكر الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٦٦ - ١٦٧).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفاهم وجعلهم أنبياء ورسلا وبعد:

بهذه الخاتمة تنتهي الأطروحة التي تناولت فيها الحديث عن المُلْك في القرآن (دراسة موضوعية)، وأذكر فيها أهم النتائج لهذا البحث، والتوصيات المستفادة منه.

### أولاً: النتائج:

١. الله تعالى له المُلْك التام المطلق يؤتي الملك من يشاء ويرزع الملك ممن يشاء وهو العليم الحكيم في كل فعل يريد وينشئه.
٢. المُلْك الراشد وسيلة لا غاية، وسيلة إلى إقامة أمة قائمة على العدل والخير، تحق الحق وتبطل الباطل، أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، أمة تقوم بأداء رسالتها على منهاج الإسلام الذي رسمه الله تعالى له.
٣. حفظ الدين وسياسة الدنيا به، هو الهدف الأساسي للمُلْك الراشد.
٤. الشورى أبرز شعارات المُلْك الراشد تمنع الاستبداد وتضمن سلامة الحكم ووحدة الأمة.
٥. اتحاد المسلمين وعدم اختلافهم وتفرقهم، لما في ذلك من القوة والقدرة على قهر أي عدو يتربص بالأمة.
٦. أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تحقيق الأمن في المجتمعات وكذلك تحقيق التقدم والازدهار.
٧. دور المُلْك في الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي للمجتمع.
٨. دور المُلْك الراشد في عمارة الأرض واستغلال خيراتها فيما هو صالح للرعية وما يساعد على تقدم الأمة وازدهارها، وسيادتها للأمم.

٩. المُلْكُ الراشد هو الإطار الوحيد الذي يستطيع أن يجمع شمل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويقوي شوكتهم ويهرب عدوهم.
١٠. المُلْكُ الراشد سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.
١١. المُلْكُ الفاسد واتباعه سبب للهلاك في الدنيا والآخرة.
١٢. المؤمن من واجبه أن يرد النعم كلها إلى الله وأن يقابلها بالشكر حتى تدوم وأن يتواضع لها، ولا تقده إلى التكبر والغرور.
١٣. ضرورة تفقد الراعي لرعيته، والحاكم لأهل مملكته، ليتعرف على أحوالهم فينصف المظلوم ويغيث الملهوف، ويأخذ على أيدي المقصرين، ويعاقب المستهترين.
١٤. ضرورة قبول الحاكم عذر المعتذر إذا كان صحيحاً قائماً على حجة دامغة وسلطان مبين كما فعل سليمان عليه السلام مع الهدهد.
١٥. مهما بلغ الإنسان من العلم والمرتبة فلن يصل إلى كل شيء، فإن عرف شيئاً غابت عنه أشياء!! وهذا مدعاة إلى التواضع وترك الغرور ومعرفة المرء قدر نفسه.
١٦. حساسية النفس المؤمنة من الشرك بالله، فإذا كان هدهد صغير يستغرب ويستهجن شرك ملكة سبأ وقومها، فنحن المسلمين أولى باستهجان كل أشكال الكفر والشرك من الهدهد.
١٧. اختيار الرسول الكف، ممن يتحلى بالشجاعة، ومعرفة أحوال المملكة الذاهب إليها، واتصافه بالحذر إذا كان في مهمة سرية.
١٨. المُلْكُ الفاسد والطغيان والتجبر سبب في زوال النعم والتخلف والبعد عن ركب التقدم.
١٩. الاختلاف التفرق نتيجة للمُلْكِ الفاسد وأثر من آثاره.

ثانياً: التوصيات:

١- نوبي قلدة لأمة وزعماها أن يحذروا الارتداء بأنفسهم في مهلي الخرف فوقعوا  
لقتلني بهم في تلك المهلي فإن كان إقلمهم ومعلمتكم بأنفسهم وتهمهم على علم بوقب  
ذلك كانوا الحى بللعة والمحي في الدنيا وضلعة العناب في لأخرة، إذ ما كل لهم أن  
يجروا بأقوام وكلوا أهورهم بقلقتهم عن حسن ظني فيهم أن يحذروا أمانتهم فيهم

٢- نوصي المسلم أن يكون إيجابياً في الحياة، فيبادر على القيام بالأعمال النافعة  
الصالحة، ولا ينتظر أمراً من أحد بذلك بعد أمر الله تعالى.

٣- نوصي بالتثبت في قبول الأخبار، والتبين في الأخذ بالأنباء، حتى نعرف الصدق  
فيها من الكذب.

٤- نوصي بتفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما لها من دور في إصلاح  
المجتمعات والشعوب.

٥- نوصي بتدبر القرآن والعمل به كمنهج حياة يضبط حياة الأفراد والشعوب.

٦- نوصي باختيار الملك للبطانة الصالحة يشاورهم في الأمور يستمع إلى نصائحهم  
وإرشادهم.

٧- نوصي بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ومنهج الله واقعاً عملياً وسلوكاً  
ومنهجياً في حياة المسلمين لأن فيها سعادتهم وفوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

٨- نوصي بتبني منهج الإعداد المسبق والتخطيط المحكم قبل الإقدام على أي عمل ولا  
تكون أفعالنا ردة فعل عاطفية، تتميز بالعشوائية والتخبط والفوضى.

٩- نوصي أولي الأمر باختيار الأكفاء في كل موضع لأن هذا هو السبيل لتحقيق  
التقدم والرخاء.

وبهذا أصل إلى ختام هذا البحث فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن  
الشیطان، وأسأل الله أن يجعله صالحاً ولوجهه خالصاً، وصلى الله وسلم على محمد صلى  
الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## الفهارس

### فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	الفاتحة	٣	٢٠-١٥
٢	مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ		٤	٣٦
٣	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... خَلِيفَةً...	البقرة	٣٠	٢١٤-٩٣
٤	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى .....		٦٢	٣٦
٥	أُولَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ		٧٧	٣٦
٦	وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ.....		١٠٢	١٢
٧	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...		١٠٧	٩
٨	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ.....		١١٤	٢٣٩
٩	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا.....		١٦٦	٢٤٩
١٠	وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً.....		١٦٧	٢٤٩
١١	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...		٢٤٦	٥٣
١٢	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا.....		٢٤٧	-٢٠-١٢ ٥٣-٤٨
١٣	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ.....		٢٤٨	٥٤
١٤	فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ.....		٢٥١	-٤٤-١٢ ٥٥

١٥	لَمْ تَوَالِيَ حَاجَّ لَتِي لِيُوهِمَ فِي رِيٍّ.....		٢٥٨	٨٤-١٢
١٦	مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ.....	آل عمران	٤	١٩٩
١٧	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ.....		٢٦	-١١-٢ -١٩-١٢ ٨٤-٤٦
١٨	أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....		٨٣	٢١٤
١٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ...		١٠٢	١
٢٠	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.....		١٠٣	-٢٢٩ ٢٣٠
٢١	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.....		١١٠	-٢٢٦ ٢٢٧
٢٢	فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...		١٥٩	٢١٩
٢٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ.....	النساء	١	١
٢٤	أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ.....		٥٣	١١
٢٥	فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا		٥٤	١٢
٢٦	وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.....		٥٨	٢١٥
٢٧	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.....		١٦٥	٢٢٨
٢٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ.....	المائدة	١	٢١٤
٢٩	وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا.....		٨	٢١٦
٣٠	إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا.....		٢٠	٨
٣١	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ..		٢١	١٠٢
٣٢	وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ		٤٥	٢١٧

٢	١٢٠		لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ...	٣٣
٩٥	٣٨	الأنعام	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ...	٣٤
٢١٤	٥٧		إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَفْصِلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ	٣٥
١٣	٧٢		وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ	٣٦
٣٧	٧٣		وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ...	٣٧
٢٩	٨١		وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ...	٣٨
٩٠	٨٤		وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ...	٣٩
٤١	٩٢		وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...	٤٠
١٠٦	١١٢		وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ..	٤١
٢١٧	١١٥		وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا....	٤٢
٢١٥	١٥٢		لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا....	٤٣
١٩٧	١٦٠		مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا....	٤٤
٩٠	١٦٣		لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ	٤٥
٤٠	٨	الأعراف	وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ....	٤٦
٤٠	٩		وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ....	٤٧
١٠٦	٢٧		يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ...	٤٨
٢٦-٢٥	٥٤		إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى	٤٩

			الْعَرْشِ.....	
٢٤٤	٥٥		ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	٥٠
٢٤٤	٥٦		وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا.....	٥١
١٠٠	٥٧		وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ.....	٥٢
١٠٤	٩٦		وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ...	٥٣
-١٦١ -١٦٢ ٢٣٩	١٠٣		ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَظَلَمُوا بِهَا.....	٥٤
١٦٣	١٠٤		وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ	٥٥
١٦٤	١٠٥		حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...	٥٦
١٦٤	١٠٦		قَالَ إِنْ كُنْتَ جئتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا...	٥٧
١٦٤	١٠٧		فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ	٥٨
١٦٥	١٠٨		وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ	٥٩
-١٦٥ ٢٤٠	١٠٩		قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	٦٠
١٦٥	١١٠		يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ	٦١
١٦٥	١١١		قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	٦٢
١٦٦	١١٣		وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا...	٦٣
١٦٦	١١٤		قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ	٦٤
-١٦٦ ١٦٧	١١٦		قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ...	٦٥

١٦٧	١١٧		وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ...	٦٦
١٦٧	١١٩		فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ	٦٧
١٦٧	١٢٠		وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ	٦٨
-١٦٨ ٢٣٨	١٢١		قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ	٦٩
-١٦٨ ٢٣٨	١٢٣		قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ.....	٧٠
-١٦٨ ٢٣٨	١٢٤		لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ...	٧١
١٦٩	١٢٥		قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ	٧٢
١٦٩	١٢٦		وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا...	٧٣
-١٦٩ -١٧٠ -١٨٢ ١٩٤	١٢٧		وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ.....	٧٤
١٧٠	١٢٨		قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا...	٧٥
-١٧٠ ١٧١	١٢٩		قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا...	٧٦
-١٧١ ٢٤٢	١٣٠		وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ...	٧٧
-١٧١ -١٧٢ ٢٤٢	١٣١		فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ... تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ...	٧٨
-١٧١ ٢٤٢	١٣٢		وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ...	٧٩
-١٧٢ ٢٤٢	١٣٣		فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ...	٨٠
١٧٣	١٣٤		وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ...	٨١

١٧٤	١٣٥		فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ... ٨٢
١٧٤	١٣٦		فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ... ٨٣
١٧٤	١٣٧		وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ... ٨٤
٣٨	١٣٨		وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا... ٨٥
١٤٨	١٤٣		وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ... ٨٦
٢٢٨	١٥٧		الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ... ٨٧
٣٢	١٩١		أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ٨٨
٣٢	١٩٢		وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يُنصُرُونَ ٨٩
٢٢٩	٤٦	الأنفال	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَتَفَشَلُوا... ٩٠
٤٠	١٨	التوبة	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ٩١
٣٦	٢٩		قَاتِلُوا الَّذِينَ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... ٩٢
٤١	٣٨		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ... ٩٣
٤١	٤٤		لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ... ٩٤
٤١	٤٥		إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ٩٥
٢٢٦	٦٧		الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ... ٩٦
-٢٢٦ ٢٢٨	٧١		وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... ٩٧
١٨٦	١	يونس	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٩٨
١٨٦	٢		أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ ٩٩

			مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ...
٢٩-٢٣ ٣١	٣١		١٠٠ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...
١٨٦	٧٥		١٠١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...
١٨٧	٧٦		١٠٢ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ
١٨٧	٧٧		١٠٣ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ...
١٨٧	٧٨		١٠٤ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...
-١٨٧ ١٨٨	٨٣		١٠٥ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ...
١٨٨	٨٤		١٠٦ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا...
١٨٨	٨٥		١٠٧ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
١٨٩	٨٦		١٠٨ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
١٨٩	٨٧		١٠٩ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَيْوتًا...
-١٨٩ ١٩٠	٨٨		١١٠ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً...
١٩٠	٨٩		١١١ قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتِكُمْ فَاستَقِيمَا...
-١٩١ ٢٤٤	٩٠		١١٢ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا...
-١٩١ ٢٤٥	٩١		١١٣ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ
١٩١	٩٢		١١٤ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً...
٢٩	٥٤	هود	١١٥ إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ...

٢٢٩	٦١		هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...	١١٦
-١٩٢ ٢٤٦	٩٦		وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ	١١٧
-١٩٢ ٢٤٦	٩٧		إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ	١١٨
-١٩٢ ٢٤٦	٩٨		يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ...	١١٩
٢٤٦	٩٩		وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ...	١٢٠
٢١٥	١٠٢		وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ...	١٢١
٣٧	١٠٥		يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ	١٢٢
٢٣٤	١١٧		وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ	١٢٣
-١٩-٩ ٤٩	١٠١	يوسف	رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ...	١٢٤
١٨٩	١٤	الرعد	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ...	١٢٥
٢٦	٣٣		أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...	١٢٦
٢١٣	٤١		وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	١٢٧
١١٨	٧	إبراهيم	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ	١٢٨
٢٨	١٠		قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...	١٢٩
١٩٧	٧	النحل	وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ...	١٣٠
٣٢	٢٠		وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا...	١٣١
٣٢	٢١		أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ	١٣٢



			يُبْعَثُونَ	
٣٢	٢٢		إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ...	١٣٣
٢١٤	٩٠		إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...	١٣٤
٢١٢	٤٢	الإسراء	قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا... لَابْتَعُوا...	١٣٥
٢١٢	٤٣		سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا	١٣٦
٤٢	٥٠		قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا	١٣٧
٢٨	١٠٢		قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...	١٣٨
١١	١١١		وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ...	١٣٩
٥٦	٤٧	الكهف	وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً...	١٤٠
١٠٦	٥٠		وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ.....	١٤١
١٧	٧٩		وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يُأْخِذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا	١٤٢
١٢٩	٨٣		وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا	١٤٣
-٥٠ -١٢٦ -١٢٧ ١٥٣	٨٤		إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا	١٤٤
١٢٩	٨٥		فَاتَّبَعَ سَبَبًا	١٤٥
١٢٩	٨٦		حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا...	١٤٦
-١٢٩ -٢١٠ ٢١٦	٨٧		قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ...	١٤٧
-١٢٩	٨٨		وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً	١٤٨

٢١٦			الْحُسْنَى...	
١٢٩	٨٩		ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا	١٤٩
١٢٩	٩٠		حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ...	١٥٠
١٢٩	٩١		كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا	١٥١
١٢٩	٩٢		ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا	١٥٢
١٢٩	٩٣		حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ...	١٥٣
١٢٩	٩٤		قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...	١٥٤
١٢٩	٩٥		قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ...	١٥٥
١٢٩	٩٦		أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ...	١٥٦
١٢٩	٩٧		فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا	١٥٧
١٢٩	٩٨		قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي...	١٥٨
٣٦	٤٠	مريم	إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يَرْجِعُونَ	١٥٩
٣٢	٤١		وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	١٦٠
٣٢	٤٢		إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ...	١٦١
١٨	٥	طه	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ	١٦٢
١٣	٢٠		فَأَلْفَاها فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ	١٦٣
١٧٥-١٧٦	٤٧		فَاتِيَاهُ فِقُولًا إِنَّا رَسُولًا رَّبِّكَ...	١٦٤
١٨٩-٢٨	٤٩		قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ	١٦٥
٢٥-٢٦-١٧٦	٥٠		قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ	١٦٦

١٧٦	٥١		قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى	١٦٧
١٧٦	٥٢		قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى	١٦٨
١٧٧	٥٣		الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا...	١٦٩
١٧٧	٥٥		مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ...	١٧٠
١٧٨	٥٧		قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى	١٧١
١٧٨	٥٨		فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ...	١٧٢
١٧٨	٥٩		قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى	١٧٣
١٧٨	٦٠		فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى	١٧٤
١٧٩	٦١		قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا	١٧٥
١٧٩	٦٣		قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَوْ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ...	١٧٦
١٨٠	٦٤		فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوًّا صَفًّا...	١٧٧
١٨٠	٧٧		وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ...	١٧٨
١٨٠	٧٨		فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ	١٧٩
١٨١	٧٩		وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى	١٨٠
٣٨	٨٨		فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ...	١٨١
٣٧	١٠٨		يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ...	١٨٢
-١٥-٩ ١٦	١١٤		فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ...	١٨٣
٢١٣	١٢٤		وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا...	١٨٤
٢١٢-٤٤	٢٢	الأنبياء	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...	١٨٥

٢١٢	٢٣		لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ	١٨٦
١٠٢	٧١		وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ	١٨٧
٩٧	٧٩		فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...	١٨٨
١٠١	٨١		وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ...	١٨٩
-١٠٧ ١١٠	٨٢		وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ...	١٩٠
٢٢٨	٩٢		إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ	١٩١
٤٤	٤٠	الحج	وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمْتُمْ صَوَامِعُ... لَهَدَمْتُمْ صَوَامِعُ...	١٩٢
-٢٠٤ ٢٢٧	٤١		الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ.....	١٩٣
١٣	٥٦		وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ	١٩٤
٢٧	٦	المؤمنون	إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ...	١٩٥
٣١	٨٤		قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ	١٩٦
٣١	٨٥		سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	١٩٧
٣١	٨٦		قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	١٩٨
٣١	٨٧		سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ	١٩٩
٣١	٨٨		قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ	٢٠٠
٣١	٨٩		سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ	٢٠١
٣٠	٩١		مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...	٢٠٢
١٨-١٥	١١٦		فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ...	٢٠٣
٢٧	٦١	النور	أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ	٢٠٤

			أَشْتَاتًا... ..	
١٨	٢	الفرقان	الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ..	٢٠٥
١٣-٣٧- ٣٩	٢٦		الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا.	٢٠٦
١٨١	١٦	الشعراء	فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	٢٠٧
١٨٢	١٧		أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	٢٠٨
١٨٢	١٨		قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا... ..	٢٠٩
١٨٢	٢٠		قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ	٢١٠
١٨٢	٢١		فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ... ..	٢١١
١٨٢	٢٢		وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٢١٢
١٨٣	٢٣		قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ	٢١٣
١٨٣	٢٤		( قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا... ..	٢١٤
١٨٣	٢٥		قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ	٢١٥
١٨٣	٢٦		قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ	٢١٦
١٨٤	٢٧		قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ	٢١٧
١٨٤	٢٨		قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا... ..	٢١٨
١٨٤	٢٩		قَالَ لَئِنِ اتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ	٢١٩
١٨٤	٥٣		فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	٢٢٠
١٨٤	٥٤		إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ	٢٢١
١٨٥	٥٥		وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِطُونَ	٢٢٢
١٨٥	٥٦		وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ	٢٢٣
-١٨٥	٥٧		فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	٢٢٤

٢٤١				
-١٨٥ ٢٤١	٥٨		وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ	٢٢٥
١٨٥	٦١		فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ	٢٢٦
١٨٥	٦٢		قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ	٢٢٧
١٨٥	٦٣		فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ... وَأَزَلْفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ	٢٢٨ ٢٢٩
-١٨٦ -٢٤٢ ٢٤٥	٦٥		وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ	٢٣٠
-١٨٦ ٢٤٥	٦٦		ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ	٢٣١
-١٨٦ ٢٤٥	٦٧		إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ	٢٣٢
٢٤٥	٦٨		وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	٢٣٣
٢٨	١٤	النمل	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا... وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ...	٢٣٤ ٢٣٥
-٩٤-٩٠ ٩٦	١٦		وَحَشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	٢٣٦
٥٩	١٩		وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ... وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَرَى الْهُدًى... لَأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِيبَهُ... فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ...	٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠
٥٩	٢٠			
٦١	٢١			
٦١	٢٢			

٦١	٢٣		إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ...	٢٤١
٦١	٢٤		وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...	٢٤٢
٦١	٢٥		أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ...	٢٤٣
٦١	٢٦		اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	٢٤٤
٢٠٦-٦٧	٢٧		قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ	٢٤٥
٢٠٦-٦٧	٢٨		أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ...	٢٤٦
٢١٨	٢٩		قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ	٢٤٧
٢٠٦	٣١		أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ	٢٤٨
-٧١-٦٩ ٧٢	٣٢		قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ...	٢٤٩
٧٢-٦٩	٣٣		قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ...	٢٥٠
-٦٩-٨ ٧٢	٣٤		قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا	٢٥١
٧٣-٦٩	٣٥		وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ	٢٥٢
٢٠٧-٧٥	٣٦		فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ ...	٢٥٣
٢٠٧-٧٥	٣٧		أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا ...	٢٥٤
٧٧	٣٨		قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ...	٢٥٥
١٠٨-٧٧	٣٩		قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ...	٢٥٦
٧٧	٤٠		قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ...	٢٥٧
٧٩-٧٧	٤١		قَالَ نَكُرُّوا لَهَا عَرَشِهَا ...	٢٥٨
٧٩	٤٢		فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ...	٢٥٩

٧٩	٤٣		وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ...	٢٦٠
٨١	٤٤		قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً...	٢٦١
٣١	٦٠		أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...	٢٦٢
٣١	٦١		أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي...	٢٦٣
٣١	٦٢		أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...	٢٦٤
٣١	٦٣		أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...	٢٦٥
٣١	٦٤		أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ...	٢٦٦
١٥١	٢	القصص	تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	٢٦٧
١٥١-٨٧	٣		تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	٢٦٨
-٤٠ -١٥١ ١٥٢	٤		إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا...	٢٦٩
١٥٣	٥		وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا...	٢٧٠
١٥٣	٦		وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فِرْعَوْنَ...	٢٧١
١٥٢	١٥		وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا.....	٢٧٢
١٨٢	٢٠		وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى...	٢٧٣
-١٥٤ ١٥٥	٣٢		اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا...	٢٧٤
١٥٥	٣٣		قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا...	٢٧٥
١٥٥	٣٤		وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا...	٢٧٦
-١٥٥ ١٥٦	٣٥		قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ...	٢٧٧
١٥٦	٣٦		فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ...	٢٧٨



١٥٧	٣٧		وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى... ٢٧٩
-١٥٨ ٢٣٦	٣٨		وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي... ٢٨٠
٢٤٣	٣٩		وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ... ٢٨١
-١٥٩ -٢٤٣ ٢٤٥	٤٠		فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ... ٢٨٢
-١٦٠ ٢٤٥	٤١		وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ... ٢٨٣
-١٦٠ -١٦١ ٢٤٥	٤٢		وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً... ٢٨٤
١٨١	٤٨		فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ... ٢٨٥
١٧٦	٤٩		قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى... ٢٨٦
١٥١	٨٣		تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ... ٢٨٧
٣٢	١٧	العنكبوت	إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا... ٢٨٨
٢٨	٢٠		قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ... ٢٨٩
٣٦	٣٦		وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ... ٢٩٠
٢٩	٦١		وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... ٢٩١
١٥٢	٣٢	الروم	مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا... ٢٩٢
٢١٢	٥	السجدة	يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ... ٢٩٣
١٠٠	٩	الأحزاب	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ٢٩٤

١	٧٠		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا	٢٩٥
١	٧١		يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...	٢٩٦
١٠٢	٢	سبأ	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ...	٢٩٧
٩٧	١٠		وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا...	٢٩٨
-٩٧ -١٠٣ -١٠٧ ١٠٩	١٢		وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرًا...	٢٩٩
-٩٠ -١٠٧ -١١١ -١١٥ ١٢٠	١٣		يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ...	٣٠٠
٣٠	٣	فاطر	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...	٣٠١
١١	١٣		يُورِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...	٣٠٢
٢١٣	٣٨	يس	وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا...	٣٠٣
٢١٣	٣٩		وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ...	٣٠٤
٢١٣	٤٠		لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا...	٣٠٥
١٣٧	١٠	الصفات	إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ	٣٠٦
١٦٣	٣١		فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ	٣٠٧
٤٩-١٢	٢٠	ص	وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ	٣٠٨
٢٠٥	٢٦		يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...	٣٠٩
٩٠	٣٠		وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ	٣١٠
-٩٢-١٩ ١١٨	٣٥		قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ...	٣١١

١٠١	٣٦		فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ	٣١٢
-١٠٧ -١١٠ ١١١	٣٧		وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ	٣١٣
-١٠٧ ١٠٩	٣٨		وَأَخْرَيْنَ مُفْرَتَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ	٣١٤
١١٩	٣٩		هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣١٥
١١٩	٤٠		وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ	٣١٦
١١	٦	الزمر	لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ	٣١٧
٨٦	١٩		أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ	٣١٨
١٧٧	٢١		أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ...	٣١٩
٢٥	٦٠		وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ...	٣٢٠
٣٥	٦١		وَيُنجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ	٣٢١
٣٥-٣٣	٦٢		اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...	٣٢٢
-٣٣-٢٦ ٣٥	٦٣		لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...	٣٢٣
-٣٧-١٣ ٣٨	١٦	غافر	يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ...	٣٢٤
٦٦	١٩		يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ	٣٢٥
١٩٣	٢٣		وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ	٣٢٦
١٩٣	٢٤		إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ	٣٢٧
١٩٣	٢٥		فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا...	٣٢٨
-٢١ -١٩٣	٢٦		وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ...	٣٢٩

١٩٤				
١٩٤	٢٧		وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ...	٣٣٠
١٩٤	٢٨		وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ...	٣٣١
-١٢ -١٩٤ -١٩٥ -٢١٥ ٢٣٥	٢٩		يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ...	٣٣٢
١٩٥	٣٠		وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ ...	٣٣٣
١٩٥	٣١		مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ...	٣٣٤
-١٩٥ ١٩٦	٣٢		وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ	٣٣٥
١٩٦	٣٣		يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ...	٣٣٦
١٩٦	٣٤		وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ...	٣٣٧
١٩٦	٣٥		الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ...	٣٣٨
١٩٧	٣٨		وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ	٣٣٩
١٩٧	٣٩		يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ...	٣٤٠
١٩٧	٤٠		مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا	٣٤١
١٩٧	٤١		وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ	٣٤٢
١٩٧	٤٢		تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ...	٣٤٣
-١٩٧ ١٩٨	٤٣		لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ...	٣٤٤
١٩٨	٤٤		فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي...	٣٤٥
-١٩٨	٤٥		فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا...	٣٤٦

-٢٤٤ ٢٤٦				
-١٩٨ -٢٤٤ ٢٤٦	٤٦		النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...	٣٤٧
-٢٤٤ ٢٤٦	٤٧		وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ...	٣٤٨
-٢٤٤ ٢٤٦	٤٨		قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا...	٣٤٩
-٢٤٤ ٢٤٦	٤٩		وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ...	٣٥٠
-٢٤٤ ٢٤٦	٥٠		قَالُوا أَوْلَمِ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...	٣٥١
٣١	٦٤		اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا...	٣٥٢
٣١	٦٥		هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ...	٣٥٣
١٩٠	٨٥		فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا...	٣٥٤
٢١٢	١١	فصلت	فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ	٣٥٥
٢١٨	٣٨	الشورى	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...	٣٥٦
٢١٨	٣٩		وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ	٣٥٧
٢١٦	٤٠		وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ...	٣٥٨
١٩٩	٤	الزخرف	وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ	٣٥٩
١٩٩	٦		وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ	٣٦٠
١٩٩	٧		وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	٣٦١
١٩٩	٨		( فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا	٣٦٢
١٩٩	٣١		وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ	٣٦٣

١٩٩	٤٦		وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَّتْهُ... ٣٦٤
١٩٩	٤٧		فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ٣٦٥
٢٠٠	٤٨		وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا... ٣٦٦
٢٠٠	٤٩		وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ... ٣٦٧
٢٠٠	٥٠		فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ... ٣٦٨
-١٣ -٢٠٠ -٢٠٢ ٢٤٤	٥١		وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ... ٣٦٩
٢٠١	٥٢		أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ... ٣٧٠
٢٠١	٥٣		فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ... ٣٧١
٢٠١	٥٤		فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ... ٣٧٢
٢٠١	٥٥		فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٧٣
٢٠٢	٥٦		فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ٣٧٤
٢٤٢	٢٤	الدخان	وَاتْرِكِ الْبَهِرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَقُونَ ٣٧٥
٤٢	٢٤	الجنات	وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا... ٣٧٦
٢٢٩	١٠	الحجرات	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ... ٣٧٧
٢٢٩	١٣		يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ... ٣٧٨
٤١	٢	ق	بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ... ٣٧٩
٤١	٣		أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣٨٠
٢٨	٢٠	الذاريات	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٣٨١
٢٨	٢١		وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٣٨٢

٢٧	٣٥	الطور	أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ	٣٨٣
٢٧	٣٦		أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ	٣٨٤
٢٣	٥٥	القمر	فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ	٣٨٥
٤١	٢٢	المجادلة	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ... ..	٣٨٦
-١٥-٢ ١٦	٢٣	الحشر	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ	٣٨٧
٤١	٦	المتحنة	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...	٣٨٨
١٥	١	الجمعة	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ... ..	٣٨٩
١١	١	التغابن	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ... ..	٣٩٠
-١١-٢ ١٨	١	الملك	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٣٩١
١٠٠	٦	الحاقة	وَأَمَّا عَادٌ فَاهْتَكَبُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	٣٩٢
١٠٠	٧		سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ... ..	٣٩٣
١٠٠	٨		فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ	٣٩٤
١٠٠	٩		وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاطِئَةِ	٣٩٥
١٠٦	١٤	الجن	وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ... ..	٣٩٦
١٠٦	١٥		وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا	٣٩٧
١٣	٢٠	الإنسان	وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا	٣٩٨
٣٧	٢٩	النبأ	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا	٣٩٩
-١٥٠ ٢٠١	٢٤	النازعات	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى	٤٠٠
٤٠	١	الماعون	أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ	٤٠١
٤٠	٢		فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ	٤٠٢

٤٠	٣		وَلَا يَحْضُ عَلٰى طَعَامِ الْمَسْكِينِ	٤٠٣
٣٧-١٥	١	الناس	قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ	٤٠٤
-١٥-٩ ٣٧	٢		مَلِكِ النَّاسِ	٤٠٥



## فهرس الأحاديث

م	الحديث	الصفحة
١	أغیظ رجل على الله يوم القيامة وأحبته.....	٢٠
٢	أقیموا حدود الله في القريب والبعید.....	٢١٠
٣	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.....	١٣١
٤	ألا وإن في الجسد مضغة.....	١٦٢
٥	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى.....	١٩٨
٦	إن أحنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك...	٢٠
٧	إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون	١١٥
٨	إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.....	١
٩	إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون...	١١٥
١٠	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمسى قال.....	١٩
١١	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم.....	١٩
١٢	إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس.....	١١٢
١٣	إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة.....	١١٨
١٤	إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته	٢١٥
١٥	إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن.....	٢١٥
١٦	بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم.....	٢٣١
١٧	تبايعوني ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا.....	١٣٥
١٨	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم.....	١٦
١٩	حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، قالت.....	٢٢٠
٢٠	رجل ولد عشرة من العرب، تيامن منهم ستة...	٦٣
٢١	سبعة يظلهم الله في ظله.....	٢١٥
٢٢	فقال سليمان للطير: أظلي على داود.....	٩٧

١١٨	قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فسمعناه يقول.....	٢٣
١٠١	كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الرياح قال.....	٢٤
٩٢	لا نورث، ما تركنا صدقة	٢٥
١٧١	اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف	٢٦
١٥	اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي.....	٢٧
١٣٥	ما أدري أتبع كان لعيناً أم لا، وما أدري أذو القرنين كان نبياً أم لا...	٢٨
٢٢١	ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي.....	٢٩
٢٢٩	المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره.....	٣٠
٢٢٢	من بدل دينه فاقتلوه	٣١
٢١٠	من حالت شفاعته دون حد من حدود الله.....	٣٢
٢٢٩	من قتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية.....	٣٣
١٠٠	نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور	٣٤
٢٦	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...	٣٥
٢٤	يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت...	٣٦
٢٦	يقال لهم أحيوا ما خلقتكم	٣٧
١٦-١٠	يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه...	٣٨
١٦	ينزل الله على السماء للنيا كل ليلة فينضح من ثلث الليل لأول...	٣٩

فهرس الأعلام المترجم لها

م	اسم العلم	رقم الصفحة
١	الأزهرى	٨
٢	إسماعيل حقى	١٢٤
٣	الألوسى	٧٤
٤	ابن الأنبارى	١٣٤
٥	الأبجى	١٢٢
٦	البخارى	١٦
٧	البغوى	٩١
٨	البضاوى	٦٥
٩	الترمذى	٢٣
١٠	ابن تىمة	١٠
١١	الثعالى	٩٣
١٢	ابن جرىج	١٤٣
١٣	أبو جعفر النحاس	٩٦
١٤	ابن جنى	٥٠
١٥	أبو حاتم	٢١
١٦	ابن ابى حاتم	١٣٠
١٧	الحاكم	١٣٥
١٨	ابن حجر	١٢٤
١٩	الرازى	١٠٨
٢٠	الزبىر بن بكار	١٢٣
٢١	الزجاج	٣٩
٢٢	زكرىا الأنصارى	٦٩
٢٣	الزمخشرى	٤٧

١٢٣	الزهري	٢٤
١٢٤	السهيلي	٢٥
٧٠	سيد قطب	٢٦
٧	ابن سيده	٢٧
١١٢	السيوطي	٢٨
١٠٢	شعبة بن عياش بن سالم	٢٩
٥٦	الشوكاني	٣٠
١٣٠	أبو الشيخ	٣١
٣٧	الضحاك	٣٢
٩	الطبري	٣٣
١١٦	الطرطوشي	٣٤
١٢٣	أبو الطفيل	٣٥
٣٨	ابن عاشور	٣٦
١٥	عاصم	٣٧
١٣٤	ابن أبي عاصم	٣٨
١٢٣	عبد بن حميد	٣٩
١٣٣	ابن عبد الحكم	٤٠
٢٢	أبو عبيد	٤١
١٧	ابن العربي	٤٢
١٤٣	عطاء بن أبي رباح	٤٣
٧٤	ابن عطية	٤٤
١٣٣	عكرمة	٤٥
٧	ابن فارس	٤٦
١٣٠	القاسمي	٤٧
٤٦	قتادة	٤٨

٥٩	القرطبي	٤٩
٩	ابن القيم الجوزية	٥٠
٥٦	ابن كثير	٥١
٨	الكسائي	٥٢
١٢٣	ابن الكواء	٥٣
٧	الليثاني	٥٤
٢٢	المبرد	٥٥
٤٦	مجاهد بن حبر	٥٦
١٢٣	محمد بن بشار	٥٧
٣٩	محمد بن كعب القرظي	٥٨
١٢٣	محمد بن المثنى	٥٩
٢١٦	محمود شلتوت	٦٠
١٣٠	ابن مردويه	٦١
١٥	مسلم	٦٢
١٣٣	ابن المنذر	٦٣
٩١	النسفي	٦٤
١٣٠	أبو الورقاء	٦٥
٥٩	وهب بن منبه	٦٦

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول من احاديث الرسول، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٢- ابن الأثير، مجد الدين بن أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمد الطناحي، (دار إحياء الكتب العربية).
- ٣- الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، ( مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩ هـ).
- ٤- لأغزوي، أحمد بن محمد، طبقت لمصر، تحقيق: سليمان بن صالح الخبيط، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٧م).
- ٥- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد الأصبحي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط١، (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٧م).
- ٦- الأزهرى، أبو منصور محمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: الدار المصرية، ١٩٦٧م).
- ٧- إسماعيل، محمد بكر، قصص القرآن، ط٢، (القاهرة: دار المنار، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ٨- الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية (دراسة مقارنة)، ط٢، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر).
- ٩- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط٥، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية).
- ١٠- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة.
- ١١- الألباني، محمد ناصر الدين، الجامع الصغير وزيادته، ط٣، (المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

- ١٢- الألو سي ، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث).  
١٣- الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن يكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، ( دار الصابوني، ١٤٠٥-١٩٨٥م).  
١٤- الأيجي، السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الحسيني الشافعي، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، (باكستان ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٩م).  
١٥- البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه من هدي الساري، ت: خليل مأمون شيخا، ( بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨-٢٠٠٧م).  
١٦- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، ط٢، (بيروت: دار المعرفة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).  
١٧- أبو البقاء، موفق الدين ابو البقاء بن يعيش الموصلي الزمخشري، شرح المفصل، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د: إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية).  
١٨- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).  
١٩- بهجت، أحمد، أنبياء الله، ط٣، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٧٥م).  
٢٠- البيضاوي، نصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر حسونة، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م).  
٢١- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).  
٢٢- البيهقي، إبراهيم بن محمد، الحاسن والمساوي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

- ٢٣- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمى، الجامع الصحيح، أحمد محمد شاكر وآخرون، ط ١، (الرياض: دار السلام، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- ٢٤- التونجي، محمد، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، ط ١، (بيروت: دارالكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- ٢٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، السياسة الشرعية، (دار المعرفة).
- ٢٦- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، وأشرف جلال الشرقاوي (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م).
- ٢٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الحسبة، تحقيق: علي بن نايف الشحود، ط ٢، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- ٢٨- الثعلبي، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، عرائس المجالس، (بيروت: المكتبة الثقافية).
- ٢٩- الثعلبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغماري ادريسي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- ٣٠- الثوري، سفيان بن سعيد، تفسير سفيان الثوري، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
- ٣١- الجاحظ، ابن عثمان عمرو بن بحر، التاج في اخلاق الملوك، دار صعب، بيروت، (الطبعة الاولى: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).
- ٣٢- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط ١، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٤م).
- ٣٣- الجمل، سليمان، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، (المكتبة الإسلامية).



- ٣٤- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، ( بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠).
- ٣٥- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ٥١٤٠٤).
- ٣٦- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط٣، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤).
- ٣٧- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، غياث الأمم واليثار الظلم، ت: فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمي، (القاهرة: دار الدعوة، ١٩٧٩).
- ٣٨- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله، المستدرک علی الصحیحین مع تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤١١-١٩٩٠م).
- ٣٩- حبنكة، عبد الرحمن بن حسن الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ط١، (دمشق: دار القلم، ٥١٤٢٠-٢٠٠٠م).
- ٤٠- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤٠١-١٩٨٩).
- ٤١- ابن حجر، احمد بن علي، تقريب التهذيب، تحقيق: طارق بن عوض الله، ط١، (القاهرة: دار الكوثر، ٥١٤٣١-٢٠١٠م).
- ٤٢- ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت: دار المعرفة).
- ٤٣- الحسن، عبد الله يوسف، الإيجابية في حياة الداعية، ط١، (دبي: دار المنطلق ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- ٤٤- حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الأستانبولي الحنفي الخلوقي، روح البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث).

- ٤٥- الحمودي الحسني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (طبعة روما).
- ٤٦- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، ط١، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).
- ٤٧- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار الفكر).
- ٤٨- بن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ٤٩- حوى، سعيد، فصول في الأمر والأمر، (دار عمار، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م).
- ٥٠- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٥١- الخالدي، صلاح، مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- ٥٢- الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل وأحداث، ط٣، (دمشق: دار القلم، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٥٣- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العالم سالم مكرم، ط٤، (بيروت: دار اشروق، ١٤١٠هـ).
- ٥٤- الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: مطبعة السنة الحمديّة).
- ٥٥- الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، (دمشق: دار سعد الدين للطباعة، ٢٠٠٠م).
- ٥٦- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاحي، ط٣، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م).

- ٥٧- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر).
- ٥٨- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (الرياض: دار السلام، ٥١٤٣٠-٢٠٠٩م) —
- ٥٩- الدميحي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط ١، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).
- ٦٠- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الارنؤوط، ط ٩، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م).
- ٦١- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).
- ٦٢- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، ت: زكريا عميرات، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- ٦٣- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط ١، (القاهرة: دار الحديث، ٥١٤٢١-٢٠٠٠م).
- ٦٤- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤١٨-١٩٩٧م).
- ٦٥- رشيد، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م).
- ٦٦- الرضواني، محمود عبدالرازق، اسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، ط ١، (القاهرة: مكتبة سلسبيل، ٥١٤٢٦-٢٠٠٥م).
- ٦٧- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار مكتبة الحياة).
- ٦٨- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ط ١، (القاهرة: دار الحديث، ٥١٤١٤-١٩٩٧م).

٦٩- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١م).

٧٠- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام، ط١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، مايو ٢٠٠٢ م).

٧١- الزمخشري، محمد بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٧٢- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، سعيد الأفغاني (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

٧٣- الزيات، أحمد حسن، تأريخ الأدب العربي، ط١، (القاهرة: دار نهضة مصر).

٧٤- أبو زيد، نصر حامد، الإتجاه العقلي في التفسير، ط١، (بيروت: دار التنوير، ١٩٨٢).

٧٥- سابق، سيد، العقائد الإسلامية، ط٢، (دار النصر، ١٣٨٧-١٩٦٧م).

٧٦- السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، (القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥-١٩٨٥م).

٧٧- السبت، خالد بن عثمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصوله وضوابطه وأدابه، (المنتدى الإسلامي ومجلة بيان).

٧٨- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار وأبو زيد شلي، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣-١٩٩٣م).

٧٩- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

٨٠- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

- ٨١- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد التونجي، ط ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- ٨٢- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: علي محمد معوض وأحمد عبد الموجود وجاد مخلوف جاد، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- ٨٣- السنجاري، حسن طه الحسن، توكيد مضمون الجمل بتتبع الترادف في القرآن الكريم، ط ١، (الموصل: دار الانتصار).
- ٨٤- السهيلي، ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (بيروت: دار الفكر).
- ٨٥- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م).
- ٨٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط ١، (مكتبة وهبة).
- ٨٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والدعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: المكتبة العصرية).
- ٨٨- الشربيني، الخطيب، السراج المنير، ط ٢، (بيروت: دار المعرفة).
- ٨٩- شعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم).
- ٩٠- ثعلي، محمود، حيا سليمان ط ١، (بيروت: حل الحلبي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م).
- ٩١- شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، (القاهرة: دار الشروق).
- ٩٢- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

- ٩٣- الشوكاني، محمد بن علي، قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها، تقديم وتحقيق د: إبراهيم هلال، (مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٣٧ هـ).
- ٩٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م).
- ٩٥- الشيرازي، عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، مكتبة المنار (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
- ٩٦- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط ١، (القاهرة: دار الصابوني، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٩٧- الصابوني، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، (حلب: دار العلم العربي، بلا).
- ٩٨- صالح الصبي، مبحث في علوم القرآن الكريم، ط ١، (بيروت: حل العلم، ١٩٥٩).
- ٩٩- صالح الفوزان، عبد العزيز بن فوزان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط ١، (مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ١٤٢٤هـ).
- ١٠٠- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ).
- ١٠١- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، (صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٥٥هـ).
- ١٠٢- الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).
- ١٠٣- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١ (مؤسسة الرسالة ١٣٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ١٠٤- الطوطوسي، نجم الدين إبراهيم علي الحفي، تحفة الترك فيما يجنبه في اللك، تحقيق عبد الكريم محمد طبع المجلد، الطبعة الثانية، حل الكتب العلمية.
- ١٠٥- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (القاهرة: دار السعادة، ٢٠٠٧).

١٠٦- ابن عابدين، محمد بن أمين بن عمر، رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، (مصر: دار الطباعة، ١٨٥٥م).

١٠٧- ابن علي، أوضح عمر بن علي، البليغي علم الكتب، تحقيق: علي محمد عبد اللوحدو علي محمد عوض ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

١٠٨- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون).

١٠٩- عباس، فضل حسن، القصص القرآني إجاؤه ونفحاته، ط١، (عمان: دار الفرقان، ١٩٩٧-٥١٤٠٧م).

١١٠- عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، (مؤسسة مناهل العرفان مصورة عن الطبعة المصرية).

١١١- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ).

١١٢- عبد العزيز، أمير، التفسير الشامل للقران الكريم، ط١، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٠-٢٠٠٠م).

١١٣- العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الوسطية، ط٤، (دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ).

١١٤- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١٥- ابن العربي، أبو بكر، مختصر العواصم من القواصم، بتحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، (مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ).

١١٦- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣-٥١٤١٣م).

١١٧- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العسكري الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١٨- عمرو، محمد عبد العزيز، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

١١٩- عز الدين بن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

١٢٠- عودة، عبد القادر، الإسلام وأوضاعنا السياسية.

١٢١- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة).

١٢٢- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٢٣- الفالوجي الأثري، أكرم بن محمد زيادة، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، (الأردن: الدار الأثرية، والقاهرة: دار ابن عفان).

١٢٤- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير او مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، ط ٢، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

١٢٥- الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.

١٢٦- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (دار الجليل).

١٢٧- الصومي، أحمد بن محمد علي القي، المصباح للقي، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م).

١٢٨- القاضي، محمد جمال الدين، محلن التولي ط ٢، (طبعة عيسى البلي الجلي وشركاه).

١٢٩- القرضاوي، د. يوسف، الحلال والحرام في الإسلام، ط ٢٢، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٣٠- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).



١٣١- القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري، الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى وصفاته، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، ط ١، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٣٢- القرماني، أبو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، (بغداد: ١٢٨٢هـ).

١٣٣- القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الحفني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).

١٣٤- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٢، (بيروت: دار الشروق، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

١٣٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط ١٤، (مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٧هـ).

١٣٦- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقهي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

١٣٧- ابن قيم الجوزية، محمد بن ابى بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: سيد عمران وعامر صلاح، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٣٨- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، طريق المهجرتين وباب السعادتين، ط ١ (لبنان: مؤسسة المعارف، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م).

١٣٩- كحلقة، عرض، صمد، صمد، لؤلؤين، (بيروت: مكتبة لثني وحل إحياء التراث العربي).

١٤٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

١٤١- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار طيبة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

١٤٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، (صيدا: المكتبة العصرية).

١٤٣- ابن ماجه القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، سنن ابن ماجه، (الرياض: دار السلام، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

١٤٤- المورى، لو الحسن على بن محمد، تسهيل النظر وتبجيل النظر في أخلاق الملوك، تحقيق مجي هلال الرحمن السعدي، حل النهضة، (بيروت: ١٩٨١).

١٤٥- الموردى، ابو الحسن على بن محمد، درر السلوك في اسياسة الملوك، دار الوطن (الرياض: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٤٦- الموردى، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، ت: أحمد جاد، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٤٧- متولي، عبد الحميد، مبادئ نظام الحكم الإسلامى، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م).

١٤٨- ابن مجاهد التميمي، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، (دار المعارف، ١٤٠٠هـ).

١٤٩- مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، قاموس الكتاب المقدس، ط٢، تحرير: بطرس عبد الملك وجون الكساندر وطمس وإبراهيم مطر.

١٥٠- الحلى، جلال الدين محمد بن أحمد السوطي، وإجلال الدين عبد الرحمن بن علي بكر، تفسير المجلدين: محمد كحلط، (بيروت: لكتب لإسلامي، ١٤٠٩هـ).

١٥١- مخلاف، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم، شجرة النور الزكية في تراجم المالكية، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٩).

١٥٢- مدكور وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة).

١٥٣- الروني، أحمد مطفي، تفسير الروني، (هر: مطبعة مطفي البيه الحلي ولولأده).

١٥٤- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الأندلس).

- ١٥٥- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت: مأمون خليل شيخا، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).
- ١٥٦- أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله، غياث الأمم والتياث الظلم، تحقيق: فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمي، (دار الدعوة، ١٩٧٩م).
- ١٥٧- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (المطبعة الأميرية سنة ١٢٧٠هـ).
- ١٥٨- المطعني، عبد العظيم، البلاغة ٢، (جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).
- ١٥٩- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨م).
- ١٦٠- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف، فيض القدير، (بيروت: دار الفكر).
- ١٦١- المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، تحقيق: محمد عاصم الحداد، (دار العروبة، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م).
- ١٦٢- ناصف، منصور علي، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ط٤.
- ١٦٣- الننتشة، جواد بحر، مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان، ط١، (الخليل: مركز دراسات المستقبل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ١٦٤- النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، (بيروت: دار العلم).
- ١٦٥- النحاس، أبو جعفر، معاني القرآن، تحقيق: يحيى مراد، (القاهرة: دار الحديث).
- ١٦٦- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، المجتبى من السنن، ت: عبدالفتاح أبو غدة، ط١، (القاهرة: دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
- ١٦٧- وزارة الأوقاف المصرية، موسوعة الأعلام.

١٦٨-النووي، محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي،  
(المطبعة المصرية ومكبتها).

١٦٩-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، فهاية الأرب في فنون الأدب،  
(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م).

١٧٠-ابن هشام، محمد بن عبد الله، السيرة النبوية، تحقيق: وليد بن محمد سلامة  
وخالد محمد بن عثمان، ط ١ (القاهرة: مكتبة الصفا ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١٧١-الممداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق نبيه أمين فارس،  
(بيروت: دار العودة).

١٧٢-الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: (دار  
الفكر، ١٤١٢هـ).

١٧٣-يوسف، محمد خير رمضان، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح دراسة  
تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، ط ٢، (دمشق: دار القلم،  
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
ط	الملخص
ي	الملخص باللغة الإنجليزية
ك	شكر وتقدير
ل	الإهداء
١	المقدمة
٢	أسباب اختيار البحث
٣	مشكلة البحث
٣	أهداف البحث
٤	الدراسات السابقة
٤	منهج البحث
٥	هيكل البحث
٥	تقسيمات البحث
٧	معنى المُلْك في اللغة
٩	معنى المُلْك في الشرع
١٠	المُلْك في الإستعمال القرآني
١٤	الفصل الأول: المُلْك الحق
١٥	المبحث الأول: أسماء الله الحسنى المتعلقة بالمُلْك
١٥	المطلب الأول: اسم الله الملك
٢٠	المطلب الثاني: اسم الله المالك
٢٣	المطلب الثالث: اسم الله المليك
٢٥	المبحث الثاني: الله تعالى خالق كل شئ ومالكه
٣٦	المبحث الثالث: المتفرد بالمُلْك يوم القيامة

رقم الصفحة	الموضوع
٤٣	الفصل الثاني: الأساليب القرآنية في عرض المُلك
٤٤	المبحث الأول: الإمتنان بالمُلك على بعض عبادِه
٤٤	المطلب الأول: في سبب وجود الملك
٤٥	المطلب الثاني: الله يمتن بالمُلك على بعض عبادِه
٥٣	المبحث الثاني: المُلك والقيادة العسكرية
٥٣	قصة طالوت وجالوت في القرآن
٥٥	قصة سليمان عليه السلام
٥٥	المشهد الأول: سليمان يجمع جيشه في وادي النمل
٥٨	المشهد الثاني: سليمان يتفقد فرق الجيش
٦١	المشهد الثالث: الهدهد يدلي بحجته
٦٧	المشهد الرابع: سليمان يرسل الهدهد في مهمة دعوية
٦٩	المشهد الخامس: الملكة تجمع مجلس شوارها ليقرروا ماذا يصنعون
٧٤	المشهد السادس: وصول الهدية الى سليمان وردها عليها
٧٦	المشهد السابع: سليمان يُحضر عرش الملكة
٧٨	المشهد الثامن: قدوم الملكة وإختبارها وإعلانها الإسلام
٨٤	المبحث الثالث: المُلك والاعتزاز به
٨٤	قصة الذي حاج إبراهيم في ربه
٨٨	الفصل الثالث: أنواع المُلك في القرآن الكريم
٨٩	المبحث الأول: الجمع بين المُلك والنبوة
٨٩	سليمان عليه السلام ومظاهر ملكه
٩٣	المطلب الأول: تعليمه منطق الطير والحيوان وتسخيرها له
٩٦	المطلب الثاني: إسالة عين القطر
٩٨	المطلب الثالث: تسخير الريح
١٠٤	المطلب الرابع: تسخير الجن والشياطين

رقم الصفحة	الموضوع
١٠٩	بعض أعمال هولاء الشياطين
١١٦	إزدهار العمارة والصناعة في عهد سليمان عليه السلام
١١٦	نبينا عليه الصلاة والسلام يقدر أخاه سليمان عليه السلام
١١٧	المطلب الخامس: تعقيب القران على معجزات سليمان ونعم الله عليه
١٢١	<b>المبحث الثاني: المَلِكُ الراشد</b>
١٢١	قصة ذو القرنين
١٢١	سبب لقبه بذي القرنين
١٢٨	تفسير الآيات ٨٣-٩٨
١٢٩	نبي أم مَلِك أم عبد صالح؟
١٢٩	القول بنبوته
١٣٢	القول بأنه مَلِك
١٣٢	عبد صالح
١٣٤	التوقف
١٣٥	الترجيح
١٤٩	<b>المبحث الثالث: المَلِكُ الفاسد المفسد</b>
١٤٩	قصة موسى عليه السلام وفرعون كما أشار إليها القران
١٥٠	في سورة القصص
١٦٠	في سورة الأعراف
١٧٤	في سورة طه
١٨٠	في سورة الشعراء
١٨٥	في سورة يونس
١٩١	في سورة هود
١٩٢	في سورة غافر
١٩٨	في سورة الزخرف

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٢	الفصل الرابع: مهمات المُلْك وآثاره
٢٠٣	المبحث الأول: مهمات المُلْك الراشد وآثاره
٢٠٣	المطلب الأول: مهمات المُلْك الراشد
٢٠٣	المسألة الأولى: المهمة الأساسية
٢٠٤	أولاً: إقامة الدين
٢٠٤	١- حفظ الدين وحراسته
٢٠٤	نشره والدعوة اليه بالقلم واللسان والسنان
٢٠٧	دفع الشبه الأباطيل ومحاربتها
٢٠٨	حماية البيضة
٢٠٩	٢- تنفيذه
٢٠٩	إقامة الشرائع والحدود وتنفيذ الأحكام
٢١٠	حمل الناس عليه بالترغيب والترهيب
٢١٠	ثانياً: سياسة الدنيا به
٢١٢	المسألة الثانية: المهام الأخرى
٢١٣	المهمة الأولى: إقامة ميزان العدل
٢١٥	المهمة الثانية: الشورى
٢٢٣	المهمة الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٢٦	المهمة الرابعة: جمع الكلمة وعدم الفرقة
٢٢٨	المهمة الخامسة: القيام بعمارة الأرض واستغلال خيراتها
٢٢٩	المهمة السادسة: تحصين الثغور
٢٣٠	المهمة السابعة: استكفاء الأمناء وتقليد العظماء
٢٣٠	المهمة الثامنة: مباشرة الأمور وتصفح الأحوال
٢٣١	المطلب الثاني: الآثار الطيبة للمُلْك الراشد
٢٣٣	المبحث الثاني: آثار المُلْك الفاسد



رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٣	المطلب الأول: فوات كل ما يترتب على المُلْك الراشد
٢٣٣	المطلب الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله
٢٣٤	المطلب الثالث: التكذيب بأيات الله وإفتراء الكذب على الله
٢٣٥	المطلب الرابع: الصد عن سبيل الله ومنع ذكره تعالى
٢٣٦	المطلب الخامس: تزييف الحقائق ووضع الأشياء في غير موضعها
٢٣٨	المطلب السادس: الإختلاف والتفرق
٢٣٨	المطلب السابع: زوال النعم
٢٣٩	المطلب الثامن: الهلاك بإنزال العذاب في الدنيا والآخرة
٢٤٢	المطلب التاسع: عدم الفلاح في الدنيا والآخرة
٢٤٤	المطلب العاشر: حصول العلوقين ركن للملك الصلبد وأنيلهم في لآخرة
٢٤٦	الخاتمة
٢٤٦	أولاً: النتائج
٢٤٧	ثانياً: التوصيات
٢٤٩	الفهارس
٢٤٩	فهرس الآيات القرآنية
٢٧٢	فهرس الأحاديث
٢٧٤	فهرس الأعلام المترجم لها
٢٧٧	فهرس المصادر والمراجع
٢٩٣	فهرس الموضوعات